

الكنف^{الغليظ} س

فَمَعْنَا زِيَّ رَسُولَ اللَّهِ وَالثَّلَاثَةِ الْخُلَفَاءِ

لِلإمام أبي البرقع سليمان بن موسى الكندي الزندي

٥٦٥ - ٦٣٤ هـ

بتحقيق

الدكتور مصطفى عبد الواحد

ينشر لأول مرة على نسيختي «طلعت» و«التجويرية»

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة الحاج محمد بالقاهرة

الأكف^{الغني}اء

فَمَعَا زِي رَسُولَ اللَّهِ وَالثَّلَاثَةِ الْخُلَفَاءِ

لِلإمام أبي البرقع سليمان بن موسى الكاظمي الزندي

٥٦٥ — ٦٣٤ هـ

بتقيق

الدكتور مصطفى عبد الواسع

بشر لا أول مرة على شيخنا « طاعت » و « التيمورية »

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة الحاجي بالقاهرة
ومكتبة الهلال ببيروت

١٣٨٩ هـ — ١٩٧٠ م

مطبعة السنة المجددية
١٧ من حريف بابا الكبير - مابدين
١٠٦٠١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شروع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في حرب المشركين ، وذكّار مغازبه التي أعزّ الله بها الإيمان والمؤمنين

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيّأ للحرب فيها أمره الله تبارك وتعالى به من جهاد عدوّه وقتال من أمره الله بقتاله^(١) يمين يمينه من مشركي العرب^(٢) .

وخرج غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة .

[غزوة ودّان]

حتى بلغ ودّان وهي غزوة الأقباء ، يربد قريشاً وبنو ضمرة بن بكر ابن عبد مناة بن كلاب ، فوادعته فيها بنو ضمرة ، وكان الذي وادعه [منهم]^(٣) عليهم نخش بن عمرو الغنّري ، وكان سيّدهم في زمانه ذلك . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يبق أكيداً ، فأقام بها .

[سرية عبيدة بن الحارث]

وبعث في مقامه ذلك عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ابن قصي في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد . فسار حتى بلغ ماء ملحجز بأسفل ناقة العرّة ، فالتقى بها جمعاً عظيماً من

(١) ابن هشام : به .

(٢) ابن هشام : من المشركين ، العرب .

(٣) من ابن هشام .

قریش ، فلم یکن بینهم قتال ، إلا أن سعد بن أبی وقاص قد رُئی
یومئذٍ بسهم ، فكان أولَ سَهم رُئیَ به [فی سبیل الله] ^(١) فی الإسلام .

وقال سعد فی رَمَیته تلكَ فیما یذکرون :

ألا هل أنى رسولَ الله أنى حَتِيتُ تَحَابِتي بصدورِ قبلي
أذودُ بها أوائلهم ذِيادًا بكلِّ حُزونةٍ وبكلِّ سَهْلٍ
فما يعتدُّ راي في عدوِّهم بِسَهمٍ يا رسولَ الله قبلي
فی آیاتِ ذَكرها ابنُ إسحق ، وذكر ابنُ هشام أن أكثرَ أهلِ العلم
یَذكرونها لسعد .

ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حاميةً .
وفرَّ من المشركين إلى المسلمين المقدادُ بن عمرو البَهراني رضى الله عنهما ،
وعُقبه بنُ عَزْوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا ^(٢) .

ویقال إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال فی غزوة غُبَیة هذه ^(٣) :
أَمِنْ طَیْفٍ سَلَى بِالْبَطَاحِ الدَّمَائِثِ
أَرِقتَ وأَمَرِ فی العَشِيرةِ حادِثِ
تَرى مِنْ لُؤیِّ فِرْقَةٍ لا یَصُدُّها
عن الكُفْرِ تَذَكِّيرٌ ولا یَقْنُثُ باعِثِ
رسولٌ أناهم صادقٌ فمَكْذُوبوا
علیه وقالوا لستَ فیها بما کُتِبَ

(١) لیست فی ابنِ هشام .

(٢) ابنُ هشام : ليتوصلا بالكفار . أى اتخذوا خروجهما مع الكفار وسيلةً للوصول
للمسلمين .

(٣) الدَّمَائِثُ : الرمال اللينة .

إذا مَدْعُونَاهُمْ إِلَى الْخَلْقِ أَذْبَرُوهَا
 وَهَرَّوْا هَرِيرَ الْمُحْجَرَاتِ الْوَاهِتِ^(١)
 فَكَمْ قَدْ مَنَعْنَا فِيهِمْ بِقِرَابَةٍ
 وَتَرَكْنَا التَّقَى شَيْءَ لَمْ غَيْرُ كَارِثٍ^(٢)
 فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعَقُوبِهِمْ
 فَمَا طَيِّبَاتِ الْخَلْقِ مِثْلُ الْخَبَائِثِ
 وَإِنْ يَرْكَبُوا طُغْيَانَهُمْ وَضَلَالَهُمْ
 فَلَيْسَ مَذَابُ اللَّهِ عَنْهُمْ بِالْآبِثِ
 وَنَحْنُ أَمَّا مِنْ ذُوَابِهِ غَالِبِ
 إِنَّا الْعَرُّ مِنْهَا فِي الْفُرُوعِ الْأَثَائِثِ^(٣)
 فَأُولَى رَبِّ الرَّاغِبَاتِ عَشِيَّةً
 حَرَّاجِبِ نَجْوَى فِي السَّرِيحِ الرَّثَائِثِ^(٤)
 كَأُذُنِ ظَبْيَاءَ حَوْلَ مَكَّةَ عُنْكَفٍ
 يَرْدُنَ حِيَاضَ الْبَيْتِ ذَاتِ النَّبَاتِ^(٥)
 أَنْ لَمْ يُفَيِّقُوا عَاجِلًا مِنْ ضَلَالِهِمْ
 وَاسْتُ إِذَا آيَاتُ قَوْلَا بِمَنَاتِ

(١) الحجرات : الخلاب التي أُلْهِتْ إل مواضعها .

(٢) الكارث : المم .

(٣) الأثائث : المنة .

(٤) أولى : أحاط . والحراجيب : الضوايق . السريح : الغار . يربط : أهدأ . الإبل .
 والرمث : المنة .

(٥) النبات : المذاب مخرج من البئر إذا نفيت .

لَتَبْدِرَهُمْ غَارَةٌ ذَاتُ مَصْدَقٍ
تَحْرِمُ أَطْهَارَ النِّسَاءِ الطَّوَامِثِ^(١)

وكانت راية عبيدة أولَ راية عقدها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
في الإسلام .

وبعض العلماء يزعم أنه بعثه حين أقبل من غزوة الأَبْواء قبل أن يصل
المدينة ، وأنه بعث^(٢) في مقامه بالمدينة حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر
من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، فلقى أبا جهل بذلك
الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فجز بينهم تجديء بن عمرو الجهمي ،
وكان مؤادعاً للفريقين .

فانصرف بعضُ القوم عن بعض ، ولم يك بينهم قتال .

وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أولَ راية عقدها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأحدٍ من المسلمين ، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كما
معا ، فشبه ذلك على الناس .

وقد زعموا أن حمزة قال في ذلك شعراً يذكر فيه أن رايته أول راية
عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن كان حمزة قال ذلك فقد صدق إن شاء الله ، لم يكن يقول إلا حقاً
فالله أعلم أي ذلك كان .

وأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا : فعبيدة بن الحارث أول من عُقِد له .

(١) أكلها ابن هشام وذكر لإحابة عبد الله بن الزبير بشر .

(٢) ابن هشام : ويث في موافقة ذلك حمزة .

والشعرُ المنسوب لحزرة رضى الله عنه :
 ألا يا اقوى للتحكم والجهد
 وللنقص من رأى الرجال ولا مقل
 ولاراك كيدنا بالمظالم لم نطأ
 لهم حرمت من سوام ولا أهل^(١)
 كأننا تبئناهم ولا تبئ عندنا^(٢)
 لهم غير أمرٍ بالعفاف وبالعدل
 وأمرٍ بإسلام فلا يقبلونه
 ويترزل منهم مثل منزلة الهزل
 فما برحوا حتى انتدبت إغارة
 لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل
 بأمر رسول الله أول خافق
 عليه لونه لم يكن لاح من قبل
 لونه لديه النصر من ذى كرامة
 إليه عزيز قبله أفضل للفعل
 عشية ساروا حاشدين وكلنا
 مرآجه من غيل أصحابه تنلى
 فلما تراءينا أذاخوا فمقلوا
 مطايا وعقائنا مدى عرض الثبل

(١) الحوام : الإبل الراعية .

(٢) تبئناهم : دعيناهم أو عاقبناهم . والنبيل : العداوة .

فقلنا لهم حبلُ الإله نصيرُنا
وليس لكم إلا الضلالة وبِ حبلٍ
فتار أبو جهل هناك باغياً
نصاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن إلا في ثلاثين ركباً
وهم مثنان بعد واحدة ففضل
فيال لؤمى لا تطيموا غوانكم
وفيثوا إلى الإسلام والتسبيح للسهل
فإني أخاف أن يُصبَّ عليكم
عذابٌ فتدعوا بالندامة والشكل

[غزوة بواط]

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول يريد قريشاً حتى
بلغ موأط من ناحية رضى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

[غزوة المشيرة]

ثم غزاهم فملك على نقب بني ديار ثم على فقاء الحبار فنزل تحت شجرة
ببطحاء ابن أزمهر ، يقال لها ذات الساق ، فصلى عندها ، فثم مسجد رسول الله
عليه وسلم ، وصُبح له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه ، فوضع أناء
للبرمة معلوم هناك ، واستقى له من ماء يقال له المُشْتَرَب .

ثم ارتحل حتى هبط بئليل ، ثم سلك فرش مائل حتى أتى الطريق بصحيرات
البيام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل المشيرة من بطن ينبع ، فأنهزم بها
جهادى الأولى وإبالي من جهادى الآخرة . ووادع فيها بني مذليج وحلفاءهم من
بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وبعث سرية فيما بين ذلك من غزوة سمعد بن أبي وقاص في ثمانية رهط من المهاجرين ، فبلغ الطرار من أرض الحجاز ثم رجع ولم يلق كيذا .
[غزوة بدر الأولى]

ولم يُقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قدم من غزوة التشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كرز بن جابر الفهمري على سرح^(١) المدينة .

فخرج صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ واديا يقال له سقوان من ناحية بدر ، وفاته كرز فلم يدركه .
وهي غزوة بدر الأولى .
ثم رجع إلى المدينة .

وبعث عبد الله بن جعش بن رئاب الأسدي في رجب مقذله من تلك الغزاة . وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، وهم : أبو حذيفة بن عتبة ، وسمعد بن أبي وقاص ، وعكاشة بن محصن ، وعتبة بن غزوان ، وعامر بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله النخعي ، وخالد بن الوليد ، وسهيل بن بيضاء .
وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً .

فلما سار عبد الله يومين ففتح الكتاب فإذا فيه : « إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً وتعلم لها من أخبارهم »

فقال عبد الله : سمعاً وطاعة . ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي إلى نخلة أرصد فيها قريشاً حتى آتية منهم بخبر ، وقد

نهاني أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها ، فليطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا ففاض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد ، وسلك هلى الحجاز حتى إذا كان بمكان فوق الفرع يقال له بجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه ، فتخلعا في طلبه .

ومضى عبد الله في بقية أصحابه^(١) حتى نزل بلخلة ، فمرت به عير أقرش تحمل زبيبا ، وأدما ، وتجارة من تجارة قرش ، فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة الخزومي وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان ، فلما رآهم القوم هابوهم وقالوا : عُمارٌ لا بأس عليكم منهم ، ونشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب . فقالوا : والله أن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليقتلن منكم به ، واثن قتلتهم لئلا يقتلنهم في الشهر الحرام .

فردد القوم وهابوا ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم .

فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأمر عثمان بن عبد الله ، والحكم ، وأفلت القوم نوفل فأنجزهم .

وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعر والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وعزل عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم الخس تلك الغنيمة وقسم سائرها بين أصحابه ، وذلك قبل أن يفرض الله الخس من الغنائم

(١) ابن هشام وبقية : أصحابه .

فلما أحلَّ الله النِّىء بعد ذلك وأمر بقسمه وفرض الخُلس فيه ، وقع على ما كان عبدُ الله صدمع في تلك المير .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . فوقف المير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً .

فلما حال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سُقطَ في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعندهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحلَّ محمدٌ وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال ، وأسرُوا فيه الرجال .

فقال من يرُدُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان . وقالت يهود ، تفاءلُ بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمر و بن الحُصرمى قتله واقد بن عبد الله : عمرو : عميت الحرب ، والحُصرمى حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله : وقدت الحرب . فجلَّ الله تبارك وتعالى ذلك عليهم لا لهم .

فلما أثير الناس في ذلك ، أنزل الله على رسوله : « يا أيُّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم عن الشهر الحرام قتال فيه . قل : قتالٌ فيه كبيرٌ وصعدٌ عن سبيل الله وكُفْرٌ به ، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبرٌ عند الله ^(١) » .

أى إن كنتم قتلتُم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبرٌ عند الله من قتل من قتلتُم منهم ، والعقبة أكبر من القتل ، أى قد كانوا يفتنون للمسلم في دينه حتى يردّوه إلى الكفر بعد إيمانهم ، فذلك أكبرٌ عند الله من القتل .

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّقِّ ، قَبَضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ، وبعثت قريش في قداشهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ، حتى يقدم صاحبانا ، يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ، فإننا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، فإننا نقتل صاحبكما » . فقدم سعد وعتبة ، فأفدى الأسيرين عند ذلك منهم .

فأما الحكم فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد يوم بدر ممّونة ، وأما عثمان فالتحق بمكة ذات بها كافراً .

فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : « إن الذين آمنوا ولدين هاجروا واجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله سفور رحيم ^(١) » فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تلك الغزوة أحياناً ، ويقول بل عبد الله بن جحش ، قالما حين قالت قريش : أحلّ محمد وأصحابه للشهر الحرام ، فسفكوا فيه الدم وأخذوا المال وأسروا الرجال :

تعدّون قتيلاً في الحرام عظيمة

وأعظم منه لو برى الرشد أرشد

صدودكم عما يقول محمد

وكفر به والله راء وشاهد

ولمخراجكم من مسجد الله أهله
أهلاً يرى في البيت لله ساجد
فإننا وإن عيرتونا بقتله
وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقمنا من ابن الحضرمي رماحنا
بذخلة لما أوقد الحرب واقد
دماً وابن عبد الله عثمان يندوا
بفازعه غل من القيد عائد

غزوة بدر الكبرى

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان ابن حرب مُقبلاً من الشام في غير قريش عظيمة .

فندب المسلمين إليهم وقال : هذه غير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله يُنفلكموها^(١) .

فانتدب الناس نخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس^(٢) الأخبار ، ويسأل من لقي من الرُكبان ، تخوفاً ، حتى أصاب من بعضهم خبراً باستنفاذ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم له وأمره ، فحذر عند ذلك ، واستأجر ضمضم بن عمرو الغمري ، فبعثه إلى مكة ليخبر قريشاً بذلك ، ويستنفرهم إلى أموالهم . فخرج ضمضم سريماً .

[رؤيا عانسكة]

وكانت عانسكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث رؤيا أفزعنها ، فقالت لأخيها المباس : يا أخى لقد رأت الليلة رؤيا أقدم أفظمتنى^(٤) وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومهيبه ، فاكتمت عني ما أحدثك .

(١) ينفلكموها : يهبها غنيمة لكم .

(٢) ابن هشام : يتجسس .

(٣) ابن هشام : أن عمداً قد استنفر أصحابه .

(٤) أفظمتنى : اشتدت علي .

فقال لها : وما رأيت ؟

قالت : رأيت راكباً أقبل على بعيره حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا أنذر^(١) لمصارعكم في ثلاث . فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبيداهم حوله ، مثل به بعيره على ظهر السكبية ، ثم صرخ بمنزلها ، ألا انفروا بالأنذر إلى مصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمنزلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقابت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دحلتها منها فاقة .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتمتها ولا تذكرها لأحد . ثم خرج العباس فاقى الوايد بن سقبة بن ربيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوايد لأبيه عتبة .
ففسأ الحديث^(٢) حتى تحدثت به قريش^(٣) .

قال العباس : فغدوت لأطوف بأبيات وأبو جهل في رهيل من قريش فعود يتحدثون رؤيا عائكة .

فلما رأيته قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . فلما فرغت أقبلت حتى جاست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه القصة^(٤) ؟ قلت وما ذلك ؟ قال : الرؤيا التي رأت عائكة فقلت : وما رأت ؟

(١) إذا بالأصل والظاهر والغدير : غدير وفي الجمل : ما آل بدر وقد قال السهيلي : هو اسم الفيل والدال ، مع غدير وذلك تحريصاً لهم ، أي إن يغفلتم فأنتم غدير افوتكم .

(٢) ابن هشام : هذا الحديث عهد .

(٣) زاد ابن هشام : في أديتها .

(٤) ابن هشام والظاهر : البنية .

قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى نقبأ نساءكم ؟
قد زعمت عائكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث . فسفر بئس بكم هذه
الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض ولم يكن من ذلك شيء
نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير ، إلا أني جعدت ذلك
وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً ، ثم تفرقنا .

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقبر رنم
لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ،
ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ؟ إني فقلت : قد والله فمات ،
وما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لأتعرضن له فإن عاد لأكفيتهنك^(١) .

قال : ففدت في اليوم الثالث من رؤيا عائكة وأنا حديث منضبط ،
أرى أنه قد فأتني امرؤ أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فأتته ، وكان
رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، فوالله إني لأشئ نحوه
أعرضه ليعود لبعض ما قال ، فأقع به ، إذ خرج نحو باب المسجد بشدة ،
فقلت في نفسي : ماله ، لعله الله ؟ أكل هذا قرناً^(٢) مني أن أشأته ! وإذا هو
قد سمع ما لم أسمع ، صوت ضمضم بن عمرو [الغماري]^(٣) وهو يصرخ : بطلان
الوادي واقفاً على بعبره قد جدعه وحول رَحْلَه وشق قميصه وهو يقول :
يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لما عخذ
في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، للفوث الفوث .

قال : فشغلتني عنه ، وشغله عني ما جاء من الأمر .

(١) ابن هشام : فرق . (٢) الطبري : لأكفيتهنكوه .

(٣) من ابن هشام والطبري .

[خروج قريش]

فَتَجَهَّزَ النَّاسُ سِرَاعًا وَقَالُوا : أَبْطُلْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَنْ تَكُونَ كَمِيرِ بْنِ
لَهْزَرَى ١٧ يَا وَاللَّهِ لَيَمْلِكَنَّ بِهِ ذَلِكَ .

فَسَكَتُوا بَيْنَ جَابِنَ ، إِمَّا خَارِجٌ وَإِمَّا بَاعِثٌ مَكَانَهُ رَجُلًا
وَأُزْعِمَتْ ١٨ قَرِيشٌ فَلَمْ يَتَخَافْ مِنْ أَشْرَافِهَا أَحَدٌ ، إِلَّا أَنْ أَبَا لَهَبٍ تَخَافَ
بِعِثَ مَكَانَهُ لِلْعِصَامِيِّ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْغَيْثَةِ ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ لَأَبَى لَهَبٍ أَرْبَعَةُ
آلَافٍ دِرْهَمٍ ، فَاسْتَأْجَرَهُ بِهَا عَلَى أَنْ يُجْزِي عَنْهُ بَعَثَهُ .

وَأَجْعَمَ أَمِيَّةُ بْنُ حُلَافٍ الْقَعُودَ وَكَانَ شَيْئًا جَمِيلًا جَسَدًا ثَقِيلًا ، فَأَنَاءَهُ عُقْبَةُ
ابْنِ أَبِي مُصَيْطٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَى ١٩ قَوْمِهِ بِجَمْرَةٍ فِيهَا مَارِ
وَبُجَيْرٌ ٢٠ حَتَّى وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ اسْتَجِمِرْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
النَّسَاءِ ٢١ فَقَالَ : فَيَحْكُ اللَّهُ وَفَيُجِيعُ مَا جِئْتُ بِهِ . ثُمَّ تَجَهَّزَ وَخَرَجَ مَعَ النَّاسِ .

وَمَا فَدَّعُوا مِنْ جَهَازِهِمْ وَأَجْعَمُوا السَّيْرَ ذُرُوعًا خَرِبًا ٢٢ نَأَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كِنَانَةَ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا نَخْشَى أَنْ يَأْتُونَنَا مِنْ خَلْفَانَا ،
فَنُكَادُ ذَلِكَ بِثَنِيهِمْ ، فَيَبْذُلُونَا لِمِ الْإِبِلِ فِي صُورَةِ سُورَةِ بَنِي جَعْفَرٍ الْمَذْلُوجِينَ ،
وَأَنْ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي كِنَانَةَ ، فَقَالَ : أَنَا لَكُمْ جَارٌ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَةُ مِنْ
خَلْفِكُمْ بِشَيْءٍ تَكْفُرُونَ بِهِ .

فَخَرَجُوا سِرَاعًا .

[خروج الرسول والمسلمين]

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَيْلٍ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ

(١) أُزْعِمَتْ : ابْتَدِئَتْ .

(٢) ابْنُ هِشَامٍ : مَظْهَرَانِ قَوْمِهِ .

(٣) الْمَجِيرُ : الْبُودُ .

في أصحابه ، ودفع اللواء إلى مُصَنَّب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أبيض ، وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رابتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، والأخرى مع بعض الأنصار ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صمممة أخا بني مازن بن النجار ، وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ فيما قال ابن هشام .

فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقه من المدينة إلى مكة حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسبّس بن عمرو^(١) ، وعدي بن أبي الزغباء الجُهَنِيِّين إلى بدر بهجستان له الأخبار عن أبي سفيان وغيره .

فمضيا حتى نزلا بدرأ ، فأناخا إلى تل قريب من الماء فسمعا جارتين من جوارى الحاضر تتلازمان على الماء ، والمزومة تقول لصاحبتها : إنما ترد العير غداً أو بعده فأعمل لم نـم أفصيك . فقال مجدي بن عمرو ، وكان على الماء : صدقت ، ثم خلص بينهما .

فلما سمع بذلك عدى وبسبّس ، انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه .

ثم تقدم أبو سفيان العير حذراً حتى ورد الماء ، فقال لجدي : هل أحسست أحداً ؟ قال : لا ، إلا أنى قد رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيما في شئ لهما ، ثم انطلقا .

فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبقار بعيريهما فقتله بإزاء فيه للثوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب ! فأمرع إلى أصحابه فغرب وجّه هير من الطريق فساحل بها ، وترك بدرأ يساره .

(١) هو بسبّس بن عمرو بن نعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن دبيان .

[الرسول يستشير أصحابه]

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى وادياً يقال له « ذِفْرَان »
فجَزَعَ^(١) فيه ، ثم نزل .

وأناه الخبهر عن قريش بمسيرهم ليمسوا غيرهم ، فأخبر الناس واستشارهم .

فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال
وأحسن ، ثم قام العِقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أراك الله فنعن
ملك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : « اذهب
أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا فاعدون » راسكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا
معكنا مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْكِ الْغِيَادِ^(٢) لجلدنا
ملك من دونه حتى نبلغه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعنا
له ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أيها الناس . وإنما يريد
الأنصار ، وذلك أنهم عدَدُ الناس ، وأنهم حين يأتونه بالعقبة قالوا :
يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إليها فأنت
في ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتخوَّفُ ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا بمن دهمه بالمدينة من
عدوه ، وإن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم إلى عُدْرَةٍ^(٣) ، فلما قال
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ : والله لسكأنك تربدنا
يا رسول الله ؟ قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقك ؛ وشهدنا
أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع
والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنعن معك ، فوالذي بعثك بالحق

(١) جَزَعَ الوادى : قطعه .

(٢) برك الغياد : أنهى موسى بناحية البين .

(٣) ابن هشام : يسير بهم إلى عدو من بلادهم . وداها أوضيح .

لو استعمرضت بنا هذا البحر فحضته لخلصناه منك، ما يتخاف^(١) منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا أصبر في الحرب صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسير بنا على بركة الله.

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد واشطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا فإن الله تبارك وتعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من «ذيران» حتى نزل قبياً من بذر فركب هو ورجل من أصحابه، قيل هو أبو بكر الصديق، حتى وفد على شيخ من العرب فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بأمة عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أتما؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتنا أخبرناك. قال أو ذلك بك، قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، وإن كان صدق لدى أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، المكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدق لدى أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، المكان الذي به قريش. فلما فرغ من حديثه، قال: من أتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء. ثم انصرف عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: يقول الشيخ: ما من ماء إلا أمن ماء العراق؟

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه، فلما أتمى بحث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص وفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتئمسون الخيل له عليه، فأصابوا راوية^(٢) لقريش فيها علامان ابنيهم، فأتوا

(١) ابن هشام: ما تخلف.

(٢) الراوية: البعير ونحوه يستقى عليه.

بهما فسألهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، فقالا : نحن سقاء قريش بمشونا نلقيهم من الماء ، فسكروا القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضرب بهما ، فلما أذاقوهما^(١) قالا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما .

ورآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه ، ثم سلم وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ! صدقا والله إنهما اقريش ، أخيرا إني عن قريش . فقالا : هم وراء هذا السكائب الذي ترى . قال : كم القوم ؟ قال : كثير . قال : ما عدتهم ؟ قال : ما عدري . قال : كم ينحدرون كل يوم ؟ قال : يوماً تسماً ويوماً عشراً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والالف .

ثم قال لهما : من فيهم من أشرف قريش ؟ قال : سبيعة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الليثية بن هشام ، وحكيم بن جرام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر ، وطائفة بن عدي ، والنضر بن الحارث ، وزمنة ابن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأميرة بن خلف ، وبيبه ومُنَبِّه ابنا الحجاج ، وشهيل بن عمرو ، وعمر بن عبدود .

فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد آتت إليكم أفلاذ أئدها ! .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهنم بن الصلت بن نحرمة ابن المطالب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إني أرى فيما يرى النائم ، وإني أبين النائم واليقظان ، إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ومعه بهير له ، ثم قل : قُتِلَ عُتَيْبَةُ بْنُ رَيْمَةَ وَشَيْبَةُ بْنُ رَيْمَةَ ، وأبو النخع بن هشام ،

(١) أذاقوهما : أوجعهما .

وأمية بن خلف وفلان وفلان ، فمدد رجالاً ممن قُتل يوم بدرٍ من أشرف قريش ، ثم رأيتُه ضرب في كُبةٍ بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ من دمه .

فبلغت أبا جهل فقال : وهذا أيضاً نبي آخر من بني عبد المطلب ! سيء لم غداً من القتول إن نحن التقينا .

[الذين تخافوا من قريش]

قال : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عِيره أرسل إلى قريش : إنكم خرجتم لتنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله ، فارجموا .

قال أبو جهل : والله لا ترجع حتى نرد بذراً ، وكان موسماً للعرب لهم به سوق كل عام ، فلقم عليه ثلاثاً ، فدنجر الجزر ، ونظام الطعام ، ونسقي الخمر ، وتمزق علينا القيان ونسمع بدا العرب وبسيرانا وجعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها ، فامضوا .

وقال الأخنس بن شريق الثقفي : يا بني زهرة ، وكان حليفاً لهم : قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم تحرمه بن نوفل ، وإنما نفرتم لتنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبْنَهَا وارجموا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضئمة ، لا ما يقول هذا .

فرجموا فلم يشهدوا زهرى واحداً ، أطاعوه وكان فيهم مطاعاً .

ولم يكن بقي من قريش بطن إلا وقد نفر منهم ناس إلا أبو عدي بن كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس ، فلم يشهد بديراً من هذين القبيلتين أحد .

وكان بين طالب بن أبي طالب وكان في القوم ، وبين بعض قريش

مخاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هَوَاكم لمع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع وقال :

لَا هُمْ إِلَّا يَفْزُونَ طالب في عَصْبَةٍ مَخَالِفًا مُحْسِرًا
في مَقَنَّبٍ من هذه المقنَّاب^(١) فليكن المطلوب غير الطالب^(٢)

وليكن المغلوب غير الغالب

ومضت قريش حتى نزلوا بالمدونة القصوى من الوادي خلف القننقل
والقناب ببدر في المدونة الدنيا إلى المدينة .

وبعث الله عز وجل السماء ، وكان الوادي دَهْشًا ، فأصاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما أجد لهم الأرض ولم ينفهم من المسير ،
وأصاب قريشًا ما لم يقدرُوا أن يرتعوا معه .

| نزول المسلمين ببدر |

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاءوا
أدنى ماء من بدر نزلوا به .

فذكروا أن الخطاب بن المنذر بن الجهم الأنصاري قال : يا رسول الله
أرايت هذا المنزل ، أأنزل أنزلك الله إيس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟
أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟

فقال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله فإن هذا
ليس بمنزل ، فاسم بنا حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم ننزور
ما وراءه من القناب ثم نبنى عليه حوضًا فندله ماء ثم نقاتل القوم ، فنشرب
ولا يشربون .

(١) القناب : الخامة من الخيل .

(٢) ت : وليكن المطلوب غير الغالب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فساروا حتى إذا إلى أدنى ماء إلى القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فنورت وبني حوضاً على انقلاب الذى نزل عليه فلى ماء ثم قذفوا فيه الآنية .

وقال سعد بن معاذ : يا نبي الله ألا ننبئ لك عريشاً تكون فيه ، ونعدك عندك ركائبك ، ثم تلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فاجعت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن أشد حياء لك منهم ، ولم نطؤوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يملكك الله عز وجل بهم يناسحونك ويجاهدون معك .

فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعاه بخير ، ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش كان فيه .

[نزول قریش بیدر]

وارتحلت قریش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من الكيئيب الذى جاءوا منه ، قال : اللهم هذه قریش قد أقبلت بخيلائها ونفورها تحدك وتكذب رسولك ، اللهم فنهرك الذى وعدنى اللهم أخنهم^(١) الغداة .

وقد كان خفاف بن أيماء بن رخصة الغفارى أو أبوه يمشى إلى قریش حين مرّوا به ابناً له يمزأثر أهداها لهم ، وقال : إن أحببتكم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا . فأجابوه : أن وصلاتك رحيم قد قضيت الذى عليك ، فلم يردى

(١) أخنهم : أهلكهم .

أثنى كفا إنما نقاتل الناس ما بنا ضغف عنهم ، وأثنى كفا إنما نقاتل الله كما
يزعم محمد ما لأحد بالله من طاقة !

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش فيهم حَكِيم بن حزام حتى وردوا
حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : دَعُوهم . فسا شرب منه يومئذ
رجل إلا قتل ، إلا ما كان من حَكِيم بن حزام فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعده
فُسَيْن إسلامه ، وكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا ، والذي تجباني من
يوم بدر .

ولما اطمأن القوم بعثوا عُمَيْر بن وهب الجَمَحِي فقالوا : احزِر^(١) لئلا
أصحاب محمد . فدار بفرسه حول المعسكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل
يزيدون قليلا أو ينقصونه ، واسكن أمهلوني حتى أنظر القوم كين أو مدد ،
فضرِب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع إليهم فقال : ما رأيت شيئا ،
واسكن رأيت يا معشر قريش البلاء يا تحمل المايا ، نواضح يثرب تحمل الموت
النافع ، قوم ليس لهم منعة ولا ما جاء إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتل
رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فا خير العيش
بعد ذلك ، فرؤا رأيكم .

فلما سمع حَكِيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأثى عُبَيْة بن ربيعة فقال :
يا أبا الواليد إنك كبير قريش وسيدها والطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال
تذكر منها بخير إلى آخر الدهر ؟ فقال : وما ذلك يا حَكِيم ؟ قال : ترجع
بالناس ، ونحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي . قال : قد فعلت ، أنت على
بذلك إنما هو حليف فملى عقله وما أصيب من ماله ، فأثى ابن الحضرمية ، بعض
أبا جهل ، فأثى لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره .

ثم قام عتبة خطيباً فقال :

يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله
ثلاث أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه
أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا واخلوا بين محمد وبين سائر الناس ،
فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألمانم ، ولم نمتصوا
منه ما تريدون .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عتبة في القوم على جهل له
أحر فقال : إن بك عند أحد من القوم خير فمدد صاحب الجمل الأحمر ،
إن يطيعوه يرشدوا .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نزل^(١) دبراً له
من جرابها فهو يهينها^(٢) ، فقلت له : يا أبا الحكم إن عتبة أرساني إليك بكداً
وكذا ، والذي قال . فقال : انتفخ والله سحره^(٣) حين رأى محمداً ، أصحابه ،
كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وما بمؤتة ما قتل ، والله قد
رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنة ، فقد نخوفكم عابه .

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ، فقال : هذا حليمك يريد أن يرجع
بالناس ، وقد رأيت تارك بعيدك ، فقم فانشد خذك ، ومقتل أحبك .

فقام عامر بن الحضرمي فاكشف ثم صرخ : وانتمراه ، وانتمراه !
فحيمت الحرب وحقب^(٤) أمر الناس واستوتوا على ما هم عابه من الشر
وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة .

(١) نزل : أخرج .

(٢) يهينها : يطليها .

(٣) السحر : الرثة ، وهو كناية عن الجوع .

(٤) حقب : اشتد .

فلما بلغ عتبة قول أبي جهل : انتفخ والله سخره ، قال : سيلم مُصفر
استبه من انتفخ سحره أنا أم هو ؟
ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسمه من
عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجّر^(١) على رأسه ببرد له .

المبارزة |

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق
فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه .
فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فذربه فأطن^(٢) قدمه بصف ساقه وهو
دون الحوض ، فوقم على ظهره تشخب^(٣) رجله دماً ، ثم حبا إلى الحوض حتى
اقتحم فيه يريد زعم أن تبر يديه ، وأنبمه حمزة فغربه حتى قتله في الحوض .
ثم خرج بملء عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوائد بن عتبة حتى إذا
نصل^(٤) من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة وهم
عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما غفراء ، وعبد الله بن رواحة^(٥) فقالوا : من
أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قالوا : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى
مفاديههم : يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قومنا . فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : قم يا عبدة بن الحارث ، وقم يا حمزة وقم يا علي . فلما قاموا ودنوا
منهم ، قالوا : من أنتم ، فقال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال
علي : علي . قالوا : أكفأنا كرام .

(١) اعتجّر : نسيم .

(٢) أطن : أطار .

(٣) تشخب : تسيل .

(٤) نصل : خرج . وفي ابن هشام : فصل .

(٥) ابن هشام : ورجل آخر يقال : هو عبد الله بن رواحة .

فبارز عبيدة ، وكان أسن القوم ، عتبة ، وبارز حمزة شيبه ، وبارز
على الوليد .

فأما حمزة فلم يُمهل شيبه أن قتله . وأما علي فلم يمهّل الوليد أن قتله ،
واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلالهما أثبت صاحبه ، وآثر حمزة وعلي
بأسيافهما على عتبة فذفعا^(١) عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه .

وذكر ابن عتبة ، أنه لما طلب القوم المبارزة فقام إليهم ثلاثة نفر من
الأنصار ، استحميا النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لأنه كان أول قتيل الذي
فيه للمسلمون والمشركون ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد معهم ، فأحب
للهي صلى الله عليه وسلم أن تكون الشوكة بيني وعبي ، فناداهم أن ارجعوا
إلى مصافكم ، وليقم إليهم بدو عمهم . فعند ذلك قام حمزة وعلي وعبيدة .

* * *

ثم تراخف الناس ودأ بعضهم من بعض ، وأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتى بأمرهم ، وقال : إن اكتففسكم القوم
فانضحوم^(٢) عنكم بالنبل .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر الصديق ، وكان
شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحد ، أحد .

وعذل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الصفوف ، صفوف أصحابه
وفي يده قِدْح^(٣) يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزيرة حليف بني عدي
ابن النجار وهو مُسْتَنْصِل من الصف ، أي بارز ، فطعن في بطنه بالقِدْح

(١) ذفعا : أجهزا .

(٢) انضحوم : ادفنوم .

(٣) القدح : السهم .

وقال : اسْتَو يا سواد . فقال : يا رسول الله أُرْجَعْتَنِي ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فَأَقْدُنِي^(١) . فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : اسْتَقْدُ ، فاعتنقه فقبّل بطنه ، فقال له : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله حَصْر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ ، فدعا له بنزير ، وقاله له .

ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع إلى العريش ، فدخله ومعه أبو بكر ، ليس فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : اللهم إن شئت لك هذه المعصاة اليوم لا أعبد . وأبو بكر يقول : يا نبي الله بعض ما شئت لك ربك فإن الله منجز لك ما وعده .

وخفق^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ، ثم انقبه فقال : أبشر يا أبا بكر أنك نصر الله ! هذا جبريل أحد بعثان فرسه يقوده على ثغاباه النقع . يريد الغبار .

ورمى منهجج مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتله^(٣) ، فكان أول قتيل من المسلمين .

ثم رمى حارثة بن سراقة ، أحد بني عدي بن البجاء ، وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب محرمه فقتله .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فخرّضهم ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محسباً مُقْبِلاً غير مُدْبِرٍ إلا أدخله الله الجنة .

(١) أقْدُنِي : اقمس لي .

(٢) ابن هشام : وقد خفق .

(٣) ابن هشام : اقتل .

فقال عُثْمَرُ بْنُ الْحِطَّامِ ، أَخُو بَنِي سُلَيْمَةَ وَفِي يَدِهِ تَمَرَاتٌ يَا كَلْبَانُ : أَخْرِجْ أَوْ أَفَايِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَمُوتُنِي هَؤُلَاءِ ! ثُمَّ قَذَفَ التَّمَرَاتَ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

وَقَالَ يَوْمُئِذٍ عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ ابْنُ عَقْرَاءَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُضْحِكُكَ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ ؟ فَقَالَ غَمَسَهُ يَدُهُ فِي الْعَدُوِّ حَامِرًا أَنْ يَنْزِعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ .

وَقَاتَلَ عُكَّاشَةُ بْنُ يَحْصَنَ الْأَسَدِيُّ حَلِيفَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفِهِ حَتَّى انْقَطَعَ فِي يَدِهِ ، فَأَنَّى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ جِذْلًا مِنْ حَطْبٍ ، فَقَالَ : قَاتِلْ بِهَذَا يَا عُكَّاشَةُ فَلَمَّا أَخَذَهُ هَزَّهُ فَمَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا طَوِيلَ الْقَامَةِ شَدِيدَ الْمَتْنِ أَيْبَضَ الْحَدِيدَةَ ، فَقَاتَلَ بِهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ ذَلِكَ السَّيْفُ يُسَمَّى الْعَوْنُ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ بِشَهِيدٍ بِهِ الشَّاهِدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ فِي الرَّدَّةِ وَهُوَ عِنْدَهُ ، قَتَلَهُ طَالِيحَةُ الْأَسَدِيُّ ^(١) .

[هَزِيمَةُ الْكَفَّارِ]

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ حَفَظَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ فَاسْتَقْبَلَ بِهَا قُرَيْشًا ثُمَّ قَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ شَاهَتِ الْوُجُوهُ . ثُمَّ نَفَحَهُمْ بِهَا ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : شُدُّوْا ، فَسَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَيْهِمْ .

وَجَعَلَ اللَّهُ تِلْكَ الْحَصْبَاءَ عَظِيمًا شَأْنَهَا لَمْ تَتْرِكْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ رَجُلًا إِلَّا مَلَأَتْ عَيْنَهُ .

وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُمُ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ

(١) ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ بَعْدَ هَذَا الْخَبَرِ شُرَا طَالِيحَةَ فِي ذَلِكَ ٦٣٧/٢ .

ويجدون النفر كل رجل منهم مُنْكَبَّ عَلَى وَجْهِهِ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَقُوجُهُ ،
يَعَالِجُ التُّرَابَ يَنْزِعُهُ مِنْ عَيْنَيْهِ .

فَقَتَلَ اللَّهُ مِنْ قَتَلَ مِنْ صَدَادِيدِ قُرَيْشٍ ، وَأَسَرَ مِنْ أَسَرَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ .

فَلَمَّا وَضَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ بِأَسْرُونِ وَسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ قَائِمٌ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ
الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَوَشَّحُ السَّيْفِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ
يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَوْفَ كَرَّةِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِ ^(١) ، رَأَى
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِ سَعْدِ الْكِرَاهِيَّةَ لِمَا يَصْلُحُ النَّاسُ ،
فَقَالَ لَهُ : اسْكُتْ يَا سَعْدُ تَسْكُرُهُ مَا يَصْلُحُ الْقَوْمُ ؟ فَقَالَ : أَجَلُ وَاللَّهِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَانَتْ أَوَّلُ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ بِأَهْلِ الشَّرِكِ ، فَكَانَ الْإِثْمَانُ
فِي الْقَتْلِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِقْبَالِ ^(٢) الرِّجَالِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ
أَنَّ رِجَالًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَفِيهِمْ أَخْرَحُوا كُرْهًا ، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا ، فَمَنْ اتَّقَى
مَعَكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ ، وَمَنْ اتَّقَى أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ فَلَا يَقْتُلْهُ ،
وَمَنْ اتَّقَى الْعَبَّاسَ عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ فَلَا يَقْتُلْهُ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا حَرَجَ مَسْتَكْرَهَا . فَقَالَ
أَبُو حَذِيفَةَ : أَمَقْتَلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَعَشِيرَتَنَا وَتَرَكْتُ الْعَبَّاسَ وَاللَّهِ إِنِّي وَجَدْتُهُ
لِأَجَلِهِ ^(٣) السَّيْفَ . فَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ :
يَا أَبَا حَفْصٍ . قَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لِأَوَّلُ يَوْمٍ كُنْتُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي حَفْصٍ . أُبْخِرْتُ بِوَجْهِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالسَّيْفِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي فَلَا أُضْرِبُ عَقَبَهُ بِالسَّيْفِ ، فَوَاللَّهِ
لَقَدْ نَافَقَ

(١) ابن هشام : يَحَارُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ الْعَدُوِّ .

(٢) ابن هشام : اسْتِقْبَاءً .

(٣) الخطبة : أَجْمَلُهُ وَالْحَمْدُ .

وكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي نلت يومئذٍ ولا أزال منها خائفاً إلا أن تسكفها عني الشهادة ، فقتل يومَ الإمامة شهيداً رحمه الله .

وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري لأنه كان أكف القوم عنه بمكة ، وكان لا يؤذيه ولا يبغضه عنه شيء بكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب .

فلقيه الجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار ، يوم بدر ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك ، ومع أبي البختري زميل له^(١) خرج معه من مكة ، قال : وزميلي ؟ قال الجذر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك .

قال : إذا والله لأموتن أنا وهو جميعاً ، لا نتحدث عنى نساء مكة إنى تركت زميلي حرصاً على الحياة وقال :

لن يُسلم ابنُ حُرّةٍ زميلَه حتى يموت أو يرى - بيله
ثم اقتتلا فقتله الجذر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
والذى بمنك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأنيك به فأبى إلا أن يقتلني ،
فقاتلته فقتلته .

هذا الذي ذكر ابن إسحاق في قتل أبي البختري .

وقال موسى بن عقبة : يزعم ناس أن أبا اليسر قتل أبا البختري وبأبي أعظم الناس إلا أن الجذر هو الذي قتله .

ثم أضرب ابن عقبة عن القولين ، وقال : بل قتله غير شك أبو داود

(١) هو جنادة بن مليحة بنت زهير بن المارث بن أسد ، من بني ليث .

الملازني وسلبه سيفه فكان عند بنيه حتى باعه بعضهم من بعض بني أبي البختري .

وكان المجذر قد اشتد أن يستأسر ، وأخبره بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله ، فأبى أبو البختري أن يستأسر وشد عليه المجذر بالسيف وطعمه الأنصاري ، يني أبا داود الملازني ، بين تديبه فأجهز عليه فقتله .

ويومئذ قال المجذر فيما ذكروا :

إِذَا جَهِلْتَ أَوْ نَسِيتَ نَسِيَّ فَأَثْبِتِ النَّسَبَ أُنَى مِنْ بَنِي
الطَّاعِنِينَ بِرِمَاحِ الْبَزْزِيِّ وَالضَّارِبِينَ السَّكْبَشَ حَقِي يَدْعِي^(١)
بَشَرًا يُنْسَبُ مِنْ أَبَوَيْهِ الْبَخْتَرِيُّ أَوْ بَشَرًا يُنْسَبُ مِنْ بَنِي
أَنَا الَّذِي يُقَالُ أَصْلِي مِنْ بَنِي أَطْلَعُ بِالصُّمَّةِ حَتَّى تَنْذِي^(٢)
وَأَغْطِ الْقِرْنَ بِمَنْزَبٍ مَشْرِفٍ أَرْزِمُ الدَّوْتَ كَالْإِزَامِ الْقَرِي^(٣)
فَلَا تَرَى مُجْذَرًا يَقْرَى يَقْرَى^(٤)

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو ، فلما أسلمتُ تسميتُ عبدَ الرحمن ، فكان يلقاني فيقول : يا عبد عمرو أَرَعَيْتَ عَنْ اسْمِكَ مَا كُنْتَ أَدْعُوكَ ؟ فأقول نعم . فيقول : فإني^(٥) لا أعرف الرحمن ، فأجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ،

(١) البزني : النسبة إلى سيرة ، بن دي بزن والكلبش : سيد القوم .

(٢) الصممة : الرمح .

(٣) أغط : أقتل . والعصب : السيف . والمشر : السوط إلى المشرق ، وهي

قري بالشام . وأرزم : أحسن . والمرى : الناقة التي يستعملونها على السير .

(٤) يقري قري : يهضم مثل سنن : يبال : يقري : يقري : يأنى : يأمجب : عمله .

(٥) ما : كأي .

أما أنت فلا نجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . فقلت له : يا أبا عليّ : اجعل ما شئت . قال : فأنت عبد الإله . فقلت : نعم . حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ آخذ بيده ومعى أذراع لي قد استلبتها فأنا أحملها ، فلما رآني قال : يا عبد عمرو . فلم أجبه فقال : يا عبد الإله . فقلت : نعم . قال : هل لك فيّ فأنا خير لك من هذه الأذراع ؟ قلت : نعم .

فطرح الأذراع من يدي وأخذت بيده وبدا به ، وهو يقول : ما رأيت كالיום قط ! ما لكم حاجة في الابن ؟ يريد الفداء . وقال عبد الرحمن : قال لي أمية وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما : من الرجل منكم للعالم بريشة نعامة في صدره ؟ قالت : ذلك حمزة بن عبد المطلب . قال ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل .

قال عبد الرحمن : فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال ، وكان هو الذي يمدّ به بكفة على ترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضان مكة إذا حيت فيضججه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد . فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ . فلما رآه قال : رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجوت ، قال : قلت أي بلال أبيسيري ؟

قال : لا نجوت إن نجا . قلت : أسمع يا ابن السوداء ؟ قال : لا نجوت إن نجا . ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا .

فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة^(١) ، وأنا أذب عنه ، فأحاط

(١) المسكة : الحلقة كالسوار .

رجل السيف فضرب رجل ابنة فوق ، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط ،
فقلت : اهج بنفسك ، ولا نجاء به ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً ، فهبروهما
بأسيا فهم حتى فرغوا منهما ، فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالاً ،
ذهبت أذراعى وجمعى في ^(١) أسيرى .

[الملائكة تقاتل مع المؤمنين]

وقالت الملائكة يوم بدر . قال ابن عباس : ولم تقاتل في يوم سواء ،
وكانوا يكونون فيما سواء من الأيام عدداً أو مدداً لا يضربون ، وكانت
سجّام يوم بدر عمائم بيضاء ، قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراء .
وذكر ابن هشام عن علي رضي الله عنه في سجّام يوم بدر مثل ما قال
ابن عباس ، إلا جبريل ، فإن في حديث علي أنه كانت عليه عمامة صفراء .
وقال ابن عباس : حدثني رجل من غفار قال : أقبلت أنا وابن عمّ لي
حتى أحمّداً في جبل أشرف منه ^(٢) على بدر ، ونحن مشركان ، ونظار لمن تكون
الدائرة فنهب مع من يهوب : فبيدنا نحن في الجبل إذ دنت منا صحابة فسمعنا
فيها تحمّة التليل ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم . فأما ابن عمّي
فانكشف قناعه فأت مكانه ، وأما أنا فسكّدت أهلك ثم تماسكت .
وقال أبو أسيد الساعدي بعد أن ذهب بعصره ، وكان شهيد بدر :
لو كنت اليوم ببدر ومعي بهري لأربتكم الشعب الذي خرجت منه
الملائكة ، لا أشك ولا أناري .

وقال أبو داود المازني : إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه
إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قد قتله غيري .



(٢) ابن هشام : يشرف بنا .

(١) ابن هشام : بأسيرى .

[مصرع أبي جهل]

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر بأبي جهل أن يلتبس
في القتلى ، وقال لهم : انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته ،
فإنى ازدحمت يوماً أنا وهو على مادية لعبد الله بن جُدعان ونحن غلامان
وكت أشف^(١) منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبته فجيش^(٢) في إحداهما
ججشاً لم يزل أثره به .

وكان من حديث عدو الله يوم بدر أنه لما التقى الناس ودنا بعضهم من
بعض قال : اللهم أقطعنا للرحم وآنانا بما لا يعرف فأحذه^(٣) الغداة . فكان
هو المستفتح ، وأقبل يرتجز وهو يقول :

ما تنقيم الحربُ العوانُ منيَّ بازُلُ طامِنٍ حديثٌ مِنِّي^(٤)
لمثل هذا ولدني أمي

وكان أول من لقيه فيما ذكر مُعاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة ،
قال : سميتُ القوم وأبو جهل في مثل المَرْجَةِ^(٥) يقولون : أبو الحكم
لا يُخلص^(٦) إليه .

فلما سمعتها جعلته من شأني ، فصعدتُ نحوه ، فلما أمكنتني حملت عليه

(١) أشف : أنحل .

(٢) الجيش : سهج الجلد وقشره من شيء يصيبه .

(٣) أحذه : أهلكه .

(٤) العوان : الشديدة . والبازل : الذي خرج نابه من الإبل .

(٥) المَرْجَة : الشجر الملتف . وفي الحديث من عمر بن الخطاب أنه سأل أعراباً

عن المَرْجَة فقال : هي شجرة لا يوصل إليها .

(٦) ابن هشام : لا يخلص .

فضربته ضربةً أطلَّت^(١) قدمه بنصف ساقه ، فضربني ابنة عكرمة على طاني فطرح يدي فتملكت بحلقة من جفني ، وأجهضني^(٢) القتال عنه ، فلقد قالت عامة يومي وإني لأسحبها خافي ، فلما آذنتي وضعت عليها قدمي ثم نظمت بها حتى طرحتها . وعاش بعد ذلك معاذٌ هذا رحمه الله ، إلى زمان عثمان رضي الله عنه .

ثم مرَّ بأبي جهل ، وهو عقيص ، معوذ بن عفاة فضر به حتى انبتته فتبركه وبه رمق ، وقال معوذ حتى قتل .

فرَّ عبدُ الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتماسه في القتلى . قال عبد الله : وقد كان ضبث^(٣) بي مرةً بمكة فأذاني ولسكتني ، فوجدته بأحر رمق ففرقتُه فوضعت رجلي على عنقه ثم قالت له : أخزاك الله يا عدو الله ا قال : وبماذا أخزاني ؟ أُنعمد^(٤) من رجل فتأتموه ، أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قالت : لله ولرسوله .

ثم احتزرت رأسه ، ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل . فقال : الله الذي لا إله غيره ؟ وكانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : نعم ، والله الذي لا إله غيره . ثم أقيمت رأسه بين يديه ، فحمد الله .

وحرج مسلم في صحبته عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : بينا أنا واقف في الصف يوم بدر نظرتُ عن يميني وشمال ، فإذا أنا بين علامتين من الأنصار حديثاً أسفاًهما ، فتمنيتُ لو كنت بين أضلع^(٥) منهما فمعرني أحدهما ،

(١) أطلت : أطار .

(٢) أجهضني : هابني .

(٣) ضبث . قبض عليه ونزعه ، قال ضابئ بن الحارث البرجمي :

فأصبحتُ مما كان بيني وبينكم من الودِّ مثل الضابث الماء باليدِ

(٤) أي ما هو إلا رجل قتله قومه يريد أنه ليس عليه عارٌ ذلك .

(٥) أضلع : أقرى .

فقال : يا عم ، هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم وما حاجتك إليه يا بن أخي ؟ قال : أخبرنا أنه يسبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه لا يفارق سِوادي سواده حتى يمُوتَ الأعرجُ مَداً . قال : فتمجبت لذلك ، فغمزني الآخر فقال مثلها .

قال : فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يَجُولُ في الدّاس ، فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه .

فابتدراه ، فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، فقال : أيكما قتله ؟ فقال كل واحدٍ منهما : أنا قتلتُه . فقال هل مسحتما سيفيكما ؟ قال لا ، فنظر في السيفين ، فقال : كلاكما قتله . وقضى بسلبه لِمَعاذ بن عمرو بن الجُوح . والرجلان : معاذ بن عمرو بن الجُوح ، ومعاذ ابن عفراء .

وذكر ابن عُقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم بدر على القتلى ، فالتبس أبا جهل فلم يجدّه ، حتى عُرِفَ ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم لا يُعجزَنَّكَ فرعونُ هذه الأُمّة .

فسعى له الرجال حتى وجده عبد الله بن مسعود مصروعاً ، يلفه وبين المركة غير كبير ، مقنّعاً في الحديد واضعاً سيفه على نَحْذيه ، ليس به جرح ولا يستطيع أن يحرّك منه عضواً ، وهو مكبّ ينظر إلى الأرض ، فلما رآه ابن مسعود طاف حوله ليقتله وهو خائف أن يدوّ^(١) إليه ، فلما دنا منه وأبصره لا يتحرك ظنّ أنه أثبت جراحاً ، فلما أراد أن يضربه بسيفه ، خاف أن لا ينفذ شيئاً فأناه من ورائه ، فتناول قائم سيف أبي جهل فاستلّه وهو مكبّ لا يتحرك ، ثم رفع سابتة اللبّيضة عن قفاه ، فضربه فوق رأسه بين يديه ، ثم سلبه ،

(١) ينوّ : ينهض بمجد ومشقة .

خلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح وأبصر في عنقه حذراً^(١) وفي يديه وكففيه
مثل آثار السياط .

وأتى ابن مسمود النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بقتله ، والذي رأى به ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، زعموا : ذلك ضرب الملائكة .

| في القليب |

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتل أن يُطرحوا في القليب فطرحوا
فيه إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ في درعه فلاها ، فذهبوا
ليجروه فتزابل ، فأقروه وألقوا عليه ما غيبيه من التراب والحجارة .

ويقال أنهم لما ألقوا في القليب وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال : يا أهل القليب بثس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتوني
وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتوني ونهزني الناس .
يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ، فإني وجدت ما وعدني
ربي حقاً .

فقال له أصحابه : يا رسول الله أتلكم يوماً موتى ؟

فقال لهم : لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق .

والناس يقولون : لقد سمعوا ما قلت لهم ، وإنما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لقد علموا .

وفي حديث أنس أن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين
نادى أصحاب القليب : يا رسول الله أتنادى يوماً قد جيئوا . فقال : ما أنتم
بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني .

وذكر ابن عقبة نحوه من ذلك عن نافع عن عبد الله بن عمر .

(١) الحذر : ورم الجلد وقطعه من الضرب .

وقال حسان بن ثابت :

عرفت ديارَ زينبَ بالكثيب
كخط الوخى في الورق القشيب^(١)
تداولها الرياح وكلُّ جَوْنٍ
من الوشمى منهرٍ سَكُوبٍ^(٢)
فأَمسى رَئيمها خَلَقًا وأمست
يبابًا بعد ما كسا الحبيب
فَدَغَ عنك التذائرُ كلُّ يومٍ
ورُدَّ حرارة الصُّدر الكثيب
وخبرٌ بالذى لا عيبَ فيه
بصدقٍ غير أخبار السكُوب
بما صَنَعَ للمليك غداة بدرٍ
لنا في المشركين من الصيب
غداة كان جمعهم حِرَالًا
بَدَتْ أركانه جَنَحَ الغروب
فلا قَيْنَهُمْ منّا بجمع
كأسد الغناب مُرْدانٍ وشيب

(١) الكثيب : الرمل المكس . والقشيب : الجديد .
قال السهلي : أراد حسان بالقشيب هنا : الذى خالطه ما يفسده ، إما من دنس وإما
من قدم .
(٢) الجون : الأيئس ، والوشمى : مطر الربيع الأول .

أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ آزَدُوهُ
 عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي لَفْحِ الْحُرُوبِ
 بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتِ
 وَكُلِّ مَجْرُبِ خَائِلِي الْكُتُوبِ^(١)
 بَنُو الْأَوْسِ الْفُطَارِفِ آزَرَتْهَا^(٢)
 بَنُو النَّجَّارِ فِي الدِّينِ الصَّالِبِ^(٣)
 فَغَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيحًا
 وَغُتَبَةً قَدْ تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ^(٤)
 وَشِدْبَةً قَدْ تَرَكْنَا فِي رِجَالِ
 ذَوِي حَسَبٍ إِذَا نُسِبُوا حَسِيبِ
 يَمَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا
 قَذَفْنَاهُمْ كَتَبًا كَبَّ فِي الْقَلَائِبِ^(٥)
 أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا
 وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
 فَمَا نَطَقُوا ، وَأَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا
 صَدَقْتَ وَكَذَبْتَ ذَا رَأْيٍ مُسَبِّبِ

* * *

- (١) الصوارم : السيوف البوار . والمخاض : مكنته الكتب .
 (٢) ابن هشام : وأزرتها .
 (٣) الصالِب : الشديد .
 (٤) الجبوب : وجه الأرس .
 (٥) كَبَّ كَبَّ : جماعات .

ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتقوا في القليب أخذ عتبة ابن ربيعة فسحب إلى القليب ، ففطر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر ، في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير فقال : يا أبا حذيفة لعلك دخلك من شأن أبيك شيء ؟ أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

قال ^(١) : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مضرعه ، ولكنني كنت أعرف من أبي رأيا وحِلما وفضلا ، فسكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ^(٢) ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، أحزنني ذلك .

فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا .

[الذين ظلموا أنفسهم]

وكان في قريش فتية أسلموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما هاجر إلى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة ، وفتاؤهم فافتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعا ، فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كذبتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ^(٣) » .

وأولئك الفتية : الحارث بن زمة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاركة وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن مغيبة ابن الحجاج .

(١) ابن هشام : فقام .

(٢) ابن هشام : إلى الإسلام .

(٣) سورة النساء ٩٧ .

[قسمة الغنائم]

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في العسكر مما جمع للناس فجمع .

فاختلف فيه المسلمون ، فقال من جمعه : هو لنا . وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصبتموه ، لفتح شتاتنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم .

وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدو :

والله ما أنتم بأحق به منا ، لقد رأينا أن تقتل العدو إذا مضى الله أكتافهم^(١) ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يملكه ، ولا كنا نخفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرّة للعدو فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا .

فكان عبادة بن الصامت إذا سُئل عن الأنفال ، قال : فيها مما شرب أصحاب بدر أنزلات حين اختلفنا في النّقل وسامت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة بيننا على بؤاه .
يقول : على السواء .

فكان في ذلك تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله ، وصلاح ذات البين .

[بشير العسر]

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رزاحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل

(١) ابن هشام : أكتاهه .

للساقلة ، قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبرُ - حين سويَدا على رُقِيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خافئى عليها مع زوجها عثمان - أن زبداً بن حارثة قد قدِم .

قال : فجنَّته وهو واقف بالمصلَّى وقد غشيه الناس وهو يقول : قتل عُتْبَةُ ابن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة وأبو جهل بن هشام ، وزَمْعَةُ بن الأسود ، وأبو البَخْتَرِيِّ بن هشام ، وأمِيَّة بن خَلَف ، ونُدْبِيَّة ومُتَقَبَّة ابنا الحجاج . قلت : يا أبتِ أحقُّ هذا ؟ قال : نعم يا بني ^(١) .

[رجوع الرسول إلى المدينة]

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين ، وفيهم عُتْبَةُ بن أبي مُعَيْط والنُّضَر بن الحارث ، حتى إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مَضِيق الصفرَاء ، نزل على كَثِيب يقال له سَيْرٌ إلى سَرَحَةٍ به ، ففَسَمَ هنالك النِّهْل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء .

ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء ، أقيم المسلمون يهيمونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش : ما الذى تهيموننا به ؟ فوالله إن أقمينا إلاَّ عِجَازَ صُلَمَاء كالأبدن المعقَّلة فنحرقها . فنبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أى ابن أخى ؟ أرايتك اللأ ^(٢) .

حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفرَاء ، قتل النُّضَر ابن الحارث ، قتله عليُّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، ثم خرج حتى إذا كان

(١) ابن هشام : نعم والله يا بني .

(٢) اللأ : الأشراف والرؤساء .

بِعَرَقِ الظُّبَيْةِ ، قُتِلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ عُقْبَةُ حِينَ أُمِرَ بِقَتْلِهِ : فَن
لِلصَّبِيَّةِ يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : النَّارُ !

فَقَتْلُهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ ، فِي قَوْلِ ابْنِ عُقْبَةَ وَابْنِ إِسْحَاقَ .
وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ ^(١) : قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَتْ قُتَيْبَةُ أُخْتُ النَّضْرِ ^(٢) بِنِ الْحَرْثِ لَمَّا بَلَغَهَا مَقْتُلُ أَخِيهَا :

يَا رَاكِبًا إِنِّ الْأَثِيلَ ^(٣) مَطْلَعَةٌ

مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتِ مُوَفَّقُ

أَبْلَغُ بِهَا مَيْتًا بِأَنْ نَحْمِيَهُ

مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا الرِّكَابُ تَخْفُقُ

مَنْى إِلَيْكَ وَعَظِيرَةٌ مَسْفُوحَةٌ

جَادَتْ بِوَاكِفِهَا وَأُخْرَى تَخْفُقُ ^(٤)

هَلْ بَسَمَعَنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ

أَمْ . سَتِيفَ بَسَمَعُ مَيْتٍ لَا يَنْطِقُ

أَعْمَدُ يَا حَيْرُ ضَيْقٍ كَرِيمَةٍ

فِي قَوْمِهَا وَالْفَتَحُفْلُ فَيَنْسَلُ مُعْرِقُ ^(٥)

(١) ذكر ابن هشام القول الأول ثم قال : وبه قال : قتله علي بن أبي طالب يوم بدر .
ابن هشام الزهري وغيره من أهل العلم .

(٢) قال السهيلي : الصحيح أنها بنت النضر لا أخته ، لذلك قال الزبير وغيره ، وكذلك
وقم في كتاب اللؤلؤ : انروض ٢ / ١١٩ .

(٣) الأثيل : موضع بين بدر ووادي الصفاة .

(٤) الواكف : النهر . ون سيرة ابن كثير ٢ / ٤٧٤ : يوابلها .

(٥) الفن : الأصل . وروى : متى : وهو الأصل والولد . والمعرق : العريق السكرم .

ما كان ضَرَّكَ لوْ مَنَنْتَ وربِّما
 مَنَ الْفَتَى وهو الْمَغِيْظُ الْحَقُّ
 والنَّضْرُ أَقْرَبُ منْ أُسْرَتَ قَرَابَةً
 وأَحَقُّهُمْ إنْ كَانَ عِثْقُ يُعْتَقُ
 ظَلَّتْ سِوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْفُوشُهُ
 اللَّهُ أَرْحَمُ هَكَذَا تُشَقِّقُ ا

قال ابن هشام : فيقال والله أعلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لما بلغه هذا الشعر قال : لو بلغني هذا الشعر قبل مقتله ، لمقت عليه .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم ،
 وقد كان فرقهم بين أصحابه ، وقال : استوصوا بالأسارى خيراً .

وكان أبو عزيز بن عمير أخو مُصَنَّب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى ،
 قال : وكنت في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدرٍ وكانوا إذا قدّموا
 غداهم وعشاءهم خصّوني بالخبز ، وأكلوا النمر ، أوصية رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفّحني
 بها ، قال : فأستحي فأردّها عليه فيردّها عليّ ما يمستها ا

قال : ومرّ بي أخي مُصَنَّبٌ ورجلٌ من الأنصار يأسرنى ، فقال له :
 شدّ يدك به ، فإن أمته ذات متاعٍ لعلها تقدّبه منك فقال له أبو عزيز - فيما
 ذكر ابن هشام - يا أخي هذه وصانك بي ا فقال له مصعب : إنه أخي
 دونك ، فسألت أمّه عن أغلى ما قدّيت به قرشيّ ، فقيل لها : أربعة آلاف
 درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها .

وذكر قاسم بن ثابت في دلائله ، أن قریشاً انما توجهت إلى بدرٍ مرّةً
هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بأبعد
صوتٍ ولا يرى شخصه :

أَزَارَ الحَنِيفِيّونَ بِدَرًا وَقِيْعَةً
سَيِّئَةُ مَنْهَا رُكْنٌ كِشْرَى وَقِيْعَرَا
أَبَادَتْ رِجَالًا مِنْ لُؤْيٍ وَأَبْرَزَتْ
خَرَائِدَ بَغْرَيْنَ التُّرَائِبِ حُسْرَا
فِيَا وَبِعَ مِنْ أَمْسَى عَدُوِّ مُحَمَّدٍ
لَقَدْ حَادَّ عَنْ قَهْدٍ الْهَدَى وَتَحْيَرَا

فقال قائلهم : من الحنيفةيون ؟ فقالوا : هو محمدٌ وأصحابه ، يزعمون أنهم
على دين إبراهيم الحنيف ، ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين^(١) .
وكان أول من قدم مكة بمصاف قریش : الحنيسمان بن عبد الله الخزاعي .
فقاتلوا ما وراك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم
ابن هشام وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، ونبيه ومُنَبِّه ابنا الحجاج ،
وأبو البختري بن هشام ، فلما جعل يمدد أشراف قریش ، قال صفوان
ابن أمية وهو قاعد في الحِجْرِ والله إنَّ يَحْقُلَ هذا ، فسأله عنى . قالوا :
ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذاك جالس في الحِجْرِ ، وقد والله
رايت أباه وأخاه حين قُتِلَا .

[موت أبي لهب]

وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعباس
ابن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دَخَلْنَا أهلَ البيت فأسلم العباسُ ،

(١) الروس الألف ٨٥/٢ .

وَأُمُّ الْفَضْلِ ، وَأَسْلَمَتْ ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ بِهَابُ قَوْمِهِ ، وَبَكَرَهُ خِلَافَتُهُمْ ، فَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ مَتَفَرِّقٍ فِي قَوْمِهِ ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرِ فَلَمَّا جَاءَهُ الْخَبَرُ عَنْ مَصَابِ أَصْحَابِ بَدْرِ مِنْ قَرِيشٍ كَيْفَهُ اللَّهُ وَأَخْرَاهُ ، وَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا قُوَّةَ وَعِزَّةً ، وَكَفْتُ أَعْمَلَ الْأَفْدَاحَ فِي حُجْرَةٍ زَمَزَمَ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَجَالِسٌ فِيهَا أَنْتَحْتُ أَفْدَاحِي وَعَدَدِي أُمُّ الْفَضْلِ جَالِسَةً ، وَقَدْ سَرَّنا مَا جَاءَنَا مِنَ الْخَبَرِ ، إِذَا أَقْبَلَ أَبُو لَهَبٍ يَمْجُرُ رَجُلِيهِ بِشَرِّ حَتَّى جَلَسَ إِلَى حُطْبٍ^(١) الْحَجَرَةَ ظَهَرَهُ إِلَى ظَهْرِي .

فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ إِذَا قَالَ النَّاسُ : هَذَا أَبُو سَفِيَّانُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ قَدِمَ . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ هَلُمُّ إِلَيْهِ فَعِنْدَهُ أَمْرِي الْخَبَرُ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ النَّاسُ قِيَامَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ يَا بَنَ أَخِي أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ لَقِينَا الْقَوْمَ فَمِنْهُمْ أَمْ كِتَافُنَا يَمُوتُونَ^(٢) كَيْفَ شَاءُوا وَبِأَسْرُونَا كَيْفَ شَاءُوا وَأَيْمُ اللَّهِ مَعَ ذَلِكَ مَا لُمْتُ النَّاسَ ، لَقِينَا رَجُلًا بَيْضًا هَلِي خَيْلٌ بَلَقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ مَا تُلَيِّقُ^(٣) شَيْئًا ، وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ .

قَالَ أَبُو رَافِعٍ : فَرَفَعْتُ حُطْبَ الْحَجَرَةِ بِيَدِي ثُمَّ قَالَتْ : تِلْكَ وَاللَّهِ لِللَّائِسِكَةِ ! فَرَفَعَ أَبُو لَهَبٍ يَدَهُ فَضْرَبَ وَجْهِي ضَرْبَةً شَدِيدَةً ، وَتَاوَرَّتْهُ فَاحْتَمَلَنِي وَضْرَبَ بِي الْأَرْضَ ، ثُمَّ بَرَكَ عَلَيَّ فَضْرَبَنِي وَكَفْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا ، فَقَامَتْ أُمُّ الْفَضْلِ إِلَى عَمُودٍ مِنْ عُمُدِ الْحَجَرَةِ فَضْرَبَتْهُ بِهِ ضَرْبَةً قَاتَلَتْ^(٤) فِي رَأْسِهِ شَجَّةً

(١) الطنب : جبل طويل يشد به بسرادق البيت أو الوند . وامله يريد : المار .

(٢) ابن هشام : يقولوننا كيف شاءوا . وماهنا أصح وأوضح .

(٣) ما تلبيق : ما تليق .

(٤) فلفت : كذا بالأصل ، والطبري ١٣٣٠ ط أوربا و ابن هشام : دلت .

ومعناها : شقت .

منكرة . وقالت : استضعفه^(١) أن غاب عنه سيده ا فقام مؤثماً ذليلاً ،
فوالله ما غاب إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتله .
وذكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه أن العدسة قرحة كانت العرب
تقشام بها ويرَوْن أنها تُمدى أشد المذى .

فلما أصابت أبا لب تباعد عنه بلوه ، وبقي بعد موته ثلاثاً لا تُقرب
جنازته ، ولا يحاول دفنه ، فلما خافوا الشبهة في تركه حفروا له ثم دفعوه بمؤيد
في حفرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد ، حتى وارؤه^(٢) .

وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه : إنهم لم يحفروا
له ولكن أسدوه إلى حائطٍ وقذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط ،
حتى وارؤه .

ويروى أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا مرت بموضع ذلك غطت
وجهها .

وخرج البخاري في صحيحه أن أبا لب رآه بعض أهله في المنام بشراً خبيثاً ،
أي حالة ، فقال : ما لقيت بعدكم راحةً ، غير أنني سُقيت في مثل هذه - وأشار
إلى النقرة بين السجاية والإبهام - بميتقى ثوبية .

وثوبية هذه أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضعت عمه حمزة
وأبا سلمة بن عبد الأسد .

وروى غير البخاري أن الذي رأى أبا لب من أهله هو أخوه العباس ،
قال : فسكنت حولاً بعد موت أبي لب لا أراه في نوم ، ثم رآته في شر

(١) ابن هشام : استضعفه وما هنا موافق لرواية الطبري في تاريخه .

(٢) تاريخ الطبري ١٣٣٠ ط أوربا .

حال ، فقال : ما لقيتُ بعدكم راحةً ، إلا أن العذاب يُخَفَّفُ عَنِّي كُلَّ يوم اثنين .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ، فبشَّرتُ أبا لهب بمولده ثُوَيَّبة مولاته فقالت له : أشعرت أن آمنة ولدت غلاماً لأحيك عبد الله ؟ فقال لها : اذهبي فأنت حرّة ، فنفعه ذلك وهو في النار ، كما نفع أخاه أبا طالب ذبُّه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتهاده في منعه ونصرته ، فهو أهونُ أهل النار عذاباً .

ويفعل الله ما يشاء مما يطابق سابق تقديره ، وقد قضى الله سبحانه إحباط عمل الكافرين ، فحال أن يقيم لهم يوم القيامة وزناً ، أو يدالوا عنده بشيء قدموه مما يتصور بصورة الأعمال الصالحة نعمًا ، إلا أنه ربحا جعل التفاضل بين جاهلهم وبين من شاء منهم بمقدار العذاب ، فيضاعفه على قوم أضاعوا ، ويضع من شدة ألبه عن آخرين تخفيفاً .

وكل عذاب الله شديد ، فعمود برضا مولانا الكريم من سخطه ، وبمغافاته من عقوبته .

[قریش نبی قتلها]

وحدّث محمد بن إسحاق بن يسار عن يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد ابن عبد الله بن الزبير ، قال : ناحت قریش على قتلامهم^(١) ، ثم قالوا : لا تمحلوا فيباغ محمد وأصحابه فيشمتوا^(٢) بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى نستأنوا بهم لا يتأرب^(٣) عليكم محمد وأصحابه في القداء .

قال : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمنة وعقيل

(١) الطبری : فيشت .

(٢) يتأرب : ينشد ويغلو .

ابناءه ، والحارث بن زمة وهو ابن ابنه ، وكان يحب أن يبكي عليهم ، فسمع نائحة من الليل فقال لأمّام له وقد ذهب بعمره ، انظر هل أحلّ النعيب ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ ألمّا أبكى على أبي حكيمه يعني زمة ، فإن جوفى قد احترق !

فلمّا رجع إليه الغلام ، قال : إنما هي امرأة تبكى على أمير لها أضلته .
قال : فذاك حين يقول الأسود :

أَتَبْكِي أَنْ يَغِيلَ لِمَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعَهَا مِنَ النَّوْمِ السُّمُودُ
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَسْكَرٍ وَلَكِنْ عَلَى بَذْرِ تَقَاعَصَتْ الْجُدُودُ
فِي آيَاتِ ذِكْرِهَا ابْنِ إِسْحَاقَ .

وقد تقدم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأسود بن عبد المطلب هذا بأن يعنى الله بعمره وبشكله ولده ، فاستجيب له وفق دعائه ، سبق العمى أولاً إلى بعمره ، ثم أصيب يوم بدر بمن نُمّي آفأ من ولده ، فتمت إجابة الله سبحانه رسوله فيه .

وكان في الأسارى أبو وداعة السهمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له عكة ابناً كَيْسًا تاجرًا ذا مالٍ ، وكأسكم به قد جاءكم في طلب فداء أبيه فلما قالت قريش : لا تمّجلوا بفداء أسراكم لا يتأرب عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة ، وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عني : صدقتم لا تمّجلوا . وانسل من الليل فهدم المدينة وأخذ أباه بأربعة آلاف درهم .

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى ، فقدم مكرز بن حفص بن الأخييف في

فداء سهيل بن عمرو وكان الذي أسره مالك بن النخشم أخو بني سالم بن عوف ،
فلما قاؤلم فيه مكرزواته إلى رضاهم قالوا : هات الذي لنا ، قال : اجعلوا
رجلي مكان رجله ، واخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . فخلوا سبيل
سهيل ، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم ، فقال مكرز :

فَدَيْتُ بِأَذْوَادِ ثَمَانٍ سِبَاً فَتَى
بِنَالِ الْعَصِيمِ غُرْمُهَا لَا التَّوَالِيَا
رَهْنَتْ يَدِي وَاللَّالُ أَيْسَرُ مِنْ يَدِي
حُلِيَّ وَلَسْكَفَى خَشِيْتُ الْخَزَايَا
وَقُلْتُ سُهَيْلٌ خَيْرُنَا فَاذْهَبُوا بِهِ
لَأَبْقَانَا حَتَّى نَدِيرَ الْأَمَانِيَا

وكان سهيل قد قام في قريش خطيباً عندما استفزهم أبو سفيان ،
فقال : يا ثعلاب اناركون أنتم عمداً والصباء من أهل يثرب يأخذون غير انكم
وأموالكم ، من أراد مالا فهذا مالي ، ومن أراد قوة فهذه قوة .

فَبُرِّوْا أَنْ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أُسِرَ سُهَيْلٌ يَوْمَ بَدْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ انْزِعْ ^(١) نَمِيتِي سُهَيْلُ بْنُ
عَمْرٍو بَدْلَعِ ^(٢) لِسَانَهُ ، فَلَا يَقُومُ عَلَيْكَ خَطْلِيكَ فِي مَوْطِنٍ أَبَدًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا أُمِثِلُ بِهِ ، فَيَمَثِلُ اللَّهُ بِي ، وَإِنْ
كُنْتُ نَبِيًّا إِنْهُ عَمِي أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لَا تَذُمَّهُ .

(١) الطبرى : انزع . وفي ابن هشام : دعني أنزع .

(٢) بدلع : يخرج .

فصدق الله رسوله ، وكان أسير بعد وفاته صلى الله عليه وسلم في نديت
أهل مكة على الإيمان مقام سياني ذكر حديثه في موضعه إن شاء الله .

وكان عمرو بن أبي سفيان بن حرب^(١) أسيراً في يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أسارى بدر ، فقبل لأبي سفيان بن حرب : فد عمرو أبك .
فقال : أجمع على دمي ومالي ، قتلوا حظلة وأفدى عمراً ؛ دعوه في أيديهم
يسكونه ما بدا لهم ا

فبينا هو كذلك محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ
خرج سعد بن النعمان بن أكل أخو بني عمرو بن عوف معتمراً ، ومعه
مربة^(٢) له ، وكان شيخاً مساكاً في غنم له بالقيع ، فخرج من هناك معتمراً ولا
يخشى الذي صنعه به ، لم يظن أن يحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً وقد كان
عهد قريشاً لا يعرضون لأحد^(٣) جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه
أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بأبيه عمرو . ثم قال أبو سفيان :

أرَهَطَ ابْنِ أَكَلٍ أَجِيبُوا دَعَاءَهُ

تَمَاقِدُنْهُمْ لَا تَسْلُوا السَّيِّدَ السَّكْبَلَا

فَإِنْ بَنَى عَمْرٍو لَيْثَامَ أَذَلَّةٍ

لَنْ لَمْ يَفْسَكُوا عَنْ أَسِيرِهِمُ السَّكْبَلَا

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

(١) في ابن مشام والطبري وكان لابنة عقبة بن أبي معيط .

(٢) مربة : تصغير امرأة .

(٣) الطبري : لا تعترض لأحد .

لو كان سعدٌ يوم مكة مُطلقاً
لأكثرَ فيكم قبل أن يُوسرَ القتلُ
بعضبٍ حُسامٍ أو بصفرَاءٍ نَبعةٍ

نحن إذا ما أُنْبِضتْ تَحْفِزُ النَبِلاءِ^(٢)

ومشى بنو عمرو بن عوفٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان ، فيفككوا به صاحبهم ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فغلب سبيل سعد .
وكان في الأسارى أيضاً أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجه خيراً ، وكان صلى الله عليه وسلم يثني عليه في صهره خيراً ، وكان من رجال مكة المدودين مآلاً وأمانةً وتجارةً ، وهو ابن أخت خديجة رضى الله عنها وهى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي أن يزوجه ، وكان لا يخالفها ، فزوجه ، وكانت تعدُّه بمنزلة ولدها .

فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقبولته ، آمنت به خديجة وببائنه ، فصدقته ودينَ بدينه ، وشهدن أن الذى جاء به هو الحق ، وثبت أبو العاص على شركه .

فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً بأمر الله تبارك وتعالى وبالعداوة ، قالوا : إنكم فرغتم محمداً من همه ، فردُّوا عليه ببائنه فاشغلوه بهن . فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له : فارق صاحبك ونحن نزوجك أى امرأة شئت . قال : لا ها الله ، إنى لا أفارق صاحبتى ، وما أحب أن لى بها امرأة من قريش .

(٢) النبع : شجر القسي والسهام . وأُنْبِضت : حركت . وتحفز : تغذب .

ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
زوجه رقية وأخاه أم كلثوم ، فقالوا له طلق ابنة محمد ونحن نذكحك أي امرأة
من قريش شئت ، فقال : إن زوجتوني ابنة أبان بن سعيد بن العاص ،
أو ابنة سعيد بن العاص فارقتهما . فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ، ولم
يكن دخل بها فأخرجها الله من يده كرامة أمها وهوانا له . وخلف عليها عثمان
ابن عفان بعده .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحمل بمكة ولا يحرم ، مغلوبا على
أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب ابنته وبين أبي العاص ، إلا أنه
كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه ،
حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص فأصيب في الأسارى ،
فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث أهل مكة في
فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي
العاص بمالٍ وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص
حين بنى بها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة ،
وقال : إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها ، وتردّوا عليها الذي لها ففعلوا .
قالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه وردّوا عليها مالها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه أن يحمل سبيل زينب
إليه ، وعده أبو العاص بذلك ، أو شرطه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في
إطلاقه ، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
غيبا ما هو .

إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلى سبيله ، بعث رسول الله صلى الله

عليه وسلم مكانه زيد بن حارثة ، ورجلا من الأنصار ، فقال كونا ببعطن
يا جريح حتى تمر بكما زينب فتصحبها ، حتى تأتيا بها . فخرجا وذلك بعد
بذر بشير أو جمعة ، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالأحوق بأبيها ، فخرجت
تجهز .

قالت زينب : بيئنا أنا أنجهز بمكة لقيتني هند ابنة عتبة ، فقالت : يا ابنة
محمد ألم يبلغنك أنك تريدن اللحاق بأبيك ؟ قلت : ما أردت ذلك . قالت :
أي ابنة عم لا تفعل ، إن كنت لك حاجة بمحتاج عما يرفق بك في سفرك
أو مال تبغين به إلى أبيك ، فإن عندي حاجتك ، فلا تضطلي مني ^(١)
فإنه لا يدخل بين النساء ما [يدخل] ^(٢) بين الرجال . قالت زينب : فوالله
ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، ولكنني خفتها فأنكرت أن أكون أريد
ذلك ، وتجهزت .

ولما فرغت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدم إليها
كيدانة بن الربيع أخو زوجها بغيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكمانه ثم خرج
بها نهراً يقود بها وهي في هودج لها ، وتحدث بذلك رجال قريش ، فخرجوا
في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فسكان أول من سبق إليها هبار بن
الأسود الفهري ، فروعهما هبار بالرُمح وهي في هودج لها ، وكانت حاملاً
فيما يزعمون ، فلما ريعت طرحت ذا بطنها ، وبرك نحوها كيدانة ونثر كيدانته
ثم قال : والله لا بدنوني رجل إلا وضعت فيه سهماً . فتسكرو
الناس عنه ، وأتى أبو سفيان بن حرب في جلة من قريش فقال : أيها الرجل
كُف عنا نبلك حتى نكلمك . فمكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف

(١) تضطلي : تستحي أو تتقي . ون الطبرى : تضطلي بالمز على الأصل .

(٢) من الطبرى .

عليه ، فقال : إنك لم تُصِيبْ ، خرجتَ بالمرأة على رموس الناس علانية ، وقد عرفتَ مُصِيبَتَنَا ونَكِبَتَنَا ، وما دخل علينا من محمد ، فيفان الناس إذا خرجتَ إليه ابنته علانية على رموس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذلِّ أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وأن ذلك منا ضعفٌ ووهنٌ ، لعمري ! ما لنا بـتَجْبِسِها عن أبيها من حاجة ، وما لنا في ذلك من نُورَةٍ ، ولكن أُرْجِعِ المرأة ، حتى إذا هدأت الأصوات ونمذت الناس أن قد ردَدْنَاهَا ، فسَلُّهَا سرّاً والحقها بأبيها . ففعل ، فأقامت آتياً حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، ففدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتهم هددت عتبة فقالت لهم :
أَيُّ السِّلْمِ أَعْيَاظُ جَفَاءً وَغِلْظَةً

وفي الحرب أشباه النساء العوارك^(١)

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بعثها بتعريق هبّار بن الأسود والرجل الذي سبق معه إلى زينب إن ظفروا بهما ، ثم بعث إليهم فقال : إني كنت قد أمرتكم بتعريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغي أن يعذب بالدار إلا الله عز وجل ، فإن ظفرت بهما فاقتلوهما .

[إسلام أبي العاص]

وأقام أبو العاص بمكة وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى

(١) الأعيار : جمع عير ، وهو الحمار . والعوارك : الميئس .

الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، بمال له وأموال لرجال من قريش أبضعوها^(١) معه ، فلما قرع من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا ماله وأعجزهم هارباً ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها فأجارتها ، وجاء في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء : أيها الناس : إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال : أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم ، إنه يجير على المسلمين أذنانهم .

ثم انصرف ، فدخل على ابنته فقال : أي بنتي أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك ، فإنك لا تعجلين له . وبعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسبوا وتردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو في الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به . قالوا : يا رسول الله بل نرده عليه ، فردوه عليه ، حتى إن الرجل ليسانى بالدلو ويأني بالشتة والإداوة ، حتى إن الرجل آيانى بالشطاط^(٢) حتى ردوا عليه ماله بأثره لا يفقد منه شيئاً ، ثم احتفل إلى مكة فأدّى إلى كل ذي مال من قريش ماله ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفياً كريماً . قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ،

(١) ط : اتضعوها

(٢) الشنة : القرية الخلق . والشطاط : خشبة عقاء تجعل في عروق الجوارق .

وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفُ
أن تظلموا أني إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغتُ
منها ، أسلمتُ . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحكى ابن هشام عن أبي عبيدة ، أن الماص لما قدم من الشام ومعه
أموال المشركين قيل له : هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال ، فإنها
للمشركين ؟ فقال : بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي !
[أمر أبي عزة]

ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفرٍ من الأسارى من قريش بغير
فداء ، منهم أبو عزة عمرو بن عبد الله الجعفي ، كان محتاجاً ذابداً ، فكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : لقد عرفتَ مالي من مالٍ
وإني لذو حاجة وذو عيال فآمننُ عليَّ . فمَنَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم وأخذ عليه أن لا يظاهرَ عليه أحداً ، فقال أبو عزة في ذلك يمدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فضله على قومه :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا
بِأَنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكَ حَمِيدٌ
بِأَنَّكَ^(١) أَمْرٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى
عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدٌ
فَإِنَّكَ مِنْ حَارِبِهِ أَمْعَارِبٌ
شَقِيٌّ وَمِنْ سَالَمَتِهِ أَسْمِيدٌ
فَأَنْتَ أَمْرٌ نَوَّاتٌ فِينَا مَبَاءَةٌ
لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصَعُودٌ

(١) ابن هشام : رأيت .

ولسكن إذا ذُكِّرتُ بذراً وأهله تأوتب ما بي حنرة وقعود
وذكر موسى بن عتبة أن المسلمين جهدوا على أبي عزة هذا عندما أُسر بدر
فقال : لا حتى أضرب في الخزرجية يوماً إلى الليل .

وما وقع في شعره ومحاورته رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يقتضى
التصريح برسالته فلا أعلم له مخرجاً ، إن صح ، إلا أن يكون ذلك من جهة
ما قصد به أبو عزة أن يخدع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاد على عدو الله
ما اتهم ، ولم يخدع إلا نفسه وما شعر ، وذلك أنه لما أخذت قريش قبل أحد
في الإعداد لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم طلباً بثأرهم في يوم بدر قال
صفوان بن أمية لأبي عزة هذا : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ،
فاخرج معنا . فقال : إن محمداً قد منّ عليّ فلا أريد أن أظهر عليه . قال :
بلى ، فأعنا بنفسك ، فلك الله عليّ إن رجعت أن أعيدك ، وإن أصبت
أن أجعل بقاتك مع بقاتي ، يصيبهن ما أصابهن من عزة وبسر . فخرج
أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كدانة ويقول :

أيا بني عبد مناة الرزّام^(١) أنتم حُجاة وأبوكم حاتم
لا تعدّمونى فعزكم بعد العام لا تسلمونى لا يملّ إسلام

ثم كان من الأمر يوم أحد ما كان ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد الوقعة مُرهباً لعدوه حتى انتهى إلى تحراء الأسد ، فأخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جهه ذلك أبا عزة الجمحي ، فقال : يا رسول الله أقباني
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لا تمسح عارضيك بمكة ، تقول :
خَدَعْتُ محمداً مرتين ! أضرب عنقه يا زبير » . فضرب عنقه .

وذكر ابن هشام فيما بلغه عن سعيد بن المسيّب أن رسول الله صلى الله

(١) الرزّام : الرجل الشديد الصعب .

عليه وسلم قال له : « إن المؤمن لا يُلدغ من جُحْرٍ مرتين ، اضرب عنقه ، يا عاصم بن ثابت » فاضرب عنقه .

[إسلام عمير بن وهب]

وكان عُمر بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، ومن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة ويلتقون منه عدتاً ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر ، فجلس عمير مع صفوان بن أمية في الحِجْر بعد مُصَاب أهل بدر ببسير ، فذكر أصحاب القليب ومُصاهمهم ، فقال له صفوان : فوالله إن في العيش خيرٌ بدمهم . فقال له عمير : صدقت والله ، أما والله لولا ديني عليّ لیس له عندی قصالا وعيال أخشى عليهم العشيمة بعدى لركبتُ إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة^(١) ، ابني أسيرٌ في أيديهم . فاغتمها صفوان فقال : عليّ دينك أنا أفضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أو أسبهم ما بقوا لا يسفني شيء وبمَنَجز عنهم ، قال عمير : فاكتم عني^(٢) شأني وشأنك ، قال : أفعل . ثم أسر عمير بسيفه فشجذ له وسُمٌ ، ثم أطلق حتى قدم المدينة . فتبئدا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر وبذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عُمر بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف ، فقال : هذا لاسكاب عدو الله عُمر بن وهب ما جاء إلا لشر ، وهذا الذي حرّش بيننا وحرّنا^(٣) للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب ، قد جاء متوشحاً بسيفه . قال : فأذله عليّ . فأقبل

(١) الطبري : قباهم علة .

(٢) الطبري : عليّ .

(٣) حرّنا : قدر عددنا .

عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلقبته بها^(١) وقال لرجال من الأنصار كانوا معه : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا عليه هذا الحديث فإنه غير مأمون . ثم دخل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قال : أرسله يا عمر ، أذن يا عمير . فدنا ثم قال : انصروا صباحاً ، وكانت تحمية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحميتك يا عمير ، بالسلام تحمية أهل الجنة » . قال : أما والله إن كنت بها يا محمد لحدث عهد . قال : فما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسبوا فيه ، قال : فما بال السيف في عنقك ؟ فقال : قبضها الله من سيوف ، وهل أغنت شيئاً ! قال : اصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك . قال : بل قدمت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين على وعيالي عندى لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتجعل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك . قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنني لأعلم ما أنك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فقهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره » ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله إنني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديداً الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعهم إلى الله

(١) لبيه : جمع ثيابه عند نحره في المصونة .

وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كدت أؤذي أصحابك في دينهم .

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فالحق بمكة . وكان صفوان حين خرج يقول : أبشروا بوقعة تأيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر . وكان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فخاف أن لا يكلمه أبداً ولا يدمعه بدمع أبداً ، فلما قدم عير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالعه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

وعير هذا أو الحارث بن هشام - بشك ابن إسحاق - هو الذي رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر فقال : ابن أئى سراق ؟ فثب^(١) عدو الله فذهب . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه : « وَإِذْ زَيْنٌ لَمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَأَغْلِبَنَّ أَيْسَمَ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ »^(٢) فذكر استدراج إبليس إياهم بتشبهه بسراقه بن مالك بن جشم لم حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر من الحرب ، يقول الله عز وجل : « فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ » ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة قد أبد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم « نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ وَقَالَ : إِنِّي نَرَىٰ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ » وصدق عدو الله السكدوب ، رأى ما لم يروا وقال : « إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ » فذكروا أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراق لا يكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر والنقى الجمعان نكص على عقبيه فأوردتهم ثم أسلمهم .

(١) ابن هشام : ومثل . والمقصود : اطل . بالأرض واختن .

(٢) سورة الأنفال ٢٨ .

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

قَوَّيَ الدِّينَ مُمْ آوَا نَبِيَّهُمْ
وَصَدَّقُوهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُفَّارُ
إِلَّا خَصَائِصَ أَقْوَامٍ مُمْ سَلَفُ
لِلصَّالِحِينَ مَعَ الْأَنْصَارِ أَمَّارُ
مُسْتَبْشِرُونَ بِقَسَمِ اللَّهِ قَوْلُهُمْ
لَمَّا أَنَا مَكْرِيمُ الْأَصْلِ مُخْتَارُ
أَهْلًا وَسَهْلًا فِي أَمْنٍ وَفِي سَعَةٍ
نِعْمَ الدِّينُ وَنِعْمَ الْقَسَمُ وَالْجَارُ
فَأَنْزَلُوهُ بَدَارٍ لَا يَخَافُ بِهِمَا
مَنْ كَانَ جَارَهُمْ دَارًا هِيَ الدَّارُ
وَقَاسِمُهُمْ بِمَا الْأَمْوَالُ إِذْ قَدِمُوا
مُهَاجِرِينَ وَقَسَمُ الْجَاهِلِ النَّارُ
سِرْنَا وَسَارُوا إِلَى بَدْرِ لَحْيَتِهِمْ
لَوْ يَعْلَمُونَ بِقَيْنَ الْعِلْمِ مَا سَارُوا
دَلَامُ بَقُورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ
إِنَّ الْخَبِيثَ لَمِنْ وَالَاهُ غَرَارُ
وَقَالَ إِنِّي جَارُكُمْ فَأُورِدْكُمْ
شَرَّ الْمَوَارِدِ فِيهِ الْخِزْيُ وَالْعَارُ
ثُمَّ لِنَقِيدِمْ فَأَوَّأُوا عَنْ سَرَاتِهِمْ
مَنْ مُنْجِدِينَ وَمِنْهُمْ فِرْقَةٌ غَارُوا

وَبُرْوَى أَنَّ قَرِيشًا رَأَوْا سُرَاقَةَ الْمَذَلِّجِي بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، وَهُوَ الَّذِي نَمَّلُ لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَتِهِ يَوْمَ بَدْرٍ كَمَا تَقْدِمُ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا سُرَاقَةَ أَخْرِمْتَ الْخَصْفَ وَأَوْقَعْتَ فِينَا الْمَرْيَةَ ۱٢ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِكُمْ حَتَّى كَانَتْ هَزِيمَتُكُمْ ، وَمَا شَهِدْتُ بِكُمْ فَمَا صَدَّقُوهُ حَتَّى أَهْلَوْا وَسَمِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ كَانَ إِبْلِيسَ نَمَّلُ لَهُمْ

[مَا نَزَلَ فِي بَدْرٍ مِنَ الْقُرْآنِ]

وَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ بَدْرٍ ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ « الْأَنْفَالِ » بِأَسْمَائِهِ ^(١) .

[مِنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ]

وَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، مِنْ شَهِدَهَا وَمِنْ خُربَ لَهُ بِسْمِهِمْ وَآخَرُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ رَجُلٍ وَأَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا : ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ خُربَ لَهُمْ بِسْمَائِهِمْ وَأَجُودَرُهُمْ وَلَمْ يَشْهَدُوا ، وَهُمْ : عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، نَحْلَفُ عَلَى أَمْرَاتِهِ رَقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَرْضَاهَا لَدَى تَوْفِيئِهِ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَدْرٍ ، فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسْمَهُ قَالَ : وَأَجْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَأَجْرُكَ . وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ^(٢) ، كَانَا بِالشَّامِ فَرَجَعَا بَعْدَ رَجُوعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَدْرٍ ، فَضَرَبَ لِكُلِّهِمَا بِسْمَهُ قَالَ : وَأَجْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَأَجْرُكَ .

وَمِنْ الْأَنْصَارِ : وَاحِدٌ وَسِتُّونَ ، اثْنَانِ مِنْهُمْ خُربَ لهما بِسْمَائِهِمَا : عَاصِمُ بْنُ

(١) انظر تفسير ابن هشام وعرضه لسورة الأنفال في السيرة ١/٦٦٦ — ٦٧٧ .

(٢) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

(م . ه . — الاكتفا ج ٢)

عَدِيَّ الْعَجَلَانِي ، رده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن خرج معه وضرب له بسهمه ، وخوات بن جُبَيْر ضرب له أيضاً بسهمه .
ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً ، منهم الحارث بن الصَّغَمَة كُسر به بالروحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ^(١) .

[الشهداء]

واستشهد يومئذ من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر رجلاً : ستة من قريش : عُبَيْدَة بن الحارث بن المطلب ، وعُمَيْر بن أبي وقاص الزُّهْرِي ، وذو الشَّالَيْن بن عبد عمرو حليف لبني زهرة ، وعاقِل بن الأبيكَير حليف لبني عَدِي ، ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب ، وصفوان بن بَيْضَاء .
ومن الأنصار ثمانية نفر ، خمسة من الأوس سعد بن خبثمة ، ومبشر ابن عبد المنذر من بني عمرو بن عوف ، وبزید بن الحارث الذي يقال له ابن فُسْطَم من بني الحارث بن الخزرج ، وعُمَيْر بن الحُطَام من بني سلمة ، ورافع بن الملعوك من بني جُشَم .

وثلاثة من الخزرج من بني النجَّار : حارثة بن سُرقَة ، وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعه منهم ، وهما ابنا عفرأ ، رحمة الله على جميعهم ورضوانه .

وكان مع المسلمين يوم بدرٍ من الخليل فرس الزبير بن العوام ، وفرس مَرثِد بن أبي مرثد الغنوي ، وفرس المقداد بن عمرو البهزاني

[قتلى المشركين]

وذكر ابن إسحاق أن جميع من أُخِصَ له من قتلى قريش من المشركين يوم بدرٍ خمسون رجلاً . وقال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو أن قَتَلَ بدرٍ من المشركين كانوا سبعين رجلاً والأُسرَى كذلك ، وهو قول

(١) زاد الواعدي : وأجره . ابن كثير ٢/٥٠٩ .

ابن عباس وسعيد بن المسيب . وفي كتاب الله تبارك وتعالى : « أَوْ آتَا
أَصْحَابَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَابْتُمْ مِثْلَهَا » يقول لأصحاب أحد ، وكان من
استشهد منهم سبعون رجلاً يقول : قد أصبتم يوم بدرٍ مثلي من استشهد منكم
يوم أحدٍ : سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً .

وانشدني أبو زيد الأنصاري السكيب بن مالك من قصيدة له يلقي

قتلى بدرٍ :

فَأَقَامَ بِالْمَعْنِ الْمَعْنِ مِنْهُمْ سَبْعُونَ عَشْرَةً مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ

[ما قيل من الشعر في يوم بدر]

وكان مما قيل في يوم بدر من الشعر : قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله ،

ومن أهل العلم من يفكرها له :

أَلَمْ تَرَ أَمْرًا كَانَ مِنْ أَعْجَبِ الدَّهْرِ^(١)

وَالْحَتَيْنِ أَسْبَابُ مُبِيدَةِ الْأَمْرِ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ قَوْمًا أَفَادَمَ

فَنَافُوا تَوْصِي بِالْمَقُوقِ وَالْكَفَرِ^(٢)

عَشِيَّةَ رَاحٍ نَحْوِ بَدْرِ بِجَنَمِهِمْ

فَسَكَانُوا رُهُونًا بِالرَّكِيَّةِ مِنْ بَدْرِ^(٣)

وَهَكَذَا طَلَبْنَا لِلْغَيْرِ لَمْ نَبْعِرْ غَيْرَهَا

فَسَارُوا إِلَيْنَا فَالْتَقَيْنَا عَلَى قَدْرِ

فَلَمَّا التَّقِينَا لَمْ تَكُنْ مَشْنُوبَةً

لَنَا غَيْرَ طَمَنٍ بِالْمَنْفَقَةِ الشُّرِّ^(٤)

(١) ابن هشام : كان من عجب الدهر .

(٢) أفادهم : أهلكهم . وسافوا : جاء حينهم .

(٣) الركبة : البئر غير المطوية .

(٤) المثنوية : الرجوع والانصراف .

وضرب بيضٍ يَخْتَلِي المَاسَ حَدُّهَا
 مَشْمَرَةٌ الْأَلْوَانِ بَيِّنَةٌ الْأَثَرِ^(١)
 وَنَحْنُ تَرَكْنَا عُقْبَةَ النَّيِّ ثَاوِيًا
 وَشَيْبَةَ فِي قَتْلِ تُجْرُجَمٍ فِي الْجَفْرِ^(٢)
 وَعَمَرُو نَوَى فِيمَنْ نَوَى مِنْ حَمَاهِمِ
 فَشُمَّتْ جُيُوبُ النَّاسِمَاتِ عَلَى عَمْرٍ
 جُيُوبُ نَسَاءٍ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ كَرَامٍ تَقَرَّعْنَ الذَّوَانِبَ مِنْ قَهْرٍ
 أَوْلَئِكَ قَوْمٌ قُتِلُوا فِي ضَلَالٍ
 وَحَالُوا لَوْ غَيْرَ مُخْتَفِرٍ الذَّمِّ
 لَوَاهِ ضَلَالٍ قَدَ إِبْلِسُ أَهْلَهُ
 فَخَاسَ هَمٌّ إِنْ الْخَبِيثَ إِلَى غَدْرِ^(٣)
 وَقَالَ لَمْ إِذْ عَابِنَ الْأَمْرَ وَاصْحَا
 بَرِئْتُ إِلَيْكُمْ مَا بَيَّ لِلْيَوْمِ مِنْ صَنِيرٍ
 فَإِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَإِنِّي
 أَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو قَمَرٍ
 فَقَدَّمَهُمُ لِلْحَسَنِ حَتَّى نَوْرُطُوا
 وَصَكَانَ بِمَالٍ يُخْتَارِ الْقَوْمُ ذَا خَيْرٍ

(١) يَخْتَلِي : يقطع . والأثر : بفتح الهمزة : فرند السيف . وليس هذا مراداً هنا .
 وبالفم : أثر الجراح يبقى بعد البرء . ولعله مراد المقصود .
 (٢) تُجْرُجَم : لفظ . والجفر : البئر لم تطو ، أو طوى بعضها .
 (٣) خَاسَ : غدر .

فكانوا غداة الهير ألهما وجعنا
ثلاث مئين كالمسدمة الزهر^(١)
وفينا جنود الله حين يمدنا
هم في مقام ثم مستوضح الذكر
فتد بهم جبريل تحت لوائنا
لدى مازق فيه منايهم تجري
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم بدر - ولم ير ابن هشام
أحدًا يعرفها من أهل العلم :
الم تر أن الله أنزل رسوله
بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل
بما أنزل الكفار دار مدلة
فلاقوا هوانًا من إسن ومن قتل
فأنسى رسول الله قد عز نصره
وكان رسول الله أنزل بالعدل
لجاء بفراق من الله منزل مبيته آياته لدى العقل
فآمن أقوام بذلك وأبقوا فأمسوا بحمد الله مجتمعي الشمل
وأنكر أقوام فزاعق قلوبهم
فزادهم ذو العرش خبلا على حبل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله
وقومًا غضابًا فعلهم أحسن العمل

(١) المسدمة : الفحول المادرة . والزهر : البيض .

بأيديهم بيض خفاف عصوا بها^(١)

وقد حادّثوها بالجلالة وبالصفوة

فكم تركوا من ناشيء ذي حية صريع ومن ذي نجدة منهم كهل
تبيت عيون الدائمات عليهم تجود بإسبال الرشاش وبالوئيل
نوائح تنعى عقبه النى وابنه وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم مسلبة حررى مبيضة للشكل^(٢)
توى منهم فى بدر عصابة

ذوى تجذات فى الحروب وفى الماحل
دعا النى منهم من دعا فأجابه وللنى أسباب مرققة الوصل^(٣)
فأنجسوا لدى دار الجحيم بمنزل
عن الشغب والعدوان فى أشغل الشغل^(٤)

* * *

وقال كعب بن مالك أخو بنى سلمة يذكر بدرًا ويقول :
عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشرًا بنوا وسبيل النى فى الناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم من الناس حتى جمعهم متكائر
وسارت إلينا لا نحاول غيرنا بأجمعها كعب جميعًا وعامر
وفينا رسول الله والأوس حوله له معقل منهم عزيز وناصر

(١) عصوا بها : ضربوا .

(٢) المسلبة : التى تلبس السلاب ، وهى الثياب السود ، حدادا .

(٣) الرمق : الضعيف .

(٤) فى سيرة ابن كثير ٢ / ٥٢٦ : فى أسفل الشغل .

وَجَمَعَ بَنِي الدَّجَارِ تَحْتَ لَوَائِهِ يَمْشُونَ فِي الْمَآذِي وَالنَّعَمِ ثَائِرٌ^(١)
 فَلَمَّا أَقْبَلُوا كُلُّهُمْ مَجَاهِدٌ لِأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلِ الْفَنَسِ صَابِرٌ
 شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرٌ
 وَقَدْ عُرِّبَتْ بِيضٌ خِيفَافٌ كَانَهَا مَقَائِيسُ رِزْمِهَا أَمِينُكَ شَاهِرٌ
 بِهِنَ أَدْنَا جَنَّهُمْ فَتَبَدَّدُوا وَكَانَ يَلَاقِي الْحَيْنَ مِنْهُ فَاجِرٌ
 فَكَبُّ أَبُو جَهْلٍ سَرِيحًا لَوَجْهِهِ وَعُقْبَةُ قَدْ غَادَرَتْهُ وَهُوَ طَارِرٌ
 وَشَيْبَةُ وَالتَّيْمِيُّ غَادَرْنَ فِي الْوَعْيِ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بِذِي الْعَرْشِ كَافِرٌ
 غَامَسُوا وَقُودَ النَّارِ فِي مُسْتَقَرِّهَا وَكُلُّ كَفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرٌ
 تَلْفُظُ عَلَيْهِمْ وَهِيَ قَدْ شُبَّ حَبُّهَا بَزْبَرِ الْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ سَاجِرٌ^(٢)
 وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَتَقْبَلُوا فَوَاؤًا وَقَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرٌ
 لِأَمْرِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكَُوا بِهِ وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمِّهِ اللَّهُ زَاجِرٌ

وغيرَ رار بن الخطاب الفهمي في هذا الروي شعرٌ ، ذكر ابن إسحاق
 أن كعب بن مالك أجابه عنه بهذا الشعر الذي كتبه أيضاً ، والأظهرُ من
 مقتضى الشعر أن ضراراً هو الذي أجاب كعب بن مالك ونقض عليه . وهذا
 شعر ضرار رضي الله عنه .

مَجِبْتُ الْفَخْرَ الْأَوْسِيَّ وَالْحَيْنَ دَائِرُ عَلَيْهِمْ غَدَاً وَالْدَّهْرُ فِيهِ بِصَائِرُ
 وَفَخْرُ بَنِي الدَّجَارِ أَنْ كَانَ مَعَشَرُ أُصِيبُوا بِبَدْرِ كُلِّهِمْ تَمَّ صَابِرُ
 فَإِنْ تَكَ قَتَلَى غُودِرَتْ مِنْ رَجَالِنَا فَإِنَّا رَجَالٌ بَعْدَهُمْ سَفْسَادِرُ

(١) المآذى : الدروع البيض البينة .

(٢) تلفظي : تراءى . وبزبر الحديد بفتح الباء وإنما سكنت لوزن الشعر : قطعه .

والساجر : لاوقد .

وَتَرَدِي بِنَا الْجُرْدُ الْعَنَاجِيْعُ وَسَطَهُم

بني الأوس حتى يشفي النفس ثائر^(١)

ووسط بني النجار عوف نكرها لها بالقنا والدرعين زوافر
فترك صرعى تعصب الطير حولهم وليس لهم إلا الأمانى ناصر
وتكبههم من أهل يثرب سنة لمن بها أنيل عن الدوم ساهر
وذلك أنا لا نزل سيفنا بهن دم من يحاربن مائر^(٢)
فإن تغفروا في يوم بدر فإنما بأخذ أمسى حدثكم وهو ظفر
وبالتفري الأخيار هم أولياؤه يحامون في اللأواء والموت حائر^(٣)
بعد أبو بكر وحمة فيهم وبدعى على وسط من أنت ذا كر
أولئك لامن نتجت في ديارها بدو الأوس والتجار حين تفاخر
ولكن أبوم من لومي بن غالب إذا عدت الأنساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل في كل معرك غداة الهياج الأطييون الأكار
ومن شعر حسان بن ثابت بمرض بالحارث بن هشام وفراره عن يوم

بدر :

إن كنت كاذبة الذي حدثتني فتجوت منجى الحارث بن هشام^(٤)
ترك الأحبة أن يقايل دونهم ونجا برأس طمرقة والجمام^(٥)

(١) تردى : تسرع . والجرد : الخيل القصار الشعر . والعناجيع : جياد الخيل .
والثائر : الطالب لثأره . وفي ابن هشام : وسطهم . بدلا من : وسطكم .

(٢) المائر : الجارى .

(٣) اللأواء : الناس والشدّة .

(٤) من قصيدة أوردتها ابن هشام في السيرة ٣ / ١٦ .

(٥) الطمرة : الفرس الجواد .

فأجابه الحارث بن هشام فيما ذكر فقال :

الله أعلم ما نركت قتالهم حتى علّوا فرسي بأشقر مُزِيدٍ
وعرفت أني إن أقاتل واحداً أقتل ولا يضرُّ^(١) عدوي مُشْمِدِي
فصدّدت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لم بهقاب يوم مُنْسِدِ
وقال حسان بن ثابت أيضاً ، ويقال إنها لعبد الله بن الحارث السهمي ،
ويشبهه أسما من قصيدة :

مُسْتَشْمِرِي حَتَّى الْمَاضِي يُقَدِّمُهُم جَلْدُ النَّعْبِزَةِ مَاضٍ غَيْرِ رِغْدِيدِ^(٢)
أعنى رسول الإله^(٣) الحقّ فضله على البرية بالتقوى وبالجد
وقد زعمتم بأن نحموا ذِمَّاركم وماء بدر زعمتم غير مَوْزُودِ
ثم وردنا ولم نسمع أقوالكم حتى شربنا رِواء غير نصريدِ^(٤)
مستعصمين بحبل غير مُنْجِدِمْ مُسْتَحْكَمٍ مِنْ حَبَالِ اللَّهِ مَحْدُودِ
فيما الرسول وفيما الحق نَدْبِعُهُ حتى المات ونهر غير مَحْدُودِ
وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا ليت شمري هل أنى أهل مكة إبادتنا الكفار في ساعة المُنِيرِ
قتلنا سَرَّاءَ القوم عند مجالسا فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظاهرِ
فكم قد قتلنا من كريم مُرَزِّإٍ له حسب في قومه نايه الذِّكْرِ

(١) في سيرة ابن كثير ٢ / ٥٣١ : ولا ينسكي .

(٢) الماضي : الدروع الآتية . والمستشمر اللابس على جسمه بنير حاجز والنعبزة :
الطبيعة . والرغديد : الجبان .

(٣) كذا بالأصل . وفي ابن هشام : رسول إله الخلق . .

(٤) النصريد : الشرب القليل دون الري .

تركناهم لِلْعَاوِيَاتِ تَقْدُوسِهِمْ^(١) وَبَصَلُون نَارًا بَعْدَ حَامِيَةِ الْقَمَرِ
لَعَنَكَ مَا حَامَتْ فَوَارِسُ مَالِكٍ وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ التَّقِينَا عَلَى بَدْرِ
وَقَالَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلَبِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ ، يَذْكُرُ مَبَارَزَتَهُ هُوَ وَحِزَّةُ
وَعَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَمَا كَانَ مِنْ إِصَابَةِ رَجُلِهِ يَوْمَئِذٍ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَبَعْضُ أَهْلِ
الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُهَا لَهُ :

سَتَبَاغَ عَنَا أَهْلَ مَكَّةَ وَقَعَةً يَهَبُ لَهَا مِنْ كَانَ عَنْ ذَلِكَ نَائِيًا
بُعْتَبَةً إِذْ وَلَّى وَشِيْبَةً بَعْدَهُ وَمَا كَانَ فِيهَا بِسَكْرٍ عُتْبَةً رَاضِيًا
فَلَيْتَ تَقَطَّعُوا رِجْلِي فَأَنْتَى مُسْلِمٌ أَرْجَى بِهَا عَيْشًا مِنْ اللَّهِ دَانِيًا
مَعَ الْحُورِ أَمْثَالِ الْمَنَائِلِ أَخْلَصَتْ مَعَ الْجَنَّةِ الْمُنِيَا لِمَنْ كَانَ عَالِيًا
وَبِعَتْ بِهَا عَيْشًا تَعْرِفْتُ صَفْوَةً وَعَالَجَتْهُ حَتَّى فَقَدْتُ الْأَدَانِيَا
وَأَكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلِ مَنْهُ بِشُوبٍ مِنَ الْإِسْلَامِ طَلَى الْمَسَارِيَا
وَمَا كَانَ مَكْرُوهًا إِلَى قَتَالِهِمْ غَدَاةَ دَعَا الْأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيَا^(٢)
لَقِينَاهُمْ كَالْأَمْدِ تَعْتَرِ^(٣) بِالْقَنَا مُقَاتِلَ فِي الرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا
فَمَا بَرَحَتْ أَقْدَامُنَا مِنْ مُقَامِنَا ثَلَاثِنَا حَتَّى أَزْبَرُوا لَنَا نَائِيَا
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : لَمَّا أَصِيبَتْ رِجْلُ عُبَيْدَةَ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكَ أَبُو طَالِبٍ

هَذَا الْيَوْمَ لَعَلَّمَنِي أَحَقَّ مِنْهُ بِمَا قَالَ حِينَ يَقُولُ :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدًا^(٤) وَلَمَّا نَطَاعَنَ حَوْلَهُ وَنُتَاضِلَ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصْرَعَّ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَانِنَا وَالْحَلَالِ

(١) ابن هشام : يذهبهم . وفي رواية له : يذهبهم .

(٢) بعده في ابن هشام زيادة :

ولم يبقَ إِذْ سَالُوا النَّبِيَّ صَوَامِنَا ثَلَاثِنَا حَتَّى حَضَرْنَا الْمَسَانِدَا

(٣) كَذَا بِالْأَسْلِ . وفي اللسان : عثر الرمح وغيره اشتد واضطرب واضتر ، قال :

وكل خطي إِذَا هَزَّ عِثْرٌ وفي ابن هشام : تخطر بالقنا

(٤) في اللسان : يبزى محمد . ومنه : يهجر ويقل .

ولما هلك عبدة بن الحارث من مُصَاب رَجُلُهُ قَالَتْ هَذَا ابْنُ أُنْثَى بْنِ عَبَّادِ
ابْنِ الْمُطَّلَبِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالصَّفَرَاءِ وَبِهَا دُفِنَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ :

أَقْدَمَ صَمْنُ الصَّفَرَاءِ مَجْدًا وَسُودَدَا
وَحِدَا أَصِيلًا وَافَرَ اللَّبَّ وَالْعَقْلِ
عَبْدَةُ فَا بَكِيهِ لِأَضْيَافِ غُرْبَةٍ
وَأَرْهَلَةٍ تَهْوِي لِأَشْمَثِ كَالْجَذْلِ^(١)
وَبَكِيهِ الْأَقْوَامِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ
إِذَا احْرَأَ آفَاقُ السَّمَاءِ مِنَ الْمَحَلِ^(٢)
وَبَكِيهِ الْأَيْتَامِ وَالرِّيحُ زَفَزَفَ^(٣)

وَأَشْيَبُ قَدِيرٍ طَالَ مَا أَزْبَدَتْ تَغْلَى
فَإِنْ تُصْبِحُ الْفَيْرَانُ قَدْ مَاتَ ضَوْؤُهَا
فَقَدْ كَانَ يُذْكَرُ كَبِيرًا بِالْحَطَبِ الْجَزَلِ
إِطَارِقِ أَيْلٍ أَوْ لِلْمَتَمَسِّ الْقِرَى
وَمُسْتَنْبِحِ أَضْحَى لَدَيْهِ عَلَى رِشْلِ
وَقَالَ طَابَ بَنُ أَبِي طَابٍ يَمْدَحُ اللَّهِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَبْكِي أَسْحَابَ
الْقَلْبِ مِنْ قَرِيشَ :

أَلَا إِنَّ عَيْنِي أَنْفَدَتْ مَاءَهَا سَكْبًا
تَبْكِي عَلَى كَمَبٍ وَمَا إِنْ تَرَى كَمَبًا

(١) تهوى : تسقط من البكاء والأشعث : الوند . والجذل : ما عظم من أصول الشجر
تريد : أنه نابت قوى .

(٢) المحل : الجذب .

(٣) زفرف : شديدة .

أَلَا إِنْ كَعَبًا فِي الْحُرُوبِ نَحَاذِلُوا
 وَأَرْدَاهُمْ ذَا الدَّهْرِ وَاجْتَرَحُوا ذَنْبًا
 وَعَامَرُ تَبْكِي اللَّحَاتِ غُدُوَّةَ
 فَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى لَهَا قَرِيبًا
 هَا أَخْوَايَ لَنْ يُمَدَّا تَعْيَةً
 تُمَدَّ وَلَنْ يُسْتَامَ جَارُهَا غَضَبًا
 فَيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا
 فِدَا لَكُمَا لَا نَبْعَثُوا بَيْنَكُمَا حَرْبًا
 وَلَا تُصْبِحُوا مِنْ بَعْدِ رَدِّ وَأُفَّةٍ
 أَحَادِيثَ فِيهَا كَلَامُكُمْ يَشْتَكِي النَّسَكِبَا
 أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ
 وَجَيْشِ أَبِي بَكْسُومٍ إِذْ مَلَأُوا الشُّعْبَا^(١)
 فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرِهِ
 لِأَصْبَحْتُمْ لَا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرًّا^(٢)
 فَمَا إِنْ جَنَيْنَا فِي قَرِيشٍ عَظِيمَةً
 سِوَى أَنْ حَمِينَا خَيْرَ مَنْ وَطَى، الثُّرَبَا
 أَخَا ثِقَةٍ فِي النَّاسِ ثَابِتٍ مُرَرًّا
 كَرِيمًا نَسَاءً لَا يَخِيلَا وَلَا ذَرًّا^(٣)

(١) أَبُو بَكْسُومٍ : أبرهة الحبشي . الذي قصد مكة لهدم الكعبة فأهلكه الله وجنوده .
 (٢) السَّرْبُ بِالْفَتْحِ : الطريق . وبكسر الباء : النفس .
 (٣) النَّاسُ : الذَّكَرُ وَالْجَبَر . وَالثُّرْبُ : السَّلِيطُ الْبَاسُ .

بُطِيفَ بِهِ الْمَافُونَ يَفْشُونَ بَابَهُ

يَوْمُومُونَ نَهْرًا لَا تَزُورًا وَلَا صَرًا^(١)

فَوَاللَّهِ لَا تَذُفُكَ نَفْسِي حَزْبَةً

تَمَلُّلٌ حَتَّى تَصُدَّقُوا الْخُزْجَ الْفُزْبَا

[غزوة بنى سليم]

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان ، وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها في عقبه أو في شوال بعده .

فلما قديم المدينة لم يبق بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه بريد بنى سليم ، فبلغ ماء من مياههم يقال له السكدر^(٢) فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأدى في إقامته ملك جُل الأسارى من قريش .

[غزوة السويق]

وكان أبو سفيان بن حرب حين رجع قل^(٣) قريش من بدر نذر ألا يمس رأسه مالا من جفابة حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مائتي راكب من قريش لتبريمه فسلك للنجدي حتى نزل بصدر قناة ، على بريد أو نحوه من المدينة ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير نحت الليل ، فأبى حبي^(٤) ابن أخطب فغرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح بابه وخافه ، فانهصرف عنه إلى

(١) النور : القليل الماء . والصرب : المامس . وأصله : لبن .

(٢) في مجمع البلدان : كدر : جمع أكر ، قرارة السكدر . قال الواقدى بن الحجة للمدن قريبة من الأرحضية ، بينها وبين المدينة ثمانية برد : وقال غيره : ماء ابنى سليم . ثم ذكر خبر الغزوة .

(٣) القل : التهزم من الجيش .

سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ وَكَانَ سَيِّدُ بَنِي الْقَضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ وَصَاحِبُ كَنْزِهِمْ ،
فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ فَقَرَأَهُ وَسَقَاهُ وَبَطَّنَ ^(١) لَهُ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ ، ثُمَّ خَرَجَ
فِي عَقَبِ لَيْلَتِهِ حَتَّى أَتَى أَصْحَابَهُ ، فَبِعَثَ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَتَوْا نَاحِيَةَ الْمُزْبِيعِ
فَخَرَقُوا بِهَا أَصْوَارَ نَخْلٍ ^(٢) وَقَتَلُوا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَحَالِفًا لَهُ فِي حَرْبٍ لَهَا ،
ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ ، وَنَذَرَ ^(٣) بِهِمُ النَّاسُ نَفْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِمْ حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكَذْرِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ فَاتَهُ أَبُو سَفْيَانَ
ابْنُ حَرْبٍ وَأَصْحَابُهُ ، وَطَرَحُوا مِنْ أَرْوَاحِهِمْ يَتَخَفَتُونَ مِنْهَا لِلنَّجَاءِ ، وَكَانَ
أَكْثَرُ مَا طَرَحُوهُ السَّوِيْقَ ، فَهَجَمَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى سَوِيْقٍ كَثِيرٍ ، فَسَمَّيْتُ
غَزْوَةَ السَّوِيْقِ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ رَجَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْطَمِعَ لَنَا أَنْ تَكُونَ غَزْوَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ .

[غَزْوَةُ ذِي أَمْرِ]

ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَجْدًا يُرِيدُ غُطَفَانَ ، وَهِيَ غَزْوَةُ
ذِي أَمْرِ ، فَأَقَامَ بِنَجْدٍ ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا .
ثُمَّ غَزَا قَرِيشًا حَتَّى بَلَغَ بَحْرَانَ مَعْدَنًا بِالْحِجَازِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعُرُوعِ ، ثُمَّ رَجَعَ
مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَقَامِهِ بِهِ نَحْوًا مِنْ شَهْرَيْنِ ، رَبِيعَ الْآخِرِ
وَجُهَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ

(١) بَطَّنَ : أَيُّ أَخْرَجَهُ بِأَسْرَارِهِمْ .

(٢) الْأَصْوَارُ : جَمْعُ صُورٍ وَهُوَ النَّخْلُ الْعِنَارُ أَوْ الْمَجْتَمِعُ .

(٣) نَذَرَ بِهِمُ النَّاسُ : شَرَوْا بِهِمْ وَحَنَرُوهُمْ .

أمرُ بنى قَيْنَقَاع

وكان فيما بين ما ذكر من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرُ بنى قَيْنَقَاع .

وكانوا أولَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوا فيما بين بدرٍ وأحُدٍ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم في سوقهم ، ثم قال : « يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلوا ، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم »

قالوا : يا محمد إنك نرى أبا قومك إلا يفرّك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك^(١) لنعلمن أننا نحن الناس .

وقال ابن عباس : ما أنزل^(٢) هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرٌ مَلَكُوتٌ وَمُخَشِّرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَلَيْسَ إِلَهُهُمْ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ الثَّقَاتِ فِئَةٌ نَقَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ بَرَّوْهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَقَدْ يُؤْبَدُ بِنَهْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » .

وكان منشأ أمرهم : أن امرأة من العرب قدمت ببجّاب^(٣) لما فباعته بسوق بنى قَيْنَقَاع وجلست إلى صائغ بها ، فعملوا يربدونها على كشف

(١) الطبري : لئن حاربنا .

(٢) ابن عباس : ما نزل .

(٣) الجلب : ما يملأ للأسواق للتجارة .

وجها وأبَتْ [فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فمقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها] فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، فشددت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستمرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فأغضب^(١) المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد أحسن في موائى ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد أحسن في موائى ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال لما ذات الفضول ، فقال له : أرسيتني أو غضب صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظملاً^(٢) ، ثم قال : ويحك أرسيتني . قال : لا والله لا أرسلك حتى نحسين في موائى ، أربعمائة حائير وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود نتصدّم في غداة واحدة إني والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

ولما حاربت بنو قينقاع وتشبّث عبد الله بن أبي بامرهم وقام دونهم ، مشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد بني عوف ، لم من خلفه مثل الذي لم من عبد الله بن أبي ، فجعلهم^(٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من خلفهم ، وقال : يا رسول الله

(١) ابن هشام : فغضب .

(٢) الطبري : حتى رأوا لوجه ظلالاً ، يعني تلوّنات .

(٣) ابن هشام : فجعلهم .

أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم .
 ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت [هذه] القصة من المائدة : « يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
 وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *
 فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ « يريد عبد الله بن أبي » يُسَارِعُونَ فِيهِمْ
 يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ، فَتَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
 مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ » . ثم القصة إلى
 قوله : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ » وذلك لتولى عبادة بن الصامت الله
 ورسوله والذين آمنوا ، وتبرّيه ، من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم « وَمَنْ
 يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ » .

[سرية زيد بن حارثة]

وإذا كان من وقعة بدر ما كان ، خافت قريش طريقهم التي كانوا
 يسلكون إلى الشام ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم
 أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة وهي عظم تجارتهم ، وبعث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقبهم على القردة ، ماء من
 مياه نجد ، فأصاب تلك المير وما فيها وأهجره الرجال ، فقدم بها على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم .

فذلك الذي يعنى حستان بن ثابت بقوله في غزوة بدر الآخرة يؤتب
 قريشاً في أخذهم تلك الطريق يقول :

(٦٢ الاكتفاء ج ٢)

دَعُوا فَلَجَّاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا
جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْخِصَاصِ الْأَوَارِكِ^(١)
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ
وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَائِكِ
إِذَا سَلَكَتِ الْغَوْرَ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ
فَقُولَا هَلَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَاكَ^(٢)

[مقتل كعب بن الأشرف]

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة
بشيرين إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عليه وقتل من قُتل من المشركين
بيدر ، قال كعب بن الأشرف وكان رجلاً من طيء ، ثم أحد بني نَبْهَانِ ،
وأمه من بني النَّضِيرِ ، حين بلغه هذا الخبر ، أحقُّ هذا ؟ أنرون أن عمداً قُتل
هؤلاء الذين يسمَّى هذان الرجلان ؟ فهؤلاء أشرف العرب وملوك الداس ،
والله لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القوم كبطن الأرض خير لي^(٣) من ظنهم ها .
فلما تبين عدو الله الخبر ، خرج حتى قدم مكة ، فجعل يحرص على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار ، ويبكي أصحاب القليب من
قريش ، ثم رجع إلى المدينة فشذب بنساء المسلمين حتى آذاهم .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لي من^(٤) ابن الأشرف ؟

(١) الفلجات : الأودية ، أو الأنهار المتتار . والجلاذ : المجالدة في الحرب . والخصاص :
الإبل الحوامل . والأوارك : التي ترمى الأراك . شجر معروف .
(٢) الغور : المنخفض من الأرض . وعالج : اسم مكان فيه رمل كثير .
(٣) الطبرى : خير لنا .
(٤) كذا بالأصل والطبرى ، وفي ابن هشام : من لي بابن الأشرف .

فقال له محمد بن مسلمة الأشملي : أنا لك به يارسول الله ، أنا أقتله . قال : فافعل إن فدرت على ذلك .

فرجع محمد بن مسلمة فسكت ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له : لم تَرَ كَتَّ الطعام والشراب ؟ فقال : يارسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أُفِين^(١) لك به أم لا . قال إنما عليك الجهد ، قال : يارسول الله لا بد لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم فأنتم في حلٍّ من ذلك .

فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسيلسكان بن سلامة أبو نائلة ، وعبيد بن بشر والحارث بن أوس ، وكاهن من بني عبد الأشهل ، وأبو عبس بن جبر أخو بني حارثة ، ثم قدّموا إلى عدو الله ابن الأشرف سيلسكان بن سلامة وكان أخاه من الرضاعة ، فجاءه فتحدث معه ساعة ثم قال : ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتكم لحاجة أريد ذكرها لك فآكتم عني قال : أفعل قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادت لنا العرب ورمقنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا الشبل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس . فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول . فقال له سيلسكان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونزهنك ونوثق لك . قال : أترهونني نساءكم ؟ قال : كيف نزهنك نساءنا وأنت أشبُّ أهل يثرب وأعظمهم . قال : أترهونني أبنائكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحننا ، يُسبُّ ابنُ أحدنا فيقال : رُهن في وسق شعير ! ثم قال له : إن مني أسماً بك لي على مثل رأبي وقد أردت أن آتيك بهم فتبئهم وتُحسن في ذلك ونزهنك من الحلقة^(٢) ما فيه وفاء . وأراد سيلسكان ألا يفكر السلاح إذا جاءوا بها . قال : إن في الحلقة أوفاء .

(١) الطبرى : هل أن .

(٢) الحلقة : السلاح .

فرجع سِلْسَكَان إلى أصحابه فأخبرهم وأمرهم أن يأخذوا السلاحَ ويجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشى معهم صلوات الله عليه إلى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ في ليلة مُقَمَّرَةٍ ، ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعينهم . ثم رجع إلى بيته .

فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بمرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتهما وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت : والله إنى لأعرف في صوته الشر . فقال لها كعب : لو يدعى الفتى لَطَعْنَةً لَأُجَابَ !

فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، فقالوا له : هل لك يا بن الأشرف إلى أن تنأشى إلى شعب المعجوز فتحدث فيه بقية ليلتنا هذه . قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشون ، فشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام^(١) يده في فؤود رأسه ثم شم يده ، فقال : ما رأيت كلاليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفؤود رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربروه فاختلفت عليه أسيافهم فان تَغْنُ شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فتذكرت مِغْوَلًا^(٢) كان في سيفي حين رأيت أسيافنا لا تَغْنُ شيئاً ، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يَبْقَ حولنا حصن إلا أرقدت عليه نار ، قال : فوضعت في ثُذَّتِهِ^(٣) ثم تحاملت عليه حتى بلغت غايته^(٤) فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو رأسه أصابه بعض

(١) شام يده : أدخلها . والفؤود : معظم الشعر الرأس مما يلي الأذن أو ناحية الرأس .

(٢) المغول : نصل طربل أو سيف دقيق له قفا .

(٣) الطبرى : في ثنودته . والثنة : المانة أو ما بيننا وبين السرة .

(٤) ابن هشام والطبرى : طائته .

أسيافنا ، فخرجنا حتى أَسْتَدْنَا فِي حَرَّةِ الْعَرَبِ بَضْ وقد أبطأ علينا الحارث بن أوس صاحبنا ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ثم أتاانا يقبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل على جرح صاحبنا ، ثم رجعنا إلى أهلينا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقمتنا بعدد الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه .

وذكر ابن عثمة أن كعب بن الأشرف لما قدم على قريش يستنفرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبو سفيان والشركون : نأشدك الله : أدينا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى في دأبك وأقرب إلى الحق ، فإنا نطعم الجزور السكوماء^(١) ونسقي اللبن على الماء ونطعم ما هبت الشمال . فقال ابن الأشرف : أنتم أهدى سبيلاً ، فأنزل الله فيه والله أعلم بما ينزل : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نُصَيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا^(٢) » .

وذكر ابن إسحاق أن هذه الآية إنما نزلت في حَيٍّ بن أخطب وسلام ابن أبي الحقيق وجماعة غيرهما من أخبار يهود ، ليس ابن الأشرف مذكوراً فيهم ، وهم الذين حَزَّبُوا الْأَحْزَابَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدموا على قريش قالوا : هؤلاء أخبار يهود وأهل العلم بالكتاب الأول فسألهم : أديكم خير أم دين محمد ؟ فسألهم فقالوا : بل ديبكم خير من ديبه وأنتم أهدى منه ومن اتبعه . فأنزل الله تعالى فيهم الآية المذكورة .
فإن الله تعالى أعلم .

• • •

(١) السكوماء : الناقة العظيمة السنم .

(٢) سورة النساء .

قال ابن إسحاق ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه . فوثب محبيصة بن مسعود الأوسي هلي ابن سُنَيْدَةَ من تجار يهود ، وكان يلبسهم ويبيعهم فقتله ، فلما قتله جعل أخوه حُوَيْصَةَ ابن مسعود ولم يكن أسلم يومئذ وكان أسن من محبيصة ، يضربه ويقول : أى عدو الله أقتلته ، أما والله لأرب شحم في بطنك من ماله ا فقال محبيصة : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ا قال : فوالله إن كان لأول إسلام حُوَيْصَةَ قال : أو الله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتُها ، قال : والله إن دبتا بلغ منك هذا لمعجب ا فأسلم حُوَيْصَةَ ، وقال محبيصة فى ذلك :

يلوم ابنُ أُمى لو أمرتُ بقتله لطبقتُ ذِفْراً بأبيض قاضب^(١)
حُسام كلون الملح أخلص صفة متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما سرّنى أنى قتلتك طائماً وأن لنا ما بين بصرى ومأرب

وذكر ابن هشام أن هذا عرض لمحبيصة بعد غزوة بنى قريظة وظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع إليهم منهم كعب بن يهودا . قال : وكان عظيماً فيهم ، ليقته ، فقال له أخوه حُوَيْصَةَ وكان كافراً : أقتلت كعب بن يهودا ؟ قال : نعم . قال : أما والله لأرب شحم نبت في بطنك من ماله ، إنك لاثيم . فقال له محبيصة : لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك . فمعجب من قوله ، ثم ذهب عنه متعجباً فذكروا أنه جمل ينتفض^(٢) من الليل فيمجب من قول أخيه محبيصة حتى أصبح وهو يقول : والله إن هذا لدين . ثم أنى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم .

(١) القزرى : عظم نأى خلف الأذن . والأبيض القاضب : السيف البتار .

(٢) ابن هشام : ينتفض .

غزوة أحد

وكان من حديث أحد أنه لما قتل الله من قتل من كفار قريش يوم بدر ورجع قائلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بهيرهم ، مشى عبد الله ابن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وقالوا لهم : إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينوا بهذا المال على حربهم لعلنا ندرك منه ثاراً بما أصاب منا . ففعلوا .

ففيهم يقال أنزل الله عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسُيْنَفَقَوْنَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ^(١) » .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير ، وحرّكوا لذلك من أطاعهم من القبائل وخبرضوم عليه وخرجوا بمحذّم وجدّم وأحايشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظن ^(٢) النّمس الحفيظة وأن لا يفرّوا ، فخرج أبو سفيان بن حرب وكان قائد النّمس . هدد بنت عتبة ، وكذلك سائر أشراف قريش وكبرائهم خرجوا معهم بنسائهم .

وكان جُبَيْر بن مُطْعَم قد أمر غلامه وحشيًا الحبشي بالخروج مع النّمس وقال له : إن قتلت حمزة عم محمد بعتي طميمة بن عدي فأنت عتيق . فكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشي أو مرّ بها قالت : زبها ^(٣) أبادئمة ، وهي كديته ، اشف واشتف ^(٤) .

(١) سورة آل عمران .

(٢) الظن : النساء . وأصل الظنينة : المرأة النّمس .

(٣) وبها : كلمة للتعريض والتشجيع .

(٤) ابن هشام : واستشف ومن هنا أصبح .

فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنين ، جبل^(١) ببطن السَّبْعَةِ من قِساء على شَفِيرِ
الوادي مقابل المدينة .

[الرسول بشاور أصحابه]

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيث
نزلوا ، قال عليه السلام : إني قد رأيت والله خيراً ، رأيت بَقَرًا تَذْبُجُ ،
ورأيت في ذُبَابٍ^(٢) سيفي تَلْمَأُ ، فأما البقر ، فهي ناس من أصحابي يُقتلون
وأما التلْمُ الذي في ذُبَابٍ سيفي فهو رجل من أهل بيتي يُقتل ، ورأيت أني
أدخلت يدي في دِرْعٍ حصينة فأولئها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة
وتدعوم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام وإن هم دخلوا عليهما
قاتلناهم فيها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج وكان عبد الله بن أبي
يرى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فقال رجل من المسلمين ممن
أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن كان قاتله بدر : يا رسول الله ، اخرج
بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جَبَبْنَا عنهم . فقال عبد الله بن أبي : يا رسول الله
أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب
منا ، ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه ، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا
بشرّ تحبّس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورمم الصبيان والنساء
بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

[خروج الرسول والمسلمين]

فلم يزل برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حُبّ لقاء

(١) ابن هشام : بجبل . وما هنا أصح . فإن عينين جبل بأحد ، كما في القاموس

(٢) الذباب : حد السيف . والتلم : الكسر .

العدو ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، وقدمات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له عمرو أخو بني النجار ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم وقد نديم الناس ، فقالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقم صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ينبغي للذي إذا لبس لأمته أن يعضها حتى يقاتل » .

فخرج في ألف من أصحابه ، حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد انخذهل عنه عبد الله بن أبي بلثه الناس وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علام يقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس . فرجع بمن اتبعه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول : يا قوم اذكركم الله أن تخذلوا قومكم وتبيكم عند ما حضر من عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تقتاتلون ما أسلمناكم ، واسكنا لا ندرى أنه يكون قتال . فلما استمعوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيبني الله عنكم نبيه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرّة بني حارثة ، فذَبَّ^(١) فرسٌ بذنبه فأصاب كلاب^(٢) سيف فاستله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحب الفأل ولا يعتاف^(٣) :

« يا صاحب السيف شِمَّ^(٤) سيفك فإنني أرى السيوف ستسلّ اليوم » .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رجل يخرج بنا على القوم

(١) ذب : ضرب .

(٢) الكلاب : ذؤابة السيف ، أو مملو في طرفه .

(٣) لا يعتاف : لا يتطير .

(٤) شِمَّ سيفك : اغمدته . وهو من أفعال الأضداد .

من كَشَبَ أَى من قُرْب ، من طريق لا تمرّ بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة
أخو بنى حارثة : أنا يا رسول الله .

فنفذ به فى حرّة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك فى مالٍ لِمِرْبَع بن
قَيْظَى ، وكان منافقاً ضريب البصر ، فلما سمع حسن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يَمْخِي التراب فى وجوههم ويقول :
إن كنت رسول الله فإني لا أحلّ لك أن تدخل حائطى . وذكر أنه أخذ
حفلة من تراب فى يده ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد
لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه فقال "رسول الله صلى الله عليه
وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر ا .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشَّعْب من أحد لجمل
ظَهْره وعسكره إلى أحد وقال : لا يقاتلن أحدٌ حتى نأمره بالقتال .
وقد سرّحت قريش الظَّهر والكَراع^(١) فى زروع كانت للمسلمين فقال
رجل من الأنصار : أترعى زروع بنى قَيْلَة^(٢) وأما نُضَارِب ا

[الرسول يعبى جيشه]

وتعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو فى سبعمائة رجل ،
وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بنى عمرو بن عوف ، وهو مُعَلَّم يومئذ
بقياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً فقال : انضح^(٣) الخيل عنا لا يأتونا من
خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نُؤْنِنُ من قبلك .

(١) الظَّهر : الإبل . والكَراع : الخيل .

(٢) بنو قيلة : الأوس والخزرج .

(٣) انضح : ادفع .

وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درّعين ، ودفع اللواء إلى
مُهَنَّب بن عُمَيْر أخى نبي عبد الدار .

[تعبئة قريش]

وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعههم مائتا فرس قد جَنَّبوها ، فجعلوا
على ميمنة الخليل خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل .
[أمر أبي عامر]

وقد كان أبو عامر عبد عمرو بن صَيْفِيٍّ من الأوس ، خرج عن قومه
إلى مكة مباعدًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يَعدُّ قريشًا أن لو آقَى
قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من أقيهم
أبو عامر في الأحابيش وعُبدان أهل مكة ، فسادى : يا معشر الأوس أنا
أبو عامر . قالوا : فلا أنتم الله بك عينا يا فاسق . وبذلك سبَّاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وكان يستخفى في الجاهلية الراهب ، فلما سمع ردَّهم عليه ، قال : لقد
أصاب قومي بَمَدَى شَرٍّ ! ثم قاتلهم قتالًا شديدًا ثم راضَهم بالجسارة .

وقال أبو سفيان يومئذ لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرّضهم بذلك :
يا بنى عبد الدار إنكم قد رايتُم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رايتُم ، وإنما
يُؤْتَى الناس من قِبَل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإذا أن تَكْفُونَا لواءنا
وإنما أن نُخلَّوا بيننا وبينه فكفيناكموه . فهُمُّوا به وتواعدوه وقالوا : أنحن
نُسَلِّمُ إليك لواءنا ! استسلم غدا إذا التقينا كيف نصنع وذلك أراد أبو سفيان .

[القتال]

فاقتتل الناس حتى سَحِيت الحرب .

وقاتل أبو دُجَانَةَ سِمَاك بن خَرْشَةَ أخو بنى ساعدة ، حتى أَمِنَ في
الناس ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسيّفٍ عنده : من يأخذ

هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجَانَةَ فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى يهلك . قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه ، وكان أبو دُجَانَةَ رجلاً شجاعاً يخالع عند الحرب ، وكان إذا أُعْلِمَ بعصاة له حمراء فاعتصب بها عِلْمُ الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فمصب بها رأسه ، ثم جعل يتبختر بين الصّفين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه يتبختر : إنها لِمِشْيَةٍ ييغضها الله إلا في مثل هذا الموطن !

وكان الزبير بن العوام^(١) قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السيف مع من سأله منه فدعه إياه ، فقال : وجدت في نفسي حين سألته إياه فدفعه إليه وأعطاه أبا دُجَانَةَ ، وقالت : أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قتت إليه فسألته إياه قبله فأعطاه إياه وتركني ! والله لأنظرن ما يصنع ، فأنعمته ، فأخرج عصاة حمراء فمصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجَانَةَ عصاة الموت ! وهكذا كانت تقول له إذا تمصّب بها ، فخرج وهو يقول : أنا الذي عاهدتني خديلي وعن بالسيف لدى النخيل أن لا أقوم الدهر في الكيول^(٢) أضرب بسيف الله والرسول فجعل لا يلتقي أحداً إلا قتله ، وكان في المشركين رجل لا بدع جريماً إلا ذف^(٣) عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دُجَانَةَ فانتقام بدرقه^(٣) فمضت سيفه ، وضربه أبو دُجَانَةَ فقتله ، ثم رأيت قد حمل

(١) الكيول : آخر صفوف الحرب .

(٢) ذف : أجهز .

(٣) الدرة : ترس من جلد بلا خشب .

السيف على فَرْقِ رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها ، قال الزبير :
فقلت الله ورسوله أعلم .

وقال أبو دُجَانَةَ : رأيت إنساناً يَخْمِشُ^(١) الناس خَشْماً شديداً فصعدت
إليه^(٢) ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمت سيف
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب به امرأة .

[استنهم - اد حمزة]

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أحد الذفر^(٣) الذين كانوا يحملون
الواء من بني عبد الدار ، وكان جُبَيْر بن مُطْعَم قد وعد غلامه وحشيًا بالعتق
إذا قتل حمزة بعمه طَمِيمَةَ بن عدي المقتول يوم بدر ، قال وحشي : فخرجت
مع الناس وكنت رجلاً حبشيًا أفدفت بالخرقة قذفت الحبشة قل ما أخطئ
بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة حتى رأيته في عرض الناس
مثل الجمل الأورق^(٤) يهتد الناس بسيفه هداً ما يقوم له شيء ، فوالله إني
لأنهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع
ابن عبد العزى الغبشاني ، فلما رآه حمزة قال له : هلم إلي يا ابن مقطعة البظور .
وكانت أمه خَتَّانَةَ بَمَكَةَ ، قال : فضربه ضربة فسكأنما أخطأ رأسه ، قال :
وهزئت حربي حتى إذا رضيت مساهدفتها عليه فوقعت في ثلثه حتى خرجت
من بين رجليه وذهب لينوء نحوى فذاب وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيت

(١) يَخْمِش : يضرب .

(٢) ابن هشام : فصعدت له .

(٣) وهو أرمطة بن عبد شريحيل بن هاشم .

(٤) الأورق من الإبل : ما كان لونه يبيض إلى سواد ، وهو من أطيب الإبل سيرا

وعلا .

فأخذت حربتي ورجعت إلى المعسكر فتمعدت فيه ، ولم تسكن لي بغيره حاجة ، إنما قتلته لأعقق .

فلما قدمت مكة عتقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف فكنت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسلموا تعييت عليّ المذاهب ، فوالله إني لفي ذلك إذ قال لي رجل : ويحك إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه ، فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرْعه إلا بي قائماً على رأسه أتشهد شهادة الحق ، فلما رآني قال : أوحشني ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أقعد حدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال : ويحك اغييب عني وجهك . فكنت أتسكبه صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله تعالى .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلة الكذاب خرجت معهم وأخذت بحربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مسيلة قائماً في يده السيف وما أعرفه ، فتهيات له وتهياً له رجل من الأنصار من الداحية الأخرى كلاًنا يريده ، فمززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه وشد عليه الأنصارى فضربه بالسيف ، فربك أعلم أبنا قتله ، فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عم رسول الله ، وقد قتلت شر الناس .

وذكر ابن إسحاق بإسناد له إلى عبد الله بن عمر ، وكان شهيد البصرة قال : سمعت يومئذ صارخاً يقول : قتله العبد الأسود .

قال ابن إسحاق : فبلغني أن وحشياً لم يزل يُحدّث في الخبر حتى خلع من الديوان . فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : قد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة .

قال ابن إسحاق :

وقاتل مُصَنَّب بن عُمَيْر دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله ابن قَيْمِيَّة^(١) لَيْثِي ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قریش فقال : قتلتُ محمداً .

فلما قُتِلَ مصعب أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواءَ عليّ بن أبي طالب ، فقاتل عليّ ورجال من المسلمين .

ولما اشتد القتال يومئذ جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار وأرسل إلى عليّ أن قدّم الراية ، فتقدم فقال أنا أبو القُصَم^(٢) فناداه أبو سمد بن أبي طلحة : هل لك يا أبا القُصَم في البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرزوا بين الصنفين فاختلفا ضربتين فضربه عليّ فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه ، فقال له أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بمورته فمطأنتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله .

ويقال : إن أبا سمد هذا خرج بين الصنفين وطالب من يبارزه مراراً فلم يخرج إليه أحد ، فقال : يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم في الجلبة وقتلانا في النار ، كذبهم واللات لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إلى بعضكم . فخرج إليه عليّ فاختلفا ضربتيه فقتله عليّ . وقد قيل إن سمد بن أبي وقاص هو الذي قتل أبا سمد هذا .

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتل مُسَافِع بن طلحة وأخاه الجُلَاس بن طلحة ، كلاهما بِشْمَره سهماً فيأني أمه فيضع رأسه في حجرها فتقول : يا بني من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً يقول حين رماني : خذها

(١) كذا بالأصل والمطبع ، و ابن هشام : ابن قُتَيْبَة .

(٢) في اللسان : قصم ، مثل قُتِمَ : يحطم ما يلقي . والقصم : دق الشيء .

وأنا ابن أبي الأفلح . فذرت إن أمسكتها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركاً ولا يمسّه مشرك أبداً ، فغضب الله له ذلك حياً وميتاً حسب ما نذره عند مقتل عاصم على الرجيع ، ماء لهذيل ، إن شاء الله تعالى .

والتقى يوم أحد حفظة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استملا حفظة رأى شداد بن الأسود بن شعوب قد عملاً أبا سفيان فضربه شداد فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعني حفظة ، اتفلسه الملائكة فسلوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت صاحبه ، فقالت : خرج وهو جُدب حين سمع الهاتفة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة . ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحشوم^(١) بالسيوف حتى كشفهم عن المعسكر ونهكهم قتلاً .

وقد حلت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات ، كل ذلك تنفض بالثبيل فترجع مقلولة ، وكانت المزيمة لا شك فيها .

فلما أبصر الرماة الخيوسون أن الله قد فتح لإخوانهم قالوا : والله ما نجلس هذا شيء ، قد أهلك الله العدو ، وإخواننا في عسكر المشركين ، فتركوا منازلهم التي عهد إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يتركوها ، وتنازعوا وفشلوا ، وعصوا الرسول فأوجفت الخيل فيهم قتلاً ، ولم يكن ثبيل ينفضها ووجدت مدخلا عليهم ، فكان ذلك سبب المزيمة على المسلمين بعد أن كانت لهم .

قال الزبير بن العوام رضى الله عنه : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدَم^(٢)

(١) حشوم : قتلهم واستأصلوهم .

(٢) الخدم : الساق أو الخلل .

هند بنت عتبة وصواحبها منكشفات هوارب ، مادون أخذهن قليل ولا كثير ،
إذ مالت الرماة إلى المسكر حين كشفنا القوم عنه ، وخلوا ظهورنا للخيل ،
فأنتننا من خافنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتل ، فأنكفأنا وأنكفأ
علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب الأواء ، حتى ما يدنو منه أحد من القوم .
وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، ويقال إن الصارخ هو
الشیطان .

وكان يوم بلاء ونعيم أصاكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة .
حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذُت بالحجارة^(١) حتى
وقع لشقه فأصيبت رباعيته وكُلت شفته وشُجَّ في وجهه فجعل الدم يسيل على
وجهه ، وجعل صلى الله عليه وسلم يسبح ويقول : « كيف يفلح قوم خضبوا
وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ! » .
فأنزل الله في ذلك : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يمدحهم
فإنهم ظالمون »^(٢) .

وكان الذي كسر رباعيته وجرح شفته عتبة بن أبي وقاص وشجّه عبد الله
ابن شهاب الزهري في جبهته وجرح ابن قتيبة وجنته فدخلت خلقتان من
حلق المغفر في وجنته ، ووقع صلوات الله عليه في حفرة من الحفر التي عمل
أبو عامر ليقيم فيها المسلمون وهم لا يعلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفع
طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومعه مالك بن سنان والد أبي سعيد
ألخدرى الدم من وجهه ثم ازدردده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من مسّ دمه دمي لم تصبه الدار » .

(١) دث : رمى وأصيب .

(٢) سورة آل عمران ١٢٨ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على الأرض فليظفر إلى طلحة » .

ونزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقة من وجهه صلى الله عليه وسلم فسقط ثنيته ، ثم نزع الأخرى فسقط ثنيته الأخرى ، فكان ساقط الثنيتين .

وكان سعد بن أبي وقاص يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وهو أخوه ، وإن كان ما علمت لبيء الخلق مبهضاً في قومه ، ولقد كفانى منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضب الله على من دعى وجه رسول الله ^(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم : « من رجل يشرى لنا نفسه ؟ » فقام زياد بن السكك في نفر خمسة من الأنصار ، وبعض الناس يقولون : « إنما هو عمارة بن زياد بن السكك » ، فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ثم رجلاً ، يقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة ، فقاتل حتى أنبتته الجراحة ، ثم جاءت فئة من المسلمين فأجهضوه ^(٢) عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه منى . فأدنوه منه فوسده قدمه ، فمات وخذته على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقالت أم عمارة نسيبة ^(٣) بنت كعب المازنية يومئذ قالت : خرجت

(١) ابن هشام : وجه رسوله .

(٢) أجهضوه : أزالوه وغلبوه .

(٣) نسيبة : بفتح النون وكسر السين المهملة ، كما ضبطها في الإكمال والتصغير والإصابة وغيرهم . وضبطها بالتصغير وهم ، إنما هذا في نسيبة أم عطية فقله في أم عمارة غلط . انظر شرح المواهب ٤١/٢ .

أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعنى سقاء فيه ماء ، فأنتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت أباشر القتال وأدبَ عنه بالسيف وأرمى عن القوس ، حتى خلعت الجراح إلى .

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قميصة أقامه الله ، لما ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : ذأوني على محمد فلا نجوت إن نجا . فاعترضته أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ، واتد ضربته على ذلك ضرباتٍ ولكن عدو الله كانت عليه دِرْعان .

وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجَانَة بنفسه ، يقع للنبيل في ظهره وهو متحنٍ عليه ، حتى كثر فيه النبل .

ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سعد : فلقد رأيته يناوئ النبل ويقول : ارم فذاك أبي وأمي ا حتى إنه ليناوئ السهم ماله من نعل فيقول : ارم به .

ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى اندقت سِينها . وأصيب يومئذ عيْن قتادة بن النعمان فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما .

وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف فتمتّم وجرح عشر بن جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فترج .

وأتى أس بن الفضر عم أس بن مالك وبه سمي ، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم ،

فقال : ما يُجالسكم ؟ قالوا : لقد قُتل محمد رسول الله . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم استقبل للنوم فقاتل حتى قُتل رحمه الله تعالى .

وروى حميد عن أنس ، أن عمه أنس بن النضر هذا غاب عن قتال يوم بدر ، فقال : غيبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين ابن أشهدني الله قتالاً ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد انكشف للمسلمون فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، يعني المشركين ، واعتذر إليك مما جاء به هؤلاء ، يعني المسلمين ، ثم مشى بسيفه فلقبه سعد بن معاذ فقال : أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد ! واهأ لريح الجنة . فقال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صدم . فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، وقد مثلوا به حتى عرفته أخته ببناته .

قال أنس : كما نقول أنزلت هذه الآية : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ^(١) » فيه وفي أصحابه .

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وتحدث الناس بقتله : كعب بن مالك الأنصاري ، قال : عرفت عينيه تزهران تحت المنقر فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار إلي أن أنهيت . فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ، معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وصلى بن أبي طالب وطالحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين .

* * *

فلما أُسْنِدَ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوتُ إن نجنا ! فقال القوم : يا رسول الله أبعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال : دعوه . فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، يقول بعض القوم : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضةً تطايرنا عنه تطاير الشعراء^(٢) من ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم استقبله فطعمه في عنقه طعمه تدأداً^(٣) منها عن فرسه مراراً .

وكان أبي بن خلف يلتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد إن عندي العمود ، فرساً أعلمه كل يوم فرقاً^(٤) من ذرة أفتلك عليه . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أفتلك إن شاء الله .

فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً كبير فاحتقن الدم قال : قتلتني والله محمد ! فقالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك بأس قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أفتلك . فوالله لو بصق علي لقتلني .

فماز عدو الله بسرف^(٥) وهم قافلون به إلى مكة .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال يومئذ : « اشتد غضبُ الله على رجل قتل رسول الله » . فسُحِقَ لأصحاب السدير .

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعب خرج على بن

(١) أسند : صعد . أي استند إلى جانب من الجبل .

(٢) الشعراء : ذباب له لدغ .

(٣) تدأداً : تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج .

(٤) الفرق : مكالم يسع ستاً عشر مناً ، أو اثني عشر ومثلاً .

(٥) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

أبى طالب حتى ملأ دَرَقَتَهُ من المِهْرَاس^(١) ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم فغضب على رأسه وهو يقول : « اشتد غضب الله على من دى وجهه رسول الله » .

فَبَيَّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب معه أولئك نفر من أصحابه إذا علت عالية من قريش الجبل فقال : « اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يملونا » فقاتل عمر بن الخطاب ومعه رهط من المهاجرين حتى أهلكهم من الجبل .

ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلموها فلم يستطع ، وقد كان بَدَن^(٢) وظاهر بين درعين ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : أَوْجَبَ طَلْحَةُ^(٣) .

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بومئذ قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

* * *

ولما خرج صلى الله عليه وسلم إلى أحد رُفِيع حُسَيل بن جابر وهو اليماني أبو حذيفة بن اليمان ، وثابت بن قيس في الآكام مع النساء والصبيان فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبالك أ ما تنتظر ؟ فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلا ظِم^(٤) حمار ، إنما نحن هامة اليوم^(٥) أو غد ، أفلا تأخذ

(١) المهراس : ماء بأحد .

(٢) بدن : عظم جسمه . أو أسن وضف .

(٣) أى وجبت له الجنة .

(٤) الظم : ما بين الشرعين والوردين ، والمراد : ما بقي لا يسير ، لأنه ليس شيء أقصر : طلباً منه .

(٥) هامة : يريد موتى ، والهامة طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتل يصيح طلباً للنار له .

أسيافنا ثم نلتحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يرزقنا الشهادة معه ؟
فأخذنا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الداس ولم يُعلم بهما .

فأما ثابت فقتله المشركون ، وأما حُسَيْن فاختلقت عليه أسياف المسلمين
فقتلوه وهم لا يعلمون ، فقال حذيفة : أبى أقالوا : والله إن عرفناه . وصدقوا .
قال حذيفة : يخفى الله لكم وهو أرحم الراحمين . فأراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يَدِيَه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين ، فزاده عند رسول الله خيرا .

| خبر نخير بق |

وكان ممن قُتِل يوم أحد نخير بق من أعيان اليهود ، وقد تقدم خبره
وكيف قال يومئذ لليهود : لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق . فتملأوا عليه بأنه
يوم السبت ، فقال لهم : لا سَبَّ لكم . وأخذ سيفه وسدَّته فلتحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتِل بعد أن قال : إن أُصِبتُ فإلى الحمد يصنع
فيه ما شاء . وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نخير بق خير يهود » .

وكان عمرو بن ثابت بن وقش أصيبرم بنى عبد الأشمل يأتى الإسلام على
قومه ، فلما كان يوم أحد بدا له في الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ففدا حتى دخل
في غرض الداس فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، فبينما رجال من بنى عبد الأشمل
يلتمسون قتلاهم في المعركة إذاهم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ما جاء به ؟
لقد تركناه وإنه لمسكر لهذا الحديث . فسألوه ما جاء بك يا عمرو ؟ أهدب على
قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله
وأسلمتُ ثم أخذت سيفي ففدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت
حتى أصابني ما أصابني . ثم لم يلبث أن مات في أيديهم فذكروه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : إنه لمن أهل الجنة .

وكان أبو هريرة يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط ؟ فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ؟ فيقول : أصيرم بنى عبد الأشهل .

* * *

وكان عمرو بن الجُمُوح أعرجَ شديد العرج ، وكان له بدون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا : إن الله قد عذرك . فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن بنى يريدون أن يعبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إلى لأرجو أن أطأ بعرجى هذه في الجنة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك » . وقال لبنيه : « ما عليكم أن لا تعملوه لعل الله يرزقه الشهادة » فخرج معه فقتل ، برحه الله .

* * *

ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من المسلمين يحدن الآذان والأنوف ، حتى انخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً^(١) وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائدها وقرطها وحشياً قاتل حمزة ، وبقرت عن كبدة حمزة رضى الله عنه فلا كتبها فلم تستطع أن تسيغها فلففتها ، ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها :

نحن جزيئناكم بيوم بدر والحربُ بعد الحرب ذات سُؤرٍ^(٢)
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخى وعمه وبَكَرٍ
شفيتُ نفسى وقصيت نذرى شفيت وحشى غليل صدرى

(١) الخدم : الملائكة .

(٢) السمر : الشدة والقرم .

فشكر وحشى على عمري حتى ترم أضلعي في قبري^(١)
فأجابها هند بنت أئانة بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر بالماشمين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى حمزة ليلى وهلى صقرى
إذ رام شيب وأبوك غدرى نفضها منه ضواحي النحر
ونذرك السوء فشر نذر

وقد كان الحليس بن زبآن أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ
سيد الأحابيش ، مر بأبي سفيان وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب بزج
الرمح ويقول : ذق عقى^(٢) ، فقال الحليس : يا بني كدانة هذا سيد قريش يصنع
بأبن عمه ما ترون لحماً . فقال : ويحك اكتبها عني فإنها كانت زلة .

* * *

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى
صوته : أنعمت فعال^(٣) ، إن الحرب سجال يوم بدر ، اعل هبل . أى
ظهر دينك^(٤) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عمر فأجبه . قل : « الله أعل

(١) ترم : تبلى .

(٢) عقى : أراد باعق . فعده إلى صيغة (فعل) .

(٣) أنعمت : بفتح الهمزة : خطاب لنفسه ، ويسكونها يريد الحرب أو الواقعة ، أو أن
الأزلام أجابت بنعم . وفعال اسم للفعل الحسن ، وقال السهيلي : فعال : أمر ، أى عال عنها
وأفصر عن لومها ، تقول العرب : اعل عفى وعال ، بمعنى ارتفع عى ودعى .

(٤) ابن هشام : أى أظهر دينك .

وأجلّ ، لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار » .

وفي الصحيح من حديث البراء أن أبا سفيان قال : لدا العزى ولا عزى لكم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال قولوا : « الله مولانا ولا مولى لكم » .

وفيه أيضاً : أن أبا سفيان أشرف يوم أحد فقال : أى القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال أى القوم ابن أبى قحافة ؟ قال : لا تجيبوه . قال : أى القوم ابن الخطاب ؟ قال : لا تجيبوه فلما لم يجبه أحد قال : إن هؤلاء قتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله قد أبقي الله لك ما يخزيك .

قال ابن إسحق : فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له : هلم إلى يا عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : ايتني فانظر ما شأنه . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر : أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا وإني لسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عدى من ابن قتيبة^(١) وأبر . لقول ابن قتيبة لم : إني قد قتلت محمداً ، ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مثل^(٢) ، والله ما رصيت وما سخطت ، وما أمرت وما نهيت .

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام التال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل : نعم هو بيننا وبينكم موعد .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هلي بن أبى طالب فقال : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل

(١) كذا بالأسل والطبرى : وى ابن هشام وابن كثير : ابن قتيبة .

(٢) المثل : كالمثلة ، التشكيل بالفتلى .

وامتطوا الإبلَ فأنهم بدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، والذي نفسى بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم منها ثم لأنجزهم فخرج على فرأهم قد جئوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة .

وفرغ للناس اقتلاهم وانتشروا ببغضهم ، فلم يجدوا قتيلًا إلا وقد مثلوا به إلا خنظلة بن أبي عامر فإن أباه كان مع المشركين فتركوه له ، وزعموا أن أباه وقف عليه قتيلًا فدفع صدره بقدمه وقال : قد تقدمت إليك في معركك هذا ، وأمر الله إن كنت أو اصلا للرحم برًا بالوالدة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل ينظر لى ما فعل سعد ابن الربيع ، أى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أما أنظر لك يا رسول الله ما فعل . فنظر فوجده جريحًا فى القتلى وبه رمق ، قال فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر أى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : أنا فى الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له : إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيًا عن أمته ، وأبلغ قومك السلام عنى وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن سألكم إلى نبيكم وفيكم من عباد الله أعرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات . فثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

وفى سعد هذا يقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد دخل عليه رجل وعلى صدره بنت سعد جارية صغيرة يرشفها ويقبلها فقال الرجل : من هذه ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : بنت رجل خير منى ، سعد بن الربيع ، كان من التابعين أئمة العقبة وشهد بدرًا ، واستشهد يوم أحد .

[حزن الرسول على حمزة]

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بُقر بطنه عن كبده ومثّل به فجدع أنفه وأذناه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى ما رأى : « لولا أن تعزن صفية ويكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثالن بثلاثين رجلا منهم » .

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغبطه على من فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظهرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثّلها أحدٌ من العرب . فأنزل الله تعالى ، فيما قاله من ذلك رسوله صلوات الله عليه وسلامه : « وإن عاقبتهم فمأقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصّابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ^(١) » فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة .

ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقف على حمزة قال : ابن أصاب بمثلك أبداً ما وقفتُ موقفاً قط أغيظ لي من هذا . ثم قال : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .

ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجى ببرده ، ثم صلى عليه

(١) سورة النحل ١٢٦ ، ١٢٧ .

فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى ، يوضعون إلى حمزة وصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة .

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب انظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : ألقها فأرجعها ، لا ترى ما بأخيها . فقال لها : يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أن ترجعى . قالت ولم ؟ وقد بلغت أن قد مثل بأخى ، وذلك في الله ، فما أَرْضَانَا ، ما كان من ذلك ، لأحسبن ولأصبرن إن شاء الله . فلما أخبر الزبير بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : خَلِّ سبيلها . فأنته فنظرت إليه فصَلَّت عليه واسترجعت واستغفرت له .

ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن .

وزعم آل عبد الله بن جعش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفن عبد الله بن جعش مع حمزة في قبره ، وهو ابن أخته أميمة بنت عبد المطلب ، وكان قد مثل به كما مثل بخاله حمزة ، إلا أنه لم يُبْقَر عن كبده وجُدع أنفه وأذناه ، فلذلك يقال له : المجدِّع في الله .

وكان في أول النهار قد اقي سمد بن أبي وقاص فقال له عبد الله : هلم ياسمد فلندعُ الله وليذكر كل واحد منا حاجته في دعائه وليؤمن الآخر . فقال سمد : يارب إذا لقيت العدو فلقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده أقاتله فيك ويقانلني ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وأسلمه سلمه . فأمن عبد الله بن جعش ثم قال : اللهم ارزقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده أقاتله فيك ويقانلني ثم يجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غداً قلت لي : يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول : فيك يارب وفي رسولك . فتقول لي : صدقت . فأمن سمد على دعونه .

قال سعد : كانت دعوة عبد الله خيرا من دعوى ، لقد رأيت آحر
النهار وإن أذنيه وأنفه مملقتان في خيط ، واقيت أنا فلانا من المشركين
فقتلته وأخذت سلبه .

وذكر الزبير أن سيف الله عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فماد في يده سيفا قائمه منه ، فقاتل به
فكان ذلك السيف يسمى العرجون ، ولم يزل هذا يتوارث حتى بيع من
بغا التركي بمائتي دينار .

[دفن الشهداء]

واحتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنهم بها ، ثم نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : ادفنهم حيث صرّعوا .

ولما أشرف صلوات الله عليه وسلامه يوم أحد على القتلى قال : أنا شهيد
على هؤلاء ، إنه ما من جريح يُجرَح في الله إلا والله بيمته يوم القيامة
يدمي جرحه اللون لون دمه والريح ريح مسك ، انظروا أكثر هؤلاء
جما للقرآن فاجعلوه إمام أصحابه في القبر . وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة
في القبر الواحد .

وقال بومئذ حين أمر بدفن القتلى : انظروا عمرو بن الجوح وعبد
الله بن عمرو بن حرام ، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في
قبر واحد .

وذكر مالك بن أنس في موطئه أن السيل حفر قبرهما بعد زمان فخر
عنهما لينيرا من مكانهما ، فوجدا لم يتغيرا كما ما اتا الأوس ، وكانت

أحدهما قد جُرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأُمِيطت يده
عن جرحه ثم أُرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين أحد وبين يوم
خُفِرَ عنهما ست وأربعون سنة .

[رجوع الرسول إلى المدينة]

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة فأقيمت له حَمَّة بنت
جحش ، فلما أقيمت الأساس نعى لها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت
واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت
له ، ثم نعى لها زوجها مُصعب بن عمير فصاحت وولّوات فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إن زوج المرأة منها لبيكان » لما رأى من تثبتها على
أخيها وخالها وصياحها على زوجها .

[بكاء الشهداء]

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار فسمع البكاء
والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عيناه فبكى ثم قال : اسكن حمزة لا يواكى له !
فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حُصَير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا
نساءهما أن يتحزّمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ففعِلن ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن
وهن على باب المسجد يبكين عليه فقال : ارجعن يرحمك الله فقد آسيتن بأنفسكن .
وقيل إنه لما سمع بكاءهن قال : رحم الله الأنصار ، فإن المواساة منهم ما هلت
لقديمة ، مروهن فلينصرفن .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم في انصرافه بامرأة من بنى دينار وقد
أصيب زوجها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعاها قالت :
فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خير يا أم فلان هو بحمد الله كما

تحيين . قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل أنريد صغيرة^(١) .

* * *

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله داول سيفه ابنته فاطمة فقال : اغسلى عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقنى اليوم ، وناولها على ابن أبى طالب سيفه وقال : وهذا فاغسلى عنه دمه فوالله لقد صدقنى اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كمت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنن وأبو دجانة .

وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفقار . ونادى مداد يوم أحد :

لا سيف إلا ذو الفقار ر ولا فتى إلا علي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : « لا يصيب المشركون منا مثلاًها حتى يفتح الله علينا » .

[غزوة حراء الأسد]

وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال .

فلما كان الغد منه يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلب العدو ، وأذن مؤذنه : أن لا يخرج من معنا أحد إلا أحد حاضر يومنا بالأمس .

فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله كان أبى

(١) قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير . وهو ما هنا القليل ، قال امرؤ القيس :

لَقَتَل بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ أَلَا كُل شَيْءٍ خَلَا جَلَلِ
أَيِّ صَفِيرٍ وَفَلِيلِ .

خلفني على أخوات لي سَبَّح وقال : « يا بُنَيَّ إنه لا ينبغي لي أو لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، واستُ بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ، فتخلفتُ على أخواتك . فتخلفتُ عليهن . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه .

وإنما أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو ليتبينهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يؤمنهم عن عدوهم .

وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخوان من بني عبد الأشهل فرجاً جريحين ، قال أحدهما : فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي أو قال لي : أنقذنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢ والله مالنا من دابة تركبها وما منا إلا جريح ثقيل . فخرجنا وكففت أيسر جرحاً منه ، فسكان إذا غلب حملته ، عَقِبَهُ (١) ومشى عقبه ، حتى انتهينا إلى ما انتهى عليه (٢) المسلمون .

وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه إلى تحراء الأسد ، على ثمانية أميال من المدينة . فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرَّ به هناك مُعْتَبِدٌ من أبي مُعْتَبِدٍ الْخَزَاعِي ، وكانت خِزَاعَةُ مسلمهم ومُشْرِكهم عَيْمَةً نُصَحَ (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ، صفقتهم (٤) معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومُعْتَبِدٌ يومئذ مُشْرِكٌ ، فقال : يا محمد أما والله لقد عزَّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولودِدْنَا أن الله عافاك فيهم .

(١) العقبة : التوبة .

(٢) ابن هشام : لايه .

(٣) العيبة : موضع السر .

(٤) صفقتهم : حلفهم .

ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بجمراء الأسد ، حتى لقي أبا سفيان
ابن حرب ومن معه بالزَّوْحَاءِ وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه ، وقالوا : أَصَدَّبْنَا حَدًّا أَصْحَابَهُ وَقَادَتِهِمْ وَأَشْرَافَهُمْ ثُمَّ نَرْجِعُ قَبْلَ
أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ ! لَنَكُرُّنَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ فَلَنَفْرُغَنَّ مِنْهُمْ . فلما رأى أبو سفيان
معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع
لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان يخاف عهده في يومكم
وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الخلق عليكم شيء لم أر مثله قط . فقال :
ويحك ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل .
قال : فوالله لقد أجمعنا الكثرة عليهم نستأصل بقيتهم . قال : فإني أنهارك عن
ذلك ، والله لقد حملني ما رأيت أن قلت فيه أياناً من الشعر . قال : ما قات ؟
قال قلت :

كادَتْ هُدًى مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي	إِذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَايِلِ ^(١)
تَرْدِي بِأَسَدٍ كَرَامٍ لَا تَفَالَةٍ	عِنْدَ الْإِقْدَاءِ وَلَا مِيزِلٍ مَعَاذِلِ ^(٢)
فَطَلَّتْ عَدُوًّا أَظَنُّ الْأَرْضِ مَائِلَةً	لَمَّا سَمَوْا بِرَيْسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ
فَقُلْتُ وَبِلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ	إِذَا تَطْلَعَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْجِيلِ ^(٣)
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَيْتِ ^(٤) ضَاحِيَةٍ	لِسُكُلِ ذِي إِزْنَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ
مَنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لَا وَخْشًا قِتَابِلَهُ	وَلَيْسَ يَوْصَفُ مَا أُنْذِرْتُ بِالْقِيلِ ^(٥)

فَتَنَى ذَلِكَ أَبُو سَفْيَانَ وَمِنْ مَعَهُ

(١) الجرد : عناق الخيل . والأبايل : الجماعات .

(٢) تردى : تسرع .

(٣) تطلعت : اهتزت . والجيل : العنق من الناس .

(٤) أهل البيت : قريش .

(٥) الوحش : الردى . وفي ابن هشام : لا وخش تنابله . وفي سيرة ابن كثير

١٠٠/٣ : لا وخش قنابله .

ومرّ به ركبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم بهذه^(١) غداً زيبياً بمكاظ إذا ما أتيتموها ؟ قالوا نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فرّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه فقالوا^(٢) : « حَسْبُنا الله ونعم الوكيل » .

ويقال إنهم لما هموا بالرجعة إلى المدينة ليستأصلوا — كما زعموا — بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم صفوان بن أمية : لا تفعلوا فإن القوم قد حَرَّوْا^(٣) وقد خشينا أن يكون لهم قتالٌ غير الذي كان ، فارجموا . فرجموا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم همَّوا بالرجعة : « والذي نفسي بيده لقد سَوَّمتُ لهم حجارة لو صبَّحوا بها لسكَّنوا كمس الزاهب » .

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجهه قبل رجوعه إلى المدينة معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد الله بن مروان أبا أمه وأبا عزة الجحى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرّه بيد رثم من عليه وقد تقدم ذكر ذلك وذكر مقتله إياه في هذه الأحدة الثانية صدر غزوة أحد ، ولجأ معاوية بن المغيرة إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه على أنه إن وجد بهت ثلاث قُتل ، فأطام بعدها ونواري . فبعث النبي صلى الله عليه وسلم زبداً بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا . فوجداه مقتلاه .

(١) ابن هشام : هذه .

(٢) ابن هشام : فقال .

(٣) حرَّوْا : غَضِبُوا .

[ما نزل من القرآن في أحد]

وكان يوم أحد يومَ بلاء ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين وتحق به المنافقين ممن كان يُظهر الإيمان بلسانه وهو مستخف بالكفر في قلبه ، وأكرم الله فيه من أراد كرامته لشهادة من أهل ولايته .

وكان مما أنزل الله تبارك وتعالى من القرآن في شأن أحد ستون آية من آل عمران في طاعة من أطاع ، ونفاق من نفاق ، وصفة ما كان في يومهم ، وتعزية المؤمنين في مصيبتهم ومعانبة من عانِب منهم .

يقول الله تبارك وتعالى لغيره صلى الله عليه وسلم : « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » . أى سميع لما يقولون عليهم بما يخفون .

« إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ فُتِنَا بِالْجَنَاحِ وَالطَّائِفَتَانِ : بدو سلمة من الخزرج وبدو حارثة من الأوس ، وهما الجناحان ، يقول الله تبارك وتعالى : « والله وليهما » أى المدافع عنهما ما همتا به من ذلك برحمته وعائذته حتى سلمتا ولحقنا بذيبيهما . وقيل إنه لما أنزل الله تعالى في هاتين الطائفتين قالتا : ما نحب أن نألم نهم بما همتنا فنولى الله إيانا في ذلك .

« وعلى الله فليتوكل المؤمنون » أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على وليه وليستعين به أعينه على أمره وأدفع عنه حتى أبلغ به وأقويه على نيته .

« ولقد نصركم الله ببذر وأنتم أذلة » أقل عدداً وأضعف قوة « فانتقوا الله لعلكم تشكرون » أى فانتقوني فإنه شكر نعمتي .

« إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ؟ » بلى إن تصبروا وتقفوا ويأتوكم من فورهم هذا

يُذِذْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ « أَى إِنْ تَصْبِرُوا
أَعِدُّوا وتطيعوا أمرى ويأمنوكم من وجههم هذا أمددكم بهذا العدد من الملائكة
مسوِّمين أى معلِّمين .

« وما جعله الله إلا بُشْرَى لَكُمْ ولتطمئنَّ قلوبكم به وما النصرُ إلا من
عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ » أى ما سمَّيت لكم مَنْ سَمَّيْتَهُ من جُودِ ملائكتى
إلا لتستبشروا بذلك وتطمئن قلوبكم إليه ، لما أعرف من ضعفكم ، وما
النصر إلا من عند الله أسطانى وقدرتى ، وذلك أن العزة والحكم لى لا
إلى أحد من خَلْقى .

ثم قال لحمد عليه الصلاة والسلام : « ليس لك من الأمر شيء أو
يقربَ عليهم أو يبعدُهم فإنهم ظالمون » أى ليس لك من الحكم شيء فى
عبادى إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أنوب عليهم برحمتى فإن شئتُ فعلت ،
أو أعذبهم بذنوبهم فبحقّ فإنهم ظالمون أى عصوا فاستوجبوا ذلك
بمعصيتهم إياى .

ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم والبلاء الذى أصابهم والتمحيص
بما كان فيهم واتخاذهم الشهداء منهم ، فقال تعزية لهم وتعريفاً لهم فيما صنعوا
وفى ما هو صانع بهم : « قد خَلَّتْ من قبلكم سُنَنٌ فسيروا فى الأرض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذِبِينَ » أى قد مضت منى وقائع نعمة فى أهل التكذيب
برسلى والشرك ، فى عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مَدْيَن ، فرأوا مثلاتِ
قد مضت منى فيهم وإن هو على مثل ما هم عليه : « هذا بَيِّنَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى
وموعظةٌ لِّلْمُتَّقِينَ » أى نور وأدب لمن أطاعنى وعرف أمرى .

« وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا » أى لَا تَضَعُفُوا وَلَا تَبْتَئِسُوا على ما أصابكم

« وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ » لَكُمْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ وَالظُّهُورُ « إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » أَيْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ نَبِيٍّ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ عَنِّي .

« إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ » أَيْ جَرَّاحٍ « فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ » أَيْ
جَرَّاحٌ مِثْلُهَا « وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ » أَيْ نَصْرُهَا لِلْبَلَاءِ وَالنَّهْضُ
« وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَبَتَّخَذَ مِنْكُمْ سُوءِدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ .
وَلِيَحْصِيَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ
وَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ » أَيْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا
الْجَنَّةَ فَتَصِيبُوا كِرَامَةً ثَوَابِي وَلَمْ أُخْتَبِرْكُمْ بِالشَّدَةِ وَأَبْقَايَكُمْ بِالْمَكَارِهِ حَتَّى أَعْلَمَ
صِدْقَ ذَلِكَ مِنْكُمْ ، الْإِيمَانُ بِي وَالصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِيَّ .

« وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَقْتُمُونَ الْمَوْتَ » أَيْ الشَّهَادَةَ « مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ » يَعْنِي
الَّذِينَ اسْتَنْهَضُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخُرُوجِ بِهِمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ
يَوْمَ أُحُدٍ لَمَّا فَاتَهُمْ مِنْ يَوْمٍ بِدَرٍ رَغْبَةً فِي الشَّهَادَةِ يَقُولُ : « فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ » .

« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَنُفِئَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » أَيْ لَقَوْلِ النَّاسِ : « قُتِلَ مُحَمَّدٌ . وَانْهَزَاهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ
وَانْصَرَفَهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ . أَفَنُفِئَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ كَافِرَاتٍ كَمَا كُنْتُمْ ،
وَنَزَكْتُمْ جِهَادَ عَدُوِّكُمْ وَكِتَابَ رَبِّكُمْ وَمَا خَلَفَ نَبِيُّهُ مِنْ دِينِهِ مَعَكُمْ وَعِنْدَكُمْ
وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ فِيهَا جَاءَكُمْ بِهِ عَنِّي أَنَّهُ مَيِّتٌ عِنْدَكُمْ وَمُفَارِقٌ لَكُمْ ؟ » « وَمَنْ
يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ » أَيْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ « فَلَنْ يَخُصِّرَ اللَّهُ شَيْئًا » أَيْ إِنْ يَنْقُصُ
ذَلِكَ عِزُّ اللَّهِ وَلَا مُلْكُهُ وَلَا سُلْطَانُهُ وَلَا قُدْرَتُهُ « وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ »
أَيْ مَنْ أَطَاعَهُ وَعَمِلَ بِأَمْرِهِ .

« وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِذْ ثَوَابَ

الدنيا نَوْتَهُ منها ومن يُرْذِ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُفُوتَهُ منها وسليجى الشاكرين «
أى من أراد الدنيا خاصة آتاه منها ما كُتِبَ له وماله فى الآخرة من نصيب ،
ومن أراد الآخرة وسقى لها سقيها وهو مؤمن آتاه منها ما وعد به مع ما يُجْزَى
عليه فى دنياه من رزقه المقدر له ، وذلك هو جزاء الشاكرين أى المتقين .

« وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا » أى وكم من نبي أصابه القتل ومعه
جاعات من أنصاره ، فما وهنوا لفقد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا
لما أصابهم فى الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك هو الصبر « والله يحب
الصابرين » .

« وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِنْمِرَافَنَا فِي
أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » أى فقولوا مثل
ما قالوا ، واعلموا أن ذلك بذنوب منكم فاستغفروه كما استغفروا ، وامضوا على
دينكم كما مضوا على دينهم ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين ، وسلّوه كما سلّوه
أن يثبت أقدامكم ويصبركم على القوم الكافرين . فكل هذا من قولهم كان
وقد قتل نبيهم ، ولم يفعلوا كما فعلتم .

« فَإِنَّمَا اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا » بالظهور على عدوهم « وَحُسْنُ ثَوَابِ الآخِرَةِ »
الذى به وعدم « والله يحب المحسنين » .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذِلْكُمُ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
فَتَنقَلِبُوا خَائِبِينَ » أى عن عدوكم فتذهب دنياكم وآخرتكم .

« بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ » فإن كان ما تقولون بالسننكم
صِدْقًا عن قلوبكم فاعتصموا به ولا تنصروا بغيره ، ولا ترجعوا كفاراً على
أعقابكم مرتدين عن دينه .

« سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ » الذي كُتِبَ بِهِ أَنْصَرَكُمْ عَلَيْهِمْ
جَزَاءَ لَمْ يَمَّا أَشْرَكُوا بِي ، فَلَا تَظُنُّوا أَنَّ لَكُمْ عَاقِبَةَ أَنْصَرٍ أَوْ ظَهْورًا عَلَيْكُمْ
مَا اعْتَصَمْتُمْ بِي وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي ، وَإِنَّمَا أَصَابَكُمْ مِنْهُمْ مَا أَصَابَكُمْ بِذُنُوبٍ قَدْ مَتَمَّوْهَا
لِأَنْفُسِكُمْ خَالَفْتُمْ بِهَا أَمْرِي وَعَصَيْتُمْ فِيهَا نَبِيَّ .

« وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ
فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحْيُونَ » أَيْ لَقَدْ وَفَّقْتُ لَكُمْ
مَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ الْفَتْحِ عَلَى عَدُوِّكُمْ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِالسُّيُوفِ أَيْ نَسْتَأْهِلُونَهُمْ
قَتْلًا بِإِذْنِي وَتَسْلِيطِي أَيْدِيكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ « حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ »
أَيْ نَحَازَلْتُمْ « وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ » اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ « وَعَصَيْتُمْ » بَتَرَكْتُمْ أَمْرَ نَبِيِّكُمْ ،
بَعْنَى الرِّثْمَةِ الَّذِينَ عَاهَدُوا إِلَيْهِمْ إِلَّا يَهَارِقُوا مَكَانَهُمْ فَيُخَالِفُوا أَمْرَهُ حَتَّى آتَى الْمُسْلِمُونَ
مِنْ قِبَالِهِمْ « مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحْيُونَ » أَيْ الْفَتْحَ لَا شَكَّ فِيهِ وَهَزِيمَةَ الْقَوْمِ
مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ « مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا » أَيْ النَّهْبَ « وَمِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ
الْآخِرَةَ » أَيْ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ وَلَمْ يَخَالِفُوا إِلَى مَا نَهَوْا عَنْهُ « ثُمَّ مَرَّفَكُمْ
عَنْهُمْ لِيُبَلِّغَكُمُ اللَّهُ عَقْدًا مِنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » أَيْ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ
وَإِنْ عَاقَبَ مِنْ بَشَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ بِبَعْضِ الذُّنُوبِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا أَدْبًا وَمَوْعِظَةً ،
فَإِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَوْفٍ كُلِّ مَالٍ فِيهِمْ مِنَ الْحَقِّ بِمَا أَصَابُوا مِنْ مَعْصِيَةٍ ، فَصَلَا
مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةً .

ثُمَّ أُنْذِرُهُمْ بِالْفِرَارِ عَنْ نَبِيِّهِمْ وَهُمْ يَدْعُوهُمْ وَلَا يَمْلِكُونَ عَلَيْهِ فَقَالَ : « إِذْ
تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاسِكُمْ فَأَتَابَكُمْ
غَمًّا بَنَمَ » أَيْ كَرَبًا بَعْدَ كَرَبٍ يَقْتُلُ مَنْ قُتِلَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ وَعَلَوْكُمْ عَدُوُّكُمْ عَلَيْكُمْ
وَمَا وَقَعَ فِي أَنْفُسِكُمْ حِينَ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قُتِلَ نَبِيُّكُمْ « اسْكِلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَانَسَكُمْ »
مِنَ الظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّكُمْ بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُمُوهُ بِأَعْيُنِكُمْ « وَلَا مَا أَصَابَكُمْ » مِنْ قَتْلِ

إخوانكم بما فرّجت عنكم من الكرب بوقاية نبيكم وكشف كرب الشيطان في الصراخ بقتله بينكم ، فكان هذا هو الذي فرج الله به عنهم ما تابع عليهم من الغم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً بين أظهرهم هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم والمصيبة التي أصابتهم فيمن قتل منهم .

ثم قال تعالى بعد آيات ذكر فيها ما ذكر من قصة أحد « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فيباذن الله وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا فأنلوا في سبيل الله أو اذفموا ، قالوا : لو نعلم قتالا لاتبعنكم » يعني عبد الله بن أبي والراجعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى عدوه من المشركين . بقول الله تبارك وتعالى : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم الإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون * الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرأوا عن أنفسهم الموت إن كنتم صادقين » .

ثم قال النبي عليه السلام برتب المؤمنين في الجهاد ويهون عليهم القتل : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف علىهم ولا هم يحزنون » .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأري إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلام وحسن مقيمهم قالوا : يا ليت إخواننا يملكون ما صنع الله بنا لئلا يزهّدوا في الجهاد ولا ينكسروا عن الحرب » قال الله تبارك وتعالى : فأنا أبلغهم عنكم . فأنزل الله عز ذكره على رسوله صلى الله عليه

وسلم هذه الآيات : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » إلى آخرها .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشهداء على بارقٍ نهرٍ بباب الجنة
في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً » .

وسئل عبد الله بن مسعود عن هؤلاء الآيات : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا » فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه إنما أصيب
إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيورٍ خضراء تردُّ أنهارَ الجنة
وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فيطعم الله إليهم
الاطلاعة ، فيقول : يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون ربنا لا فوق
ما أعطيتنا : الجنة نأكل منها حيث شئنا . ثم يطعم الله إليهم الاطلاعة فيقول
يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل
منها حيث نشاء ، إلا أننا نحب أن تردَّ أرواحنا في أجسادنا ثم تردنا إلى الدنيا
فنباتل فيك حتى نقفل فيك مرة أخرى » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله : « ألا أبشرك
يا جابر ؟ قال : قلت : بلى يا رسول الله . قال : إن أباك حيث أصيب بأحد
أحياء الله ، ثم قال : ما نحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أي
رب أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ما من مؤمن
يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من النهار وأن له الدنيا وما فيها ،
إلا الشهيد فإنه يحب أن يُردَّ إلى الدنيا فيقاتل في الله فيقتل مرة أخرى » .

واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلاً ، أربعة من المهاجرين وسائرهم من
الأنصار وقتل الله من المشركين يومئذ اثنين وعشرين رجلاً .

[ما قيل من الشعر في أحد]

وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد قول كعب بن مالك الأنصاري
رحمه الله :

الآهل أنى عسان عنا ودونهم من الأرض خرق سيرة متعتيع^(١)
صحار وأعلام^(٢) كأن قتامها من البعد تقع هامد متقطع^(٣)
نظل به البزل^(٤) العراميس ذرجا ويملو به غيث السدين فيترغ^(٥)
به جيف الحسرى بلوح صليبها كما لاح كنان التجار الموضع^(٦)
به العين والآرام^(٧) يمشين خلفة ويبض^(٨) نعام فيضه يتقاع^(٩)
نجالدنا عن ديننا كل فتحة مذبذبة فيها القوانس تلح^(١٠)
وكل صموت في الصوان كأنها إذا لبست نهى من الماء مترغ^(١١)
ولكن بيدر سائلوا من لقيم من الناس والأنباء بالغيب تنفع^(١٢)
وإنا بأرض الخوف لو كان أهاها سوانا لقد أجلوا بليل فأنشعوا^(١٣)
إذا جاء منا راكب كان قوله أعيدوا لما يرزجي ابن حرب ويجمع^(١٤)

- (١) الخرق : الفلاة الواسعة . والمتعتع : العنيف . وتروى : متنعم : أى مضطرب .
(٢) الأعلام : الجبال . والقتام : الغبار . والنقم : الثبار أيضاً .
(٣) البزل : جم بارل ، وهى النافقة التى تبلم التاسمة . والعراميس : الصلبة .
والرزح : المعينة .
(٤) الصليب : ودك العظام . والموضع : الميسود .
(٥) العين : بقر الوحش ، والآرام : جم رثم ، وهو الغاي الخالص البياض . وخلفة :
قطعة وراء قطعة . والفيض : قشور البيض . ويتقاع : ينشقق .
(٦) مذبذبة : مودة . والقوانس : جم قونس وهى بيضة السلاح .
(٧) كل صموت . أراد به الدرع ، جعلها صموتا لشدة نسجها وإحكام صنعتها .
والنهي : التدبير . والمترغ : الملى .
(٨) يرضى : يسقى .

ولما ابتنوا بالعرض قال سرائنا
وفينا رسول الله نتبع أمره
تدلى عليه الروح من عند ربه
نشاورة فيما نريد وقصدنا^(٣)
وقال رسول الله لما بدوا لنا
ولكن خذوا أسياقكم وتوكلوا
وكونوا كن بشري الحياة تقرأ بها
فيسرنا إليهم جهرة في رحالهم
بلمومة فيها السنور والقما
فجئنا إلى موج من البحر وسطه
ثلاثة آلاف ونحن نصية
نقاورهم تجرى المية يدينا
تهادى قسي النبع فينا وفيهم
ومنجوفة حرمية صاعدية^(٩)

علام إذا لم يمنع العرض نزع^(١)
إذا قال فينا القول لا تطلع^(٢)
ينزل من جو السماء ويرفع
إذا ما انتهى أنا نطيع ونسمع
ذروا عنكم هول المنيات واطمئنا
على الله إن الأمر لله أجمع
إلى ملك ينجي لدبه ويرجع^(٤)
ضجعا علينا البيض لا نتخضع
إذا ضربوا أقدامها لا تروع^(٥)
أحايش منهم حاسر ومقنع
ثلاث ميين إن كثرنا وأربع^(٦)
نشارعهم حوض المايا ونشرع^(٧)
وما هو إلا اليتري المقطع^(٨)
يذر عليها الشم ساعة تصنع

(١) العرض : سفح الجبل ، وهو جبل أحد .

(٢) لا تطلع : لا تنظر إلى غيره . ويروي : لا تظلم : أى لا تميل عنه .

(٣) ابن هشام : وقصدنا . أى : غابتنا .

(٤) ذكر ابن هشام هذا البيت قبل : ولكن خذوا أسياقكم .

(٥) للملومة : الكتبية . والسنور : السلاح . وتروع : تزع . ورواية ابن هشام .

لا تروع .

(٦) النصية . الحبار من القوم .

(٧) نقاورهم : نغير عليهم . ونشارعهم : نشاربهم . ونشرع : نشرب .

(٨) النبع : شجر القسي والسهم ينبت في قلة الجبل . واليتري : الوتر المنسوب إلى

يترب .

(٩) المنجوفة : السهام . والحرمية : المنسوبة إلى الحرم . والصاعدية : المنسوبة إلى

صاعد ، رجل كان يصنعها .

وخيلٌ تراها بالفضاء كأنها جرادٌ صَبَّأَ في قَرَّةٍ بَتَرِيعٍ^(١)
 فلما تلاقَيْنَا ودارت بنا الرَحَى وليس لأمرٍ حَمَّه اللهُ مَدْفَعُ
 ضربناهم حتى تركنا سَرَاتِمَهُمْ كأهمُّ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعُ
 لَدُنْ غُدُورٍ حتى استَقَفَّنا عَشِيَّةَ كَانِ ذَ كَاها^(٢) حَرُّ نَارٍ تَلْفَعُ
 وراحوا سِرَاعًا مَوْجَعِينَ كأنهم جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُتَمَلِّعُ^(٣)
 دُرُحْدَا وَأُخْرَانَا بِطَاأَ كَانَا أُسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْدِشَةٍ ظَلَمُ^(٤)
 فِينَا وَنَالَ الْقَوْمُ مَنَا وَرَبَمَا فَعَلَمَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللهِ وَاسِعُ^(٥)
 ودارت رحانا واستدارت رحاهمُ وَقَدْ جَعَلُوا كُلُّهُ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ
 ونحن أناسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةَ عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الدَّمَارَ وَيَمْنَعُ
 جِلَادٌ عَلَى رَبِّبِ الْحَوَادِثِ لَا تُرَى عَلَى هَالِكٍ عَيْنٌ لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ^(٦)
 بنو الحرب لَا نَعْمِيَا بِشَيْءٍ فَقُولِهِ وَلَا نَحْنُ مِمَّا جَرَّتْ الْحَرْبُ نَجْزَعُ
 بدو الحرب إِنْ نَغْفِرْ فَلَسْنَا بِمَغْفَحٍ وَلَا نَحْنُ مِنْ أَطْعَامِهَا نَتَوَجَّعُ

* * *

وقال حسان بن ثابت يحيب عبد الله بن الزُبَيْرَ عن كلمة له على روى

-
- (١) الصبا : ريع شرقية . والقرة : الليلة الباردة . ويتريم : يذهب ويحى .
 (٢) ابن هشام : ذكانا : أى حرارتنا في الحرب . ولعله أراد هنا أن يبيد الغمير
 إلى الحرب .
 (٣) ابن هشام : موجعين . والجهم : السحاب الرقيق . وهراقت : سبت .
 (٤) بيشة : موضع كثير الأسود .
 (٥) ابن هشام : أوسم .
 (٦) ابن هشام : . لا يرى على هالك عينا لنا الدهر تدمع
 وما هنا أصح .

هذا الجواب يفخر فيها بيوم أحد ، وكنا السكلمتين بفكرها بعض أهل العلم
لمن نسبت إليهما :

أشأقتك من أم الوليد رُبوعُ بلاقيم ما من أهامت جَميعُ^(١)
عقاهن صَيْفُ الرياحِ وواكفُ من الدَّلُو زَحَاف السحابِ هَموعُ^(٢)
فلم يبق إلا مَوْقِد النارِ حَوَله رَوَاكِدُ أمثال الحمامِ كَنُوعُ^(٣)
فَدَعِ ذِكْرَ دارٍ بَدَّدَتْ بين أهلها نَوَى لَمِيناتِ الجبالِ قَطُوعُ
وَقُلْ إن يكن يومٌ بأحدٍ بَعْدَه سَفِيه فإن الحق سوف يَشِيْعُ
فقد صابرت فيه بدو الأوس كلهم وكن لهم ذِكْرٌ هَدَاكَ رَفِيعُ
وحامى بفو البجار فيه وصابروا وما كان منهم في اللقاء جَزُوعُ
أمام رسول الله لا يَخْذُلُونَه لهم ناصرٌ من رَمٍ وشَفِيعُ
وقوا إذ كفرتمْ يا سَخِينُ بربكم ولا يَسْتَوِي عَبْدٌ وَفَى وَمُضْبِعُ^(٤)
بأيديهمُ بِيضٌ إذا حَمَى الوغَى فلا بد أن يودى بهن صَرِيعُ^(٥)
كما غادرت في الثَّقَمِ عُتْبَةُ ثاوبًا وسَمْعًا صَرِيعًا والوشيجُ شَرُوعُ^(٦)
وقد غادرت تحت العِجاجةِ مُسْقِدا أَيْبًا وقد بَلَّ اللَّقْمِيصَ نَجِيْعُ^(٧)
بكفَّ رسول الله حيث نَفِصَتْ على القومِ نَمًا قد يُثَرِّنُ نَقُوعُ^(٨)

(١) البلاقيم : الخاوية .

(٢) الزحاف : المتحرك . وفي ابن هشام : زحاف . وممناما : متحرك مصوت .
والهموع : المطار .

(٣) الكنوع : اللاسقة بالأرض .

(٤) سَخِين : أسلمها سخينة ، وهو لقب لقريش في الجاهلية .

(٥) ابن هشام : فلا بد أن يردى لمن صريع . ويودى : يهلك .

(٦) الوشيج : الرماح . وأصله شجر تصنع منه الرماح .

(٧) العجاجة : فبار الحرب . والنقيص : الدم .

(٨) النقوع : جمع نقم وهو الثبار .

أولئك قومٌ سادةٌ من فروعكم وفي كل قومٍ سادةٌ وفروعٌ
 بهنُ نُمِرُ اللهَ حتى يُمِرَّنا وإن كان أمرٌ يا سيِّحينَ فَنُطِيعُ
 فلا تذكروا قتلىَ وحمةٍ فيهم قتيلاً ثوى الله وهو مطيعٌ
 فإنَّ جَنانَ الخليلِ مَنزلةٌ له وأمرُ الذي بقضي الأمورِ سَرِيعُ
 وقتلاكُم في الدارِ أفضلَ رِزْقهم حَمِيمٌ مَعاً في جَوْفها وضَرِيعُ

* * *

وقال كعب بن مالك ينجب ابن الزُّبَيْرِ وعمر بن العاص عن كلمتين
 قالها في ذلك :

أُبلغَ قريشاً وخير القولِ أَصْدَقُهُ والصدق عند ذوى الألبابِ مقبولُ
 أن قد قَتَلنا بقتلنا سَرَاتَكُم أهلَ اللواءِ ففيها بَسْكَرُ القِبَلِ
 ويومَ بدرٍ قَتَلناكم لَمَّا مَدَدُ فيه مع النصرِ ميكَالُ وجبريلُ
 إن نَقَلونا فدينَ الحقِ فِطْرَتنا والقنلُ في الحقِ عند الله تفضيلُ
 وإن تروا أمرنا في رأيكم سَفْهاً فرأى من خاف لإسلامَ تَضليلُ
 فلا نَمُتُوا إقْساحَ الحربِ واقْتَمِدُوا

إن أخوا الحربِ أَصْدَى اللونِ مشغولُ^(١)

إنا بنو الحربِ نَمُرُّها ونَنْتَجِها وعندنا لذوى الأضغانِ تَفْكِيلُ^(٢)
 إن يابج منها ابنُ حربٍ بعد ما بَانَتْ منه التراقي وأمر الله مفعولُ
 فقد أفادت له حِلْمًا وموعظةً لمن يكون له لُبٌّ ومَعقولُ
 ولو هبطتم ببطن السيلِ كالخِمْ ضربُ بشاكلة البطحاء ترهيلُ^(٣)

(١) إقساح الحرب : اشتدادها . وأصدى اللون : يضرب لونه بين السواد والحمر .

(٢) نمرها : نعلها . ونتجها : نستولدها .

(٣) الشاكلة : الناحية . والترهيل : العطن الشديد .

تلقاكم عُصَبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَهَا^(١) مِمَّا يُعَذِّبُونَ لِلْهَيْجَا سِرَائِيلُ
 مِنْ جِذْمٍ غَسَّانَ مُسْتَرِيخَ حَاثِلِهِمْ لَا جَبَبَاءَ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِيلُ^(٢)
 يَمْشُونَ تَحْتَ عَمَائِكَ الْقِتَالِ كَمَا يَمْشِي لِلصَّاعِبَةِ الْأُذْمُ الرَّسِيلُ^(٣)
 أَوْ مِثْلَ مَشَى أُسُودِ الْبُلِّ أَلْقَاهَا يَوْمَ رَذَاذٍ مِنَ الْجَوْزَاءِ مَشْمُولُ^(٤)
 فِي كُلِّ سَابِغَةٍ كَالْفَنَى مُحْكَمَةٍ قِيَامُهَا قَلْبَحٌ كَالسَيْفِ بُهْلُولُ^(٥)
 تَرَدُّ حَدٌّ قِرَانِ الثَّنْبِلِ خَاسِئَةٌ وَيَرْجِعُ السَّيْفُ عَنْهَا وَهُوَ مَقُولُ^(٦)
 وَقَدْ قَذَفْتُمْ بِسَلْعٍ عَنْ ظُهُورِكُمْ وَلِلْحَيَاةِ وَدَفْعِ الْمَوْتِ تَأْجِيلُ^(٧)
 مَا زَالِ فِي الْقَوْمِ وَتَرٌّ مِنْكُمْ أَبَدًا تَعْفُو السَّلَامُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَطْلُولُ^(٨)

* * *

وقال كعب في يوم أحد أيضاً من قصيدة يفخر فيها بقومه :

فَإِنْ كُنْتَ عَنْ شَأْنِنَا سَائِلًا^(١) فَسَلْ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مِمَّنْ يُلَيْسُنَا
 بِنَا كَيْفَ نَفْعَلُ إِنْ قَلَّصَتْ عَوَانًا ضَرُوسًا عَضُوضًا حَجُورًا^(٢)

(١) ابن هشام : لهم .

(٢) الليل : جمع أميل وهو الجبان . والمعاذيل : جمع معزال وهو من لا رميح معه .

(٣) للصاعبة : الفحول من الإبل . والأذم : البيض الواضحة . والراسيل المتتابعة .

(٤) ألقها : باها . والرذاذ : الضعيف من المطر . والمشمول : الذي هبت به ريح الشمال .

(٥) السابغة : الدرع . والنهى : القدير . والفالج : من الملاح . والبهلول : الحيد

الجامع لكل خير .

(٦) قران الثبل : الموالاة بين سهمين سهمين . وقى ابن هشام : قران الثبل .

وباهنا أصبح .

(٧) سلع : جبل بالمدينة .

(٨) تعفو : تبلى وتدرس . والسلام : جمع سلامة . وهى الحجارة .

(٩) ابن هشام : جاهلا .

(١٠) قلصت : يريد الحرب . أى اشتدت . والعوان : الحرب التى قوتل فيها مرة .

والضروس : الشديدة . والحجون : الموجة .

الدنيا نشد عليها المصائب^(١) حتى تدرّ وحتى تليّننا
 ويوم له رهج^(٢) دائم شديد التهاول حامي الأرباب^(٣)
 طويل شديد أوار القتال تنفي حواقره المقرّفين^(٤)
 تحال الكمأة بأعراضه ثمالي على لذة منزفينا^(٥)
 تمسّور أيمانهم بيّنهم كؤوس المسايا بحدّ اللطيفينا
 شهدنا وكفنا^(٦) أولى بأسه وتحت المصابة والمعلمينا
 بخرس الحسيس حسان رواء وبصريّة قد أجنّ الجفونا^(٧)
 فما ينفلان وما يفجمن وما يذتهبن إذا ما نهينا
 كبرق الخريف بأيدي الكمأة يفجمن بالطلّ هاتما سُكونا^(٨)
 وعلمنا الضرب آباؤنا وسوف نعلم أيضا بنيّنا
 جلاّد الكمأة وبذل التلاد عن جلّ أحسابنا ما بقينا
 إذا مرّ قرن كفى نسله وأورثه^(٩) بعده آخريّنا
 نشب وتهلك آباؤنا وبينا نرى بنيّنا قنيّنا

- (١) المصائب : ما شديده صرع الدابة اندر .
 (٢) الرهج : الغبار . والأرس : أهلها من أرثه بمعنى عضه .
 (٣) كذا في : والمخافة : التي تحفز برحائها أي تمسح بها ، لأنه معلوم المخافة .
 (٤) و ت وابن هشام : قواقره . والمقرّ : المجبن الأصل .
 (٥) منزفينا : سكارى .
 (٦) ابن هشام : فكنا .
 (٧) خرس الحسيس : لا صوت لمن . والرواء : التي رويت من الدم . وبصريّة :
 منسوبة إلى بصري . وأجنّ : ملان وكره .
 (٨) الكمأة : الشجيرات . ويفجمن : يضربن . والهام : الرءوس .
 (٩) التلاد : المال .
 (٩) ت : وأورثه .

وقال حسان بن ثابت يميكي حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه :

أتعرف الدارَ عفا رَسْمَهَا بَعْدَكَ صَوْبُ السَّيْلِ المَاطِلِ ^(١)
 بين السَّرَادِيجِ وَأَذْمَانِهِ فَمَدَفَعَ الرُّوحَاءِ وَ حَانِلِ ^(٢)
 سَأَلْتَهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَلَتْ لَمْ تَذَرِ مَا مَرَّجُوْعَةُ السَّائِلِ ^(٣)
 دَغَ عَنْكَ دَارًا قَدْ عَفَا رَسْمُهَا وَابِكَ عَلَى حِمْزَةٍ ذِي النَّائِلِ ^(٤)
 لِلْمَالِ الشَّيْزَى إِذَا أُعْصِفَتْ غَيْرَاهِ فِي ذِي الشَّيْمِ المَاسِلِ ^(٥)
 وَالتَّارِكِ الْقِرْنِ لَدَى لُبْدَةٍ يَمُتُّ فِي ذِي الْخُرْمِ الدَّائِلِ ^(٦)
 وَالْإِلَاسِ الْخَلِيلِ إِذَا أَحْجَمَتْ كَلَالِيْثَ فِي غَابَةِ الْبَاسِلِ
 أَيْبُضَ فِي الدَّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَمْ يَمَرَ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
 مَاتَ شَهِيدًا بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ شَلَّتْ يَدَا وَخَشَى مِنْ قَاتِلِ
 أَيْ أَمْرٍ غَادَرَ فِي آلَةٍ مَطْرُورَةٍ مَارِنَةٍ لِّلْمَاسِلِ ^(٧)
 أَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لَلْقَدَانِ وَاسْوَدَّ نَوْرُ الْقَمَرِ القَاصِلِ ^(٨)

(١) المسيل : الطر الماطل .

(٢) السراديج : جمع سرديج وهي الأرض المستوية . وأذمانه ومدفع الروحاء : موضعان .
 وحائل : واد في جبل طيء وى ت : في الحائل .

(٣) استعجعت : لم تحب .

(٤) النائل : العطاء .

(٥) الشيزى . جفان كبيرة من خشب . وأعصفت . اشتدت . والنبراء . الرياح .
 والشيم : البرد . والماسل : المجدب . يريد في يوم البرد والجوع .

(٦) ذو لبدة : كنية الأسد . وى ابن هشام : لدى بالذال المهملة . ولهاها . حرمة .
 والخرم : الرمح . والدابل : الرقيق .

(٧) رواية البيت في الديوان ص ٣٣١ :

إن امرءا غودر في آلة مَطْرُورَةٍ مَارِنَةٍ لِّلْمَاسِلِ
 والآلة : الطائفة بالحربة والمطرورة : المحددة . والمارئة : الينة .

(٨) الناصل : الخارج من السحاب .

صلى عليه الله في جنة عالية مُكْرَمَة الداخل
 كما نرى حمزة حرزاً لنا من هكل أمر بأتنا نازل
 وكان في الإسلام ذا تَدْراً يكفيك فقد القاعد الماذل^(١)
 لا تفرحى يا هند واستعجلي دهما وأذرى عبدة الشاكل
 وابكى على عتبة إذ قطعه بالسيف تحت الرهج الجائل^(٢)
 إذ خرّ في مشيخة منكم من كل عات قلبه جاهل
 أرداهم حمزة في أسره يمشون تحت الملق الفاضل^(٣)
 غداة جبريل وزير له نعم وزير الفارس الحامل

* * *

وقال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة، وتروى أيضاً لكم بن مالك
 رضى الله عنهم أجمعين :

بكت عيني وحق لها بكاها وما يننى البكاء ولا الموبل
 على أسد الإله غداة قالوا حمزة ذاك الرجل القتل
 أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول
 أبا يعلى لك الأركان هدت وأنت الماجد البز الوصول
 عايك سلام ربك في جنان نخالها نعيم لا يزول^(٤)

وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة رضى الله عنهما :
 أسائلة أصحاب أحد مخافة بدأت أبى من أعجم وخير

(١) ذو تدرأ : مدافع ذو عز ومنعة . ورواية الديوان : لم يك مالوانى ولا الماذل .
 (٢) قطه : قطعه . والرهج : الفبار . والجائل : المتحرك .
 (٣) أرداهم : أهلكتهم . و أسره : أى ن قرابة . والملق : الدروع . والفاضل : السابق .
 (٤) أتم ابن هشام القصيدة ٢ / ١٦٢ .

فقال الخبير : إن حمزة قد ثوى وزير رسول الله خير وزير
دعاه الإله الحق ذو العرش دعوةً إلى جنّة يحميها وسرور
فذلك ما كذا نرجى ونرجى لحمة يوم الحشر خير مصير
فوالله ما أنساك ما هبت الصبّا بكاء وحزنًا تحضري ومسير
على أسد الله الذي كان مذرهما^(١) يذود عن الإسلام كل كفور
فيأيت شلوى^(٢) عند ذاك وأعظمي لدى أضئع تمتادني وسور
أقول وقد أعني^(٣) الدعى عشريني جزى الله خيراً من أخ ونصير

* * *

وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكي زوجها شماساً وأصيب يوم أحد :
يا عين جودي بفيض غير إبساس^(٤) على كريم من الفتيان آباس
صعب البديهة ميمون نقيبتة تحال ألوبة ركائب أفراس
أقول أما أنى الساعى له جزاً
أودى الجواد وأودى العظيم السكابي
وقلت أما حلت منه بحالسه لا يبعد الله منا قرب شماس
فأجابها أخوها بمنزها فقال :

أقنى^(٥) حياءك فى ستر وفى كرم فإنما كان شماس من الناس
لا تقتل النفس إذ حانت منيته فى طاعة الله يوم الرّوع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى فذاق يومئذ من كأس شماس

* * *

(١) الدرر : المدافع المحامى .

(٢) شلوى : جدى .

(٣) ابن هشام : أعلى .

(٤) الإبساس : التكلب والجهد .

(٥) اقنى حياءك : احفظه .

وقالت هند بنت عُتْبَةَ حين انصرف المشركون عن أحد :

رَجَمْتُ فِي نَفْسِي بِأَلَالِ جَنَّةٍ وَقَدْ فَاتَنِي بِمَعْصُ الدِّي كَانَ مَطْلَبِي

مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْهُمْ وَمِنْ آلِ بَثْرٍ

وَلَكِنِّي قَدْ نِلْتُ شَيْئًا وَلَمْ يَكُنْ

كَأَنِّي أَرْجُو فِي مَسِيرِي وَمَرْكِهِي

وهذه هند أم معاوية بن أبي سفيان ، وكانت امرأة فيها مكاراة وذكورة ولها نفس وأناة ، وكان المسلمون قد أصابوا يوم بدر أباهَا عُتْبَةَ وعَمَهَا شَيْبَةَ وأَخَاهَا الْوَالِدَ ، فأصابها من ذلك ما يصيب النفوس الشهمة والقلوب الكافرة ، فخرجت إلى أحد مع زوجها أبي سفيان تبتغي الانتصار وتطلب الأوتار ، فهذا قولها ، يرحمها الله ، والوتر يُقَالُ لها والكفر يُخْنَقُها والحزن يُحْرِقُها والشيطان يُنْطِقُها .

ثم إن الله سبحانه هداها إلى الإسلام وأَخَذَ بِحُجْرَتِهَا عَنْ سِوَاءِ الْفَارِ ، فَصَلَّحَتْ حَالَهَا وَتَبَدَّلَتْ أَقْوَالُهَا ، حَتَّى قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبِمَا قَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ أَهْلٌ خِيَاءَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِيَابِكَ ، وَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ خِيَاءَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَمْزُوا مِنْ أَهْلِ خِيَابِكَ . أَوْ نَحْوَ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا برسوله أجمعين ، وإياه سبحانه نسأل أن يَمِيتَنَا عَلَى خَيْرِ مَا هَدَانَا إِلَيْهِ ، لَا مَبْدَأِينَ وَلَا مَفِيرِينَ .

غدر هضيل والقارة بأصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عَضَلٍ والقارة ، وهم بدو الهون بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَةَ ، فقالوا له : يا رسول الله إنَّ فينا إسلاماً فابحث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام .

فبحث معهم ستة من أصحابه : مَرْثَدُ بن أبي مرثد الغنوي وأثره عليهم وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، وخبيب بن عدي ، وزيد ابن الدثنة ، وعبد الله بن طارق .

فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بباحية الحجاز من صدر الهداة^(١) غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُذَيْلًا فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجالُ بأيديهم السيوف قد غَشَوْهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولـكننا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة ، ولـكنكم عهدُ الله وميثاقه أن لا تقتلكم .

فأما مَرْثَدُ وخالد وعاصم فقالوا : والله لا نقبل من مشركٍ عهدًا ولا عقدًا أبدًا . وقال عاصم :

ما عَلَيَّ وأنا جَلَدٌ نَابِلٌ والقوسُ فيها وَتَرٌ عُنَابِلٌ^(٢)

(١) الهداة كما قال ياقوت في معجم البلدان : موضع بين عسفان ومكة . وفي الأصل : الهداة . وهو موضع بين مكة والطائف . وما أثبتته عن ابن هشام والطبري .
(٢) الجلد : القوى . والنابل : صاحب النبل . والعنابل : الغليظ .

تَزِيلٌ عَنْ صَفَحَتِهَا لِلْعَابِلِ الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ^(١)
وَكُلُّ مَا حَمَّ إِلَهُ نَازِلٌ بِالْبَرِّ وَالْبِرِّ إِلَيْهِ آيِلٌ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَمَى هَابِلٌ

ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ وَقَتَلَ صَاحِبَاهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

فَلَمَّا قُتِلَ عَاصِمٌ أَرَادَتْ هُدَيْلٌ أَخْذَ رَأْسِهِ لِيَبِيعَهُ مِنْ سُلَافَةٍ بَنَتْ مَعْدُ
ابْنَ شَهِيدٍ بِمَكَّةَ ، وَكَانَتْ حِينَ أَصَابَ ابْنُهَا يَوْمَ أَحَدٍ نَذَرَتْ لَنْ قَدَرَتْ عَلَى
رَأْسِ عَاصِمٍ أَقْشَرِينَ فِي قِصْفِهِ الْخَرَّ ، فَمِنْهُ الدَّبْرُ^(٢) فَقَالُوا : دَعُوهُ حَتَّى
يُتِمِّيَ فَتَذْهَبَ عَنْهُ فَوَ أَخْذَهُ . فَبِعَثَ اللَّهُ الْوَادِي^(٣) فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا
فَذَهَبَ بِهِ .

وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ أَعْطَى اللَّهُ عَهْدًا آلًا يَمُنُّ مَشْرُكَ وَالْآ يَمُنُّهُ مَشْرُكَ
أَبَدًا ، تَنْجَسًا

فَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَهْدَ لِلَّذِينَ كَانَ عَاصِمٌ
نَذَرَ آلًا يَمُنُّهُ مَشْرُكَ وَلَا يَمُنُّ مَشْرُكَ أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ ، فَمِنْهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ
كَأَمْتَمَعَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ .

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدُّثَيْنَةِ وَخَبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ فَلَا نَوَا

(١) العَابِلُ : سَمِعَ مَعْبَلَةً ، وَهُوَ هَمْلٌ عَرِيسٌ طَوِيلٌ .

(٢) الدَّبْرُ : النَعْلُ .

(٣) الْوَادِي : السَّبِيلُ .

ورقوا ورغبوا في الحياة، فأعطوا بأيديهم فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعهم بها، حتى إذا كانوا بالظهران^(١) انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن^(٢) ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبروه بالظهران.

وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما [مكة]^(٣) فابتاع خبيباً حُجَيْرُ بن أبي إهاب التيمي لعُقبَة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقطله بأبيه.

وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقطله بأبيه أمية بن خلف، فبعث به مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم^(٤)، فأخرجوه من الحرم ليقطلوه، واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان لما قُدمَ ليقتل: أشدك الله يا زيد أن محمداً الآن ههنا مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي.

يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد^{صلى الله عليه وسلم}.

ثم قتله، رحمه الله، نسطاس مولى صفوان.

قال ابن عُقبَة: وزعموا أنهم رموه بالنبل وأرادوا فتنقه فلم يزد إلا إيماناً وبقية.

وأما خبيب بن عدى فجلس في مكة في بيت ماوية مولاة حُجَيْرِ بن أبي إهاب، فكانت تخبر بعد ما أسلمت، قالت: لقد أطاعتُ عليه يوماً

(١) الظهران: واد قرب مكة.

(٢) القرآن: الحبل.

(٣) من ابن هشام.

(٤) التنعيم: موضع بين مكة وسرف على فرسخين من مكة.

وإن في يده إقطاعاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، ووالله ما أعلم
في أرض الله عنباً يؤكل !

قالت : وقال لي حين حضره القتل : ابشئ إلى بحديدة أتعطرها للقتل ،
فأعطيت موسى سلاحاً من الحصى فقالت : ادخل بها على هذا الرجل . قالت :
فوالله ما هو إلا أن ولى الغلام بها إليه فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله
الرجل نأره فقتل^(١) هذا الغلام ، فيكون رجلاً برجل فلما ناوله الحديدة
أخذها من يده ثم قال : لعمرك ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه
الحديدة إلى ؟ أأنت خلى سبيله .

ثم خرجوا بخييب حتى إذا جاءوا به التميم ليصلبوه قال لهم : إن رأيتم
أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا له دونك فاركع . فركع ركعتين
وأنتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا تظفوا أنى إنما
طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة .

فكان خبيب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين^(٢) .

ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه قال : اللهم قد بلغنا رسالة رسولك
فبلغنا الغداة ما يُسمع بها . ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تعادر
منهم أحداً . ثم قتلوه .

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرت يومئذ فيمن حضره مع أبي

(١) ابن هشام : يقتل . وروى ابن كثير : يقتل .

(٢) قال السهيلي : وإنما صارت سنة لأنها فعلت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
واستحدثت من منبجه . وقد صلاها زيد بن حارثة أيضاً وحياة النبي صلى الله عليه وسلم ،
ولمسة أخرجهما أبو بكر بن أبي خيثمة .

سفيان ، فلقد رأيتني في الأرض فرّقا من دعوة خبيّب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعِيَ عليه فاضطجع لجنبه زآت عنه .

وكان ممن حضر يومئذ سعيد بن عامر بن حذيم الجعفي ، ثم أسلم بعد ذلك واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية بين ظمري القوم ، فذكر ذلك لعمر وقيل : إن الرجل مصاب . فسأله عمر رحمه الله في قدّمة قدّمها عليه فقال : يا سعيد ما هذا الذي يصيبك؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ، ولكنني كنت فيمن حضر خبيّب بن عدى حين قُتل وسمعتُ دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس إلا وغشي عليّ . فزادته عند عمر خيرا .

وذكر ابن عُبَيْد أن خبيّب وزيدا قُتلا في يوم واحد ، قال : وزعما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو جالس في ذلك اليوم الذي قُتل فيه : « وعليكما أو عليك السلام ، خبيّب قتلته قريش » لا ندرى أذكر ابن الدّانة معه أم لا .

وقال خبيّب رحمه الله لما اجتمع القوم لصلّبه :

لقد جمع الأحزاب حَوَلي وألّبا قباثلهم واستجمعوا كلّ تجّمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقربّت من جذع طويل ممّنع
إلى الله أشكو عُرْبتي ثم كُرْبتي

وما أرصد الأحزاب لي عند مضرعي

فذا العرش صبرني على ما يراد بي

فقد بضموا لحى وقد ياسَ مطمعي^(١)

(١) بضموا : قطعوا . وياس : يئس .

وذلك في ذات الإله وإن يشأ
 ببارك على أوصال شلوي تمزّع^(١)
 وقد خيروني للكفر والموت دونه وقد هملت عيناى من غير تجزّع
 وما بي حذار الموت إنى لميت
 ولكن حذارى جعّم نار مافع^(٢)
 ولست أبالي حين أقتل مسلّا
 على أى جنب كان فى الله مضجعى^(٣)
 فليست بمبدد للمعدوّ نخشعا ولا جزعا إنى إلى الله مرجعى

وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا :
 يا عين جودى بدمع منك منسكب
 وابكى خبيبا مع الفتيان لم يؤب
 صقرا توسط فى الأنصار منصبيه
 تمنح السجينة محضاً غير مؤنسب^(٤)
 قد هاج عيني على علات عرتها
 إذ قيل أنى^(٥) إلى جذع من الخشب

(١) الشلو : العضو والجسد من كل شىء . والمزّع : المقطع .

(٢) الجعم : اللقطة المضطرب : والملمع : المذهب .

(٣) رواية البيت عند ابن كثير : فوالله ما أرجو إذا مات مسلّا . . . و ابن هشام :

مضجعى .

(٤) الهنس : المربيع النسب . والؤنسب : المختلط .

(٥) نس : رفع وأسند .

يا أيها الراكبُ الفادي لطيفته^(١)
 أبلغ إليك^(٢) وعيدا ليس بالكذب
 بني كهينة إن الحرب قد لقيحت
 تخلوها الصواب إذ تمرى لخطيب^(٣)
 منها أسودُ بني النجار يقدمهم
 شهب الأسننة في منصوب حلب^(٤)

وقال حسان أيضا بهمجو هذيل :

لعمري لقد شانت هذيل بن مدرك أحاديث كانت في خبيب وعاصم
 أحاديث لحيان صلوا بقبيلها ولحيان جرأمون شر الجرائم
 أناس هم من قومهم في صميمهم بمنزلة الزمان دبر القوائم^(٥)
 هم غدروا يوم الرجيع وأسلفت أمانتهم ذا عفة ومكارم
 رسول رسول الله غدرا ولم تكن هذيل توقى منكرات المحارم

(١) لطيفته : لغايته التي يمضي إليها . قال في الأساس : « فمضى لطيفته . وسعدت عنا
 لطيفته ، وهي الجهة التي إليها يطوى البلاد »

(٢) ابن هشام : أبلغ لديك .

(٣) كهينة . كذا بالأصل . ورواية ابن هشام : كهينة . ناداء . قال السهلي :
 « جعل كهينة كأنه اسم علم لأهمهم ، وهذا كما يقال : بني سوطري ، وبني القري ، وبني دردة .
 وهذا كله اسم لمن يست وعبرة عن السمة من الناس ، وكهينة من الكهنة وهي العبدة ،
 وهذا كما قالوا : بني النبراء « الروض ٢ / ١٧٣ .

ورواية الديوان . بني فكيمة . ولقيحت الحرب : اشتدت . والصواب : جرير . وندي :
 يدربونها .

(٤) المنصوب : الجيش المجتمع . واللجب : ذو الجلبة وذلك بدل على كثرة .

(٥) الزمان : جمع زمعة ، وهي هنة زائدة ، أو شبه أطوار القمر في الرسم .
 وفي ابن هشام : دبر القوائم .

فسوف يرون للنصر يوماً عليهم
بقتل الذى يحميه دون الحرائم^(١)
أبائيل دَبر شمسٍ دون نجمه
حَتَّ اللحمَ شَهَادٍ عِظَامَ الملاحم^(٢)
أهلٌ مُذْبِلًا أن يروا بمصابه
مصارع قتلى أو مقامًا لأنهم
ويوقع فيها وقعة ذات صولة
يوافى بها الركبانُ أهلَ اللوازم
بأمر رسول الله إنَّ رسوله
أى رأى ذى حَزْمٍ بِلِغَيَاتِ عالم
قُبَيْلَةَ إيسى الوفاء بهم
وإن ظلموا لم يرفعوا كَفَّ ظالم
إذا للناسُ حلُّوا بالفضاء رأيتهم
بمَجْرَى مَسِيلِ الماء بين المَخَارِمِ^(٣)
محلهم دارُ البوار وزأبهم
إذا نأبهم أمرٌ كَرَأَى البهائم

(١) الحرائم : الحرمات . أى دون أن تنتهك حرمة .
(٢) الأبائيل : الجماعات . والدبر : ذكور العجل . والشمس : الحامية . والملاحم :
المحروب .
(٣) المَخَارِم : مسایل الماء .

غزوة بئر معونة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد .

وكان من حديثهم أن أباً براء مَلَّاعِب الأَسِنَّة ، واسمه عامر بن مالك ابن جعفر ، قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ودعاه إليه ، فلم يُسَلِّمْ ولم يُبْعِد من الإسلام ، وقال : يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلى أخشى عليهم أهل نجد » . قال : أنا لهم جارٌّ فابعثهم .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المذخر بن عمرو أخا بني سعد ، المُنَاقِ ليموت^(١) ، في أربعين رجلاً من أصحابه ، منهم الحارث بن العُصَمَة ، وحَرام ابن مِلْحَانَ ، وعروة بن أسماء بن الصلت السُلَمي ، ونافع بن مُذَبِّل بن وُرْهَاء وعامر بن فُهَيْرَة ، في رجال مسَّمين من خيار المسلمين .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ، كلاً للبلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب .

فلما نزلوها بعثوا حَرامَ بن مِلْحَانَ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاهم لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل

(١) أي السرح إلى الشهادة .

فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوه ، وقالوا : ان نخفر
أبا آراء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً .

فاستصرخ عليهم قبائل من [بنى] ^(١) سُلَيْم : عُصَيَّة ورِغْلًا وذَكْوَان ،
فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشُوا القومَ فأحاطوا بهم في رحالهم فلما
راوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلهم حتى قُتِلوا من عند آخرهم رحمهم الله ،
إلا كعبَ بن زبد أخا بنى دينار بن النجار يرجه الله ، فإنهم تركوه وبه
رَمَقُ فَارْتُث ^(٢) من بين القتل فماش حتى قُتِل يوم الخندق شهيداً .

وكان في سَرَحِ القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار
من بنى عمرو بن عوف قيل إنه المنذر بن محمد بن عُمَيَّة بن أُحَيَّة بن الجَلَّاح ،
فلم ينيبهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على المسكر فقالا : والله إن لهذا
الطير كُشَانَا .

فأقبلا ليظنرا فإذا القومُ في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة .

فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ماترى ؟

قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره . فقال
الأنصارى : ولكنى ما كنت لأرعبَ بنفسى عن موطنٍ قُتِل فيه المنذر بن
عمرو وما كنتُ لتخبرنى عنه الرجال .

ثم قاتل القومَ حتى قُتِل .

(١) من ابن هشام .

(٢) ارتث : نجا جريحاً وبه رمق .

وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجزاً ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة^(١) من صدر قداة أقبيل رجلان من بني عامر حتى نزلا منه في ظلّ هو فيه فسألها عن أتما ؟ فقالا : من بني عامر . فأمهلها حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثمرة من بني عامر في ما أصابوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، فلما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر قال : لقد قتلت قتيلين لأدينتهما . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبي براء ، قد كمت لهذا كارها متحوقاً .

وكان فيمن أصيب يومئذ عامر بن فميرة ، فكان عامر بن الطفيل يقول : من رجل منهم لما قُتل رأيتُه رُفِعَ بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فميرة .

وذكر ابن عقيبة أنه لم يوجد جسدُ عامر بن فميرة يومئذ ، فيرون أن اللائكة هي وارثته رحمة الله عليه .

وكان جبّار بن سلمى فيمن حضرها يومئذ مع عامر بن الطفيل ثم أسلم فكان يقول : إن مما دعاني إلى الإسلام أرى طمعت رجلاً منهم

(١) القرقرة : هي قرقرة الكدر ، موضع بناحية المدن ، بينه وبين المدينة ثمانية برد .

بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ،
فسمعتة يقول : فُزْتُ والله ! فقلت في نفسي : ما فاز ؟ ألسنتُ قد
قتلت الرجل ؟ حتى سألتُ بعد ذلك عن قوله فقالوا : بالشهادة^(١)
فقلت : فاز لأمر الله .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً يدعو في صلاة الغداة على الدين
قتلوا أصحاب بئر معونة ، يدعو على رعل وذكوان وعُمَيَّة الذين عصوا الله
ورسوله ، وأنزل فيمن قُتل هنالك قرآن ثم رفع : « بأغوا عنا قومنا أن
لقيمنا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه » .

(١) ابن هشام : للشهادة .

ذكر غزوة بني النضير

والسبب الذي هاج الخروج إليهم

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم يستعينهم في دية للعايرين ، الذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لها ، فقالوا له لما كلمهم في ذلك : نعم يا أبا القاسم نعيذك على ما أحببت مما استمعت بها عليه ، اجلس حتى نطعم وتزجج بحاجتك .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ظل جدار من جدر بيوتهم معه نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى^(١) ، ينتظرون أن يصاحوا أسرم .

فخلا بعضهم^(٢) ببعض والشيطان معهم لا يفارقهم ، فاثمروا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فن رجل يملو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه .

فانتدب لذلك عمرو بن جعاش بن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك . وصعد ليفعل .

(١) زاد الطلحي : وأسيد بن حضير .

(٢) الضمير راجع إلى يهود بني النضير .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ،
فقام راجعاً إلى المدينة وترك أصحابه في مجلسهم ، فلما استلبث النبي صلى
الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه
عنه فقال : أقيته داخل المدينة ، فأقبلوا حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما كانت
يهود أرادت من القدر به .

* * *

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم ،
ثم سار بالناس ونزل بهم ، فتحصنوا منه في الحصون .
وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجلاء عن أوطانهم وأن
يسيروا حيث شاءوا ، فرأسهم أولياؤهم من المنافقين عبد الله بن أبي في
رهمط من قومه حين سمعوا ما يراد منهم : أن اثبتوا وتمنعوا فإننا إن
نسلمكم ، إن قاتلتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم .
ففر عنهم أمانى المنافقين ، ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه :
إننا والله لا نخرج ، وإن قاتلنا لقاتلناك .

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر الله فيهم ، فلما انتهى إلى
أزقتهم وحصونهم كره أن يمكثهم من القتال في دورم وحصونهم ، فحفظ
الله له أمره وعزم له على رشده ، فأمر بالأذنى فالأذنى من دورم أن
يهدم وبالنخيل أن تحرق وتقطع ، وكف الله أيديهم وأيدي المنافقين
فلم يصروهم ، وألقى الله في قلوب الفريقين كاهما الرعب ، فهدموا الدور
التي هم فيها من أدبارها ، فلما كادوا يبلغون آخر دورم وهم ينتظرون

المدافقين ويتربصون من نصرهم ما كانوا يُمَنُّونهم به حتى يئسوا بما عندهم ،
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان عرض عليهم قبل ذلك .
فقاضاهم صلوات الله عليه وسلامه أن يُجلبهم ويكف عن دماءهم
وعلى أن لهم ما استقلت به الإبل من أموالهم إلا الحلاقة فقط .

فطاروا بذلك كلَّ مَطيَرٍ وتحملوا بما أفلت إياهم ، حتى إن الرجل
لبيدهم بيتة عن نجاف^(١) بابه فيضمه على ظهر بعيره فينطلق به . فخرجوا
إلى خير ، ومنهم من سار إلى الشام ، وكان أشرفهم بنو أبي الحقيق
وحَيَّ بن أخطب فيمن سار إلى خير ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

وحلّى بنو النضير الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت
له خاصة بحكم الله له بها ليضمها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين
دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دُجانة سَمَاكَ بن خَرَشَةَ ذَكَرَا
فقرأ فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منها .

وكانت اليهود قد عيَّروا المسلمين حين يهدمون الدور وبقطعون النخيل
فدادوا : أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صدقه ، فما
بال قَطْع النخيل وتحريقها ؟ وما ذنب شجرة وأنتم تزعمون أسكن مصلحون
في الأرض ؟

فأنزل الله سبحانه في قصتهم وما ذكروه من قولهم وبيان وجه الحكم
في أموالهم سورة الحشر بأمرها . فقال عز من قائل :

(١) النجاف : المثبة بأعلى الباب .

« شَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرِّيبَ يُخْرِجُونَ يَهُودَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ » لَلَّذِي كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْهَدْمِ مِنْ أَدْبَارِ بَيْتِهِمْ وَهَدَمَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا يَلِيهِمْ مِنْهَا .

« وَلَوْلَا أَنْ نَتَّبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا » أَيْ بِالسَّيْفِ .
« وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » أَيْ ، مَعَ مَا لَقَوْهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّقْمَةِ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فِيمَا عَابَوْهُ مِنْ قَطْعِ النَّخِيلِ وَعَذْوِهِ مِنْ ذَلِكَ فَسَادًا :
« مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْثَةٍ ^(١) أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ » أَيْ فَبِأَمْرِ اللَّهِ قُطِعَتْ ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَسَادًا بَلْ نِقْمَةٌ أَنْزَلَهَا بِهِمْ « وَلِيُنْزِلَ فِي الْأَقْصَى » .

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْحَكْمَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنَّهَا نَقْلٌ لَهُ لَا سَهْمٌ لِأَحَدٍ فِيهَا مَعَهُ فَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ وَجَلَّ قَوْلُهُ : « وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَاطِرُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ أَرَادَ اللَّهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ كَمَا تَقَدَّمَ وَأَعْطَى مِنْهَا الرِّجَالِ الْمُسَيِّئِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ .

* * *

(١) الْلَيْثَةُ : مَا لَمْ يَسْكُنْ بَرْنِيَّةً وَلَا عَجْوَةً مِنَ النَّخْلِ .

وقال علي بن أبي طالب يذكّر إجلال بني النضير وما تقدم قبل ذلك
من قتل كعب بن الأشرف ، ويقال بل قاتلها رجل من المسلمين غير علي: ^(١)

عرفتُ ومن يعتقدُ يَعْرِفِ وَأَبْقَتْ حَقًّا ولم أَصْدِفِ ^(٢)
عن الكلامِ المحكمِ لللاءِ مِن لَدَى اللَّهِ ذِي الرَّأْفَةِ الرَّائِفِ ^(٣)
رسائلُ تُدْرَسُ في المؤمنينَ بنِ اصْطَفَى أَحْمَدَ الْمُصْطَفَى
فأصبحَ أَحْمَدُ فيها عَزِيزًا عَزِيزَ الثَّمَنَةِ وَالْمَوْقِفِ
فيا أيها الموعِدوه سَفَاهَا ولم يأتِ جَوْرًا ولم يَعْثِفِ
الستمُ تخافونَ أدنى العذابِ وما آمِنُ اللَّهَ كَالْأَخَوِ
وأنْ تُصْرَعُوا نَحْتُ أَسِيَّافِهِ كَصَرَعِ كَعْبِ أَبِي الْأَشْرَفِ
غَدَاةَ رَأَى اللَّهَ طَغْيَانَهُ وَأَعْرَضَ كَالْجَلِّ الْأَحْنَفِ ^(٤)
فأنزلَ جبريلَ في قَتْلِهِ بوحىٍ إلى عبده مُلَطِّفِ
فدسَّ الرسولُ رسولاً له بأبيضِ ذِي هَبَّةٍ مُرْتَفِ
فباتتِ عبودُ له مُعْوِلَاتٍ متى يُنْفَعُ كَعْبٌ لها تَذْرِفِ
وقلنَ لأحمدَ ذَرْبًا قَلِيلًا فَإِنَّا مِنَ النَّوْجِ لم نَشْتَفِ
نُفْلَامِ ثُمَّ قالِ انظَمُوا دُحُورًا على رَغَمِ الْأَنْفِ
وَأَجَلَى النَّضِيرِ إلى غُرْبَةٍ وَكَانُوا بَدَارِ ذَوَى زُخْرَفِ

(١) قال ابن هشام : ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها لعل .

(٢) لم أصدف : لم أعرض .

(٣) ابن هشام : الأرف .

(٤) الأحنف : اللائل صدر قدمه أو الموج الرجل . وفي ابن هشام الأحنف : والجنب :

الليل والجور .

إلى أَذْرُعَاتِ رُدَاقِيٍّ وَمِ^(١) هَلِي كُلِّ ذِي دَبَرٍ أُعْجَفِ

ولم يُسَلِّمْ من بنى اللخثير إلا رجلاً : يامين بن عمير بن كعب بن عمرو
ابن جِحَاشٍ ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما خوفاً على أموالهما فأحرزاهما وحدث
بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم تر ما أقيمتُ
من ابن عمك وما هم به من شائى ؟ فجعل يامين أرجل جُملاً على أن يقتل عمرو
ابن جِحَاشٍ فقتله ، فيما يزعمون .

غزوة ذات الرقاع

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهرَ ربيع وبعض جُنادي ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلًا^(١) . وهى غزوة ذات الرقاع وسميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، وقيل لأجل شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل أما كانوا يعصبون على أرجلهم من الخرق إذا ثقت أقدامهم .

فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك جمعاً من غطفان ، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وحاف الناس بعضهم ببعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بهم .

وفي هذه الغزوة عرض له رجل من محارب يقال له سؤدث ، وقد قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حِجْرِهِ فقال : يا محمد أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم . فأحذه فاستله ثم جعل يهزه ويهيم به فيكبره الله ، ثم قل : يا محمد أما نخافى ؟ قال : لا ، ما أخاف منك . قال : أما نخافى وفي يدي السيف ؟ قال : بل يمعن الله منك . ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّه عليه .

فأنزل الله تبارك وتعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ ابْتِغَاوْا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَهَلَى اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ »^(٢) .

(١) نخل : موضع بجند من أرس غطفان .

(٢) سورة المائدة ١١ .

وتيل : إنها إنما نزلت في عمرو بن حشاش وما هم به من إلقاء الحجج على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وصل إلى بني النضير مستمعيناً بهم في دية المهاجرين . فله أعلم أي ذلك كان .

* * *

حدث جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً أي زوجها وكان غائباً ، فلما أحضر الخبر حلت ألا يقتل حتى يُهرق في أصحاب محمد دماً ، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً ، فقال : من رجل يكلمنا ليلتنا ؟ قال : فانتدب رجل من المهاجرين ، قيل هو عمار بن ياسر ، ورجل من الأنصار ، قيل هو عباد بن بشر ، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري المهاجري : أي الليل نحب أن أكلميك أوله أو آخره ؟ قال : بل أكفي أوله فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، وأنى الرجل فلما رأى شخصه عرف أنه ربيعة^(١) القوم ، فإماه بسهم فوضعه فيه ، قال : فانتزعه عنه وثبت قائماً ، ثم إماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه فنزعه ثم ركم وسجد ، ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت^(٢) .

قل : فوثب ، فلما رآها الرجل عرف أن قد نذرا به فهرب ، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء ، قل : سبحان الله ، أفلا أُهَيِّئَتِي أول مارمك ؟ قل : كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع على الرمي ركعت فآذنتك ، وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها !

(١) الربيعة : الطالبة .

(٢) أثبت : أتمنته الجراحة .

[قصة جمل جابر]

وقال جابر بن عبد الله : خرجت إلى غزوة ذات الرقاع هلى جمل لى ضعيف ، فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت الرفق تمضى وجعلت أنخلف ، حتى أدركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله أبطأ بى جمل . قال : أنيخه . فأنخته وأماخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك أو أقطع لى عصا من شجرة ففعلت فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنسها بها نخسات ثم قال : اركب ، فركبت فخرج والذى بعته بالحق يواحق^(١) ناقته مواهقة ، وتحدثت معه فقال لى : أنيمنى جملك هذا يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله بل أهبة لك . قال : لا ولكن يمتيه قلت : فسؤميه . قال : قد أخذته بدرهم . قلت : لا إلا أن تغبئنى يا رسول الله . قال : فبدرهمين . قلت : لا . فلم يزل يرفع لى حتى بلغ الأوقية فقلت : أفد رصبت ؟ قال : نعم . قلت : فهو لك . قال : قد أخذته .

ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أتديك أم بكر ؟ قلت : بل تديك . قال : أفلا جارية تلاحها وتلاعبك ؟ قلت : يا رسول الله إن أبى أصيب يوم أحد وترك بقات له سبعة ففكحت امرأة جامعة تجمع رهوسهن وتقوم عليهن . قال : أصبت إن شاء الله ، أما إنه لو قد جئنا صرارا^(٢) أمرنا بجزور ففجرت وألقنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضت^(٣) نمارقها . قلت : والله يا رسول الله ما لها^(٤) من نمارق . قال : إنها ستكون . فإذا

(١) يواحق ناقته : يباريها .

(٢) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(٣) يريد امرأة جابر . والتمارق : الوسائد أو الطنافس .

(٤) ابن هشام : مالها .

أنت قدمت عليها فاعمل عملاً كيبساً . قال : فلما جئنا صرّاراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى دخل ودخلنا ، فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : قدونك فسمع وطاعة .

فلما أصبحت أحدث برأس الجمل فأقبلت به حتى أنمته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلست في المسجد قريباً منه ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل ، فقال : ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر . قال : ابن جابر ؟ فدعيت له . فقال : يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك . ودعا بلالاً وقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً ، فوالله ما زال ينمي عندي ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا ! يعني يوم الحرّة^(١) .

[غزوة بدر الموعِد]

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع أقام بها ثمانية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب . ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان ، حتى نزله فأقام عليه ثمانى ليال ينتظره .

وخرج أبو سفيان ، في أهل مكة حتى نزل بجدة من ناحية الظهران ،

(١) وقعة الحرّة كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية حين خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية . فأرسل يزيد مسلم بن عقبة المري فاتهب المدينة وقتل من أهلها خلقاً ، وكان بيت جابر رضى الله عنه بين البيوت التي نهبت ، بل كاد أن يقتل لولا أن أجاره مروان !

هذا وقد قال القرطبي في امتاع الأسماح ١ / ١٩١ : وقد قيل إن قصة جل جابر ويصيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في غزوة ذات الرقاع ، وفي ذلك نظر ، لأنه جاء أن ذلك كان في غزوة تبوك .

وبعضُ الناس يقول عُسْفَان ، ثم بدّاله في الرجوع فقال : يا معشر قريش إنه لا بُدَّ لحكم إلا عامٌ خَصِيْب ترْعَوْنَ فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فإنَّ عامكم هذا عامٌ جَدْب ، وإنِّي راجع فأرجعوا فرجع الناس ، فسماهم أهلُ سكة جيش السَّوْبِق يقولون : إنما خرجتم تشربون السَّوْبِق .

وأطام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بَدْرٍ ينتظر أبا سفيان ليمعده ، فأتاه نخشى بن عمرو الضمري ، وهو الذي كان وادعه على بني ضمرة في عزوة ودان فقال : يا محمد أجئت للاقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بني ضمرة ، وإن شئتَ مع ذلك ردّدنا إليك ما كان بيننا وبينك ثم جبالذناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة . ومرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو هناك ينتظر أبا سفيان معبداً ابن أبي معبد أنلزعاه فقال وفاقته تهوى به ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قد نَفَرْتُ مِنْ رَفِيقِي مُحَمَّدٍ وَهَجَوْتُ مِنْ بَثْرِ كَالْمَنْجِدِ^(١)
تَهْوَى عَلَى دِينِ أَبِيهَا الْأَنْلِدِ قَدْ جَعَلَتْ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي^(٢)
وماء ضَجْنان لها نَحْيُ الْعِدِ

وقال عبد الله بن رواحة في ذلك ، ويقال إنها لسكعب بن مالك .
وعَدْنَا أبا سفيان بَدْرًا فلما نَجَدُ ليمعده صِدْفًا وما كان وافيًا
فأقسمُ لو وافيئدنا فلقئدنا لأَبَتْ ذَمِيًّا وَفَقَدْتُ التَّوَالِيَا
تركنا بها أوصالَ عُثْبَةَ وابنه وعمرًا أبا جهل تركناه ثاوبًا

(١) المَنْجِد : لزيب أو الأسود منه ، أو الردي .

(٢) الْأَنْلِد : الأقدم . وقديد : موضع قرب مكة . وضجنان : جبل بناحية نهامة ،

وقيل على بريد من مكة .

عصيتم رسول الله أفتر لديكم وأمركم السيئ الذي كان غلوباً
 فأتى وإن عتقتهموني أمثال فداً لرسول الله أهلى ومالياً
 أطعناه لم يعدله فيما بغيره شهاباً لداً فى ظلمة الليل هادياً
 وقال حسان بن ثابت فى ذلك :
 دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ دَحَالِ دُونَهَا جِلَادَ كَأَفْوَاهِ الْخَاضِ الْأَوَارِكِ^(١)
 بَأْيَدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ وَأَنْصَارَهُ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَائِكِ
 إِذَا سَلَكْتَ لِلْمَغُورِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَاكَ
 أَقْبَا عَلَى الرَّسِّ الْأَزُوعِ ثَمَانِيًا بِأَرْعَنَ جِرَارٍ ، بَصِ الْمَبَارِكِ^(٢)
 بِكُلِّ كُنْهَيْتِ نَجْوَاهُ نَصْفُ خَلْقِهِ وَقُبَّ طَوَالِ مُشْرِفَاتِ الْخَوَارِكِ^(٣)
 نَرَى لِلْعَرَفِجِ الْعَامِي تَدْرِي أَصُولَهُ مَنَاسِمُ أَخْفَافِ الْمَطِيِّ الرِّوَاتِكِ^(٤)
 فَلَمَّا تَلَقَّى فِي طَلُوفَا وَالتَّمَسَّاسَا قُرَاتِ بْنِ حَيَّانٍ يَكُنْ رَهْنُ هَالِكِ
 وَإِنْ تَلَقَّى قَيْسَ بْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بِهَدَ

يزد ، و سوادٍ لونه لون حالك
 فأبلغ أما سفيان عني رسالةً فإك من غرّ الرجال الصّعاليك
 ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأطام بها حتى مضى
 ذو الحجة وهى سنة أربع من مقدّمه المدينة ، ثم غزا دومة الجندل ، ثم رجع
 قبل أن يصل إليها ولم يلق كيداً ، صلى الله عليه وسلم .

(١) العاجات : جم داج بالتحريك وهو النهر الصغير . والحلاد : الضرب بالسيوف
 الخاض : الخواجل من الإبل . والأوارك : التى ترعى الأراك .
 (٢) الرس : البئر العلوية بالحجارة . والأزوع : القرية القمر . والأرعن : الجيش
 الكثير له فضول .
 (٣) الكهيت : الفرس . والموز : الوسط . والقب : جم أقب ، وهو الصامر من
 الخيل . والموارك : جم حارك وهو أعلى السكاهل .
 (٤) العرفج : نبت . والعامى : الذى أتى عليه العام . وتندى : تفلح . والمناسم :
 جمع منسم وهو خف البعير . والروانك : السرعة .

غزوة الخندق

وكانت في شوال من سنة خمس في قول ابن إسحاق .
وكان من الحديث عن الخندق أنه لما أُجِّلَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
بني النضير خرج نفرٌ من اليهود ، سلام بن أبي الحقيق وخبّ بن أخطب
وكنانة بن الربيع الغضريون ، وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائليان ، في نفر من
بني النضير وبني وائل ، وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، حتى قدّموا مكة على قريش فاستنّفروهم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودعّوهم إلى حربِهِ وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .
فقال لهم قريش : يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما
أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خيرٌ أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم
خيرٌ من دينه وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم :
« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا *
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْمِزِ اللَّهَ فَلَئِنْ نَجِدْ لَهُ نَصِيرًا * » (١) .
فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم وأشطوا أمّا دعّوهم إليه من حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا لذلك واتّمدوا له .

ثم خرج أولئك النفر حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعّوهم إلى
مثل ما دعّوا إليه قريشاً ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم وأن قريشاً قد
نابّعوهم على ذلك .

وجعلت يهود غطفان تحريضاً على الخروج نصف تمر خير سنة (٢) .

(١) سورة النساء ٥١ ، ٥٢ .

(٢) في إمتاع الأسماع للمقريزي ٢١٧/١ . وجعلت لهم تمر خير سنة ، إن تمّ صروهم .

فزعوا أن الحارث بن عوف أخا بني مُرَّة قال لُعَيْيَّة بن حِصْن بن حذيفة
ابن بدر واقومه من غطفان : يا قوم أطيعوني ، دَعُوا قتالَ هذا الرجل واخلُّوا
بيده وبين عدوه من العرب فغلب عليهم الشيطان وقطع أعناقهم الطمع
ونفذوا لأمر عُيَيْيَّة على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكتبوا إلى
حلفائهم من بني أسد ، فأقبل طَلْحِيَّةُ الأَسَدِي ، فيمن اتبعه من بني أسد
وهما الحليفان أسد وغطفان .

وكتبت قريش إلى رجال من بني مُسَلِّمٍ أشرف بينهم وبينهم أرحام
استمداداً لهم ، فأقبل أبو الأعور بمن اتبعه من سليم مدداً لقريش .
نحرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وحرجت غطفان وقائدها
عُيَيْيَّة بن حصن في بني فزارة والحارث بن عوف في بني مُرَّة ومُسْمَر بن ^(١) رُخَيْلَةَ
الأشجعي فيمن تابعه من قومه من أشجع ، وتسكامل لهم ولبن استمدوه
فأمدهم جمعٌ عظيم ، هم الذين سماهم الله « الأحزاب » .

[حفر الخندق]

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروجهم وبما أجمعوا له من الأمر
أخذ في حفر الخندق وضربه على المدينة ، فعمل فيه صلى الله عليه وسلم ترغيباً
للمسلمين في العمل والأجر وعمل معه المسلمون ، فدأب فيه ودأبوا حتى
أحسكوه .

وأبطأ عنهم في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين وجعلوا يُورُونَ بالضعيف
من العمل ويتسللون إلى أهلهم بنير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتَه النَّابِئَةُ من الحاجة التي لا بد له

(١) كذا بالأصل . وفي ابن هشام : مسمود .

منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه في الحقوق بحاجته فيأذن له فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتساباً له ، فانزل الله في أولئك من المؤمنين : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ^(١) » فبرزت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة والطاعة لله ورسوله

ثم قال تبارك وتعالى ، يعنى الموافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن من الله صلى الله عليه وسلم : « لا تعملوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم وإذا فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

[معجزات للرسول]

وكانت في حفر الخندق أحاديث فيها من الله حبرة ، تصديق رسول الله وتعميق نبوته ، عاين ذلك المسلمون . منها : أنه اشتد عليهم في بعض الخندق كذبته ^(٢) فشكوهها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء فعمل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكذبة فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لأهالت حتى عادت كالسكين ما ترد فأساً ولا مسجاة . ودعت عمرة بنت ربيعة أم اليمان بن بشير ابنة لها من بشير فأعطتها

(١) سورة النور ٦٢ .

(٢) الكذبة : الصخرة الشديدة .

حَفْنة من تمر في ثوبها ثم قالت : أئني بنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما .

قالت : فأخذتها فانطلقت فررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتبس أبي وخالي ، فقال : تعالى يا بنية ما هذا معك ؟ قالت : قلت : يا رسول الله هذا تمر بمقتني به أمي إلى بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه . قال : هاتيه قالت : فصبيته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق : أن هلم إلى الغذاء . فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق وإنه كيسقط من أطراف الثوب !

وقال جابر بن عبد الله : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق وكنا نعمل فيه نهارة فإذا أمسينا رجعنا إلى أهلينا ، فكانت معي شوية غير جيدة سمينة ، فقلت : والله لو صنعتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فأمرت امرأتني فطعمت لها شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق قلت : يا رسول الله إني صنعت لك شوية كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي . وإنما أريد أن ينصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .

فلما قلت له ذلك قال : نعم . ثم أمر صاخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه فجلس وأخرجناها

« م ١١ - الاكتفاء ج ٢ »

إليه فَبَرَكَ وَسَمَّى اللهُ ثُمَّ أَكَلَ وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ ، كَلَّمَا فَرَّغَ قَوْمٌ قَامُوا وَجَاءَ نَاسٌ ،
حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَلْدِقِ عَنْهَا .

وَحَدَّثَ سَلْمَانَ الْفَارَسِيُّ قَالَ : ضَرَبْتُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْخَلْدِقِ فَمَلَأْتُ عَلَى
وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبَ مَفَى ، فَلَمَّا رَأَى أَنِّي أَضْرِبُ وَرَأَى شِدَّةَ
لِلْمَكَانِ عَلَى نَزْلِ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ مِنْ يَدِي فَضَرَبَهُ بِهِ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ الْمِعْوَلِ
بَرْقَةً ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً أُخْرَى فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةً أُخْرَى ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الثَّالِثَةَ
فَلَمَعَتْ بَرْقَةً أُخْرَى ، قُلْتُ : يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ
لِمَعِ تَحْتَ الْمِعْوَلِ وَأَنْتَ تَضْرِبُ ؟ قَالَ : أَوْقَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ
قَالَ : أَمَّا الْأُولَى فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَى بَيْتِهَا الْبَيْتَ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَى بَيْتِهَا
لِلشَّامِ وَالْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ بِهَا ^(١) عَلَى الْمَشْرِقِ . فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ
يَقُولُ حِينَ فَتَحَتْ الْأَمْصَارُ فِي زَمَانِ هَرَمُوزِ مَازَانَ وَمَا بَعْدَهُ : افْتَتَحُوا مَا بَدَأَ
لَكُمْ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا افْتَتَحْتُمْ مِنْ مَدِينَةٍ وَلَا تَفْتَتَحُونَهَا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحَهَا قَبْلَ ذَلِكَ .

* * *

وَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَلْدِقِ أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ
بِمَجْمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةٍ بَيْنَ الْجُرُفِ وَرُغَابَةِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيْشِهِمْ
وَمِنْ تَبِعِهِمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةٍ ، وَأَقْبَلَتْ غَطَّافَانِ وَمِنْ تَبِعِهِمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ
حَتَّى نَزَلُوا بِذَنْبِ نَقَمَى إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ .

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَسْلُومُونَ حَتَّى جَمَعُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى
سَلْعٍ ، فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَضَرَبَ هَذَلِكَ عُسْكَرَهُ وَالْخَلْدِقُ بِيَدِهِ وَبَيْنَ

(١) ابن هشام : على بها .

القوم ، وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الأطام .

[نقض بني قريظة العهد]

وخرج عدو الله حُيَِّ بن أخطب حتى أتى كعب بن أمد صاحب عقْد بني قَرْيَظَة ، وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده على ذلك وعاهده ، فلما سمع كعبٌ بحُيَِّ بن أخطب أغلق دونه باباً حصنه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَِّ : ويحك يا كعب افتح لي . فقال : ويحك يا حُيَِّ إني امرؤ مشؤوم ، وإني قد عاهدتُ محمداً فإني لست بناقضٍ ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصِدْقاً ، قال : ويحك افتح لي أكلمك . قال : ما أنا بفاعل . قال والله : إن أغلقتَ دوني إلا على جَشِيشَتِكَ^(١) أن آكل مما لك منها . فأحفظَ الرجلَ ففتح له فقال : ويحك يا كعب اجثثك بعزِّ الدهر ويبيع طامِرُ اجثثك بقريش على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ من رُومَةٍ ، وبمِطْطَافِانٍ على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنبِ نَقَمَى إلى جنب أحد ، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه .

فقال له كعب : جثثني والله بذل الدهر ، وبجَهَامٍ^(٢) قد هراق ماءه فهو يرعد ويُهْرَقُ وليس^(٣) فيه شيء ، ويحك يا حُيَِّ فدعني وما أنا عليه فأني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً .

فلم يزل حُيَِّ بكعب يفتله في الذرّوة والغارب حتى سمح له ، على أن أعطاه

(١) الجشيشة : ما جث من بر ونحوه .

(٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه . أو قد هراق ماءه .

(٣) ابن هشام : ليس فيه شيء .

عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريشٌ وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل
معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك .

فنفذ كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن
عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير
فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ؟ فإن كان حقاً
فاحلوا إلى حلفاء أعرفه ولا تفتوا في أعضاء الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا
وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد
فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة فقال له سعد بن عبادة :
دع عنك مشاتمهم فإيبتنا [وبينهم]^(١) أولى من المشاتمة .

ثم أقبلوا ومن معهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسلموا عليه ، ثم
قالوا : عضل والقارة . أي كندر عضل والقارة بأصحاب الجميع خبيب وأصحابه .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين .

[اشتداد البلاء]

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل

(١) من ابن هشام والطبري .

منهم ، حتى ظن المؤمنون كلَّ ظن ونجَّم الفناء من بعض المفاقيين ، وحتى قال قائل منهم : كان محمد يَمِدُّنا أن نأكل كدوزَ كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط !

وأقام عليه المشركون قريياً من شهر لم يكن بينهم حرب إلا للرَّمْياء^(١) .
بالقيل والحصار .

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عُيَيْنَةَ ابن حصن وإلى الحارث بن عوف ، وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجما بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجري بينه وبينهما المرافضة في الصلح^(٢) حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سمدة بن معاذ وسمدة بن عباد ، فدكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله أمرأ تحبه فقصده ؟ أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ؟ أم شيئاً تصدعه لنا ؟ قال : بل شيء أصدعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكألبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما^(٣) .

فقال سمدة بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم

(١) كذا بالأصل ، و ابن هشام . الرما . و الطبرى . الرى . والرما بكسر الراء والميم مشددتين وتخفيف الياء المفتوحة : الرامة .

(٢) ابن هشام والطبرى : فجري بينه وبينهما الصلح . وما هنا أدق .

(٣) الطبرى : لأمر ما ساعة .

أموالنا؟ مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله
ميدنا ويدينهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذلك . فتداول سعد الصحيفة
فمعا ما فيها من السكتب^(١) ثم قال : ليجتهدوا علينا .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوم مُحاصروهم ، ولم
يسكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود وعكرمة
ابن أبي جهل وهُبَيْرَة بن أبي وهب وضِرَار بن الخطاب تلبَّسوا^(٢) لاقتال ثم
خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهياؤا يا بني كنانة
للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم . ثم أقبلوا تُعَمَّق^(٣) بهم خيلهم حتى وقفوا
على الخندق فلما رأوه قالوا : والله إن هذه كسيدة ما كانت للحرب تسكيدها
ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في
السَّبْخَة بين الخندق وسَلَم ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى
أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم ، وأقبلت الفرسان تُعَمَّقُ نَحْوهم ،
وكان عمر بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد
فلما كان يوم الخندق خرج مُعَلِّمًا يُرَوِّى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال : من
يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو إنك كمت عاهدت الله لا
يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خَلَّتَيْنِ إلا أخذتها^(٤) منه فقال له : أجل .
فقال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي

(١) ابن مقام : من السكتاب .

(٢) الطبري : قد تلبسوا .

(٣) تعقق : تسرع .

(٤) الطبري : إلا أخذت منه إحداها .

بذلك . قال : فإني أدموك إلى النزال . قال له : ولم يا بن أخي ! فوالله ما أحب أن أقتلك . قال علي : لكفى والله أحب أن أقتلك ! فبحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعمقه وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي فتنازلا ونجاؤلا ، فقتله علي .

وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخلدق هاربة .

وذكر ابن إسحاق في غير رواية البسكائي أن عمراً لما نادى بطلب من يبارزه قام على رضى الله عنه وهو مقنع في الحديد فقال : أنا له يا بنى الله . فقال له : اجلس إنه عمرو ! ثم ذكر عمرو النداء وجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ! أفلا تبرزون إلى رجلا ؟ ! فقام على فقال : أنا له يا رسول الله . قال اجلس إنه عمرو . ثم نادى الثالثة وقال :

ولقد بُحِثت من الدُّدا ١ بمحمتكم هل من مُبارِزٍ
ووقفتُ إذ جَبنُ المشجع وقفة الرجل للداجرِ
وكذاك أنسى لم أزل متسرّعا نحو المراهزِ (١)
إن الشجاعة في الفنى والجود من خير الغرائزِ

فقام على رضى الله عنه فقال : أنا له يا رسول الله . فقال : إنه عمرو ! فقال : وإن كان عمراً . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشى إليه علي وهو يقول : -

لا تمجلن فقد أنا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائر

(١) المراهز : الدوامى والشدائد .

إني لأرجو أن أقيم عليك نائمة الجفائر
من ضربة تجلاء يبيد في ذكرها عهد المزاوير

فقال عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا
علي بن أبي طالب . فقال غيرك يا بن أخي من أعمامك من هو أسن منك ،
فإني أكره أن أهريق دمك . فقال علي : لكني والله ما أكره أن أهريق
دمك . فنضب ونزل فسل سيفه كأنه شعله نار ، ثم أقبل نحو علي مضربا .
ويقال إنه كان علي فرسه فقال له علي : كيف أقاتلك وأنت علي فرسك ؟
ولكن انزل معي . فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله علي بذرقة فضربه
عمرو فيها ففقدتها وأثبت فيها لل سيف وأصاب رأسه فشجته ، وضربه علي على
خبل العائق فسقط وثار العجاج ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير
فعرف أن عليا قد قتله ، فثم يقول علي رضي الله عنه :

أعلى تقحم الفوارس مكدا عني وعدته أخبروا أصحابي
فاليوم يمدني الفرار حفيظتي ومهضم في الرأس ليس بدائي
أدى عمير حين أخلص صقله صافي الحديد يستفيض نوابي^(١)
فعدوت ألتس القراع برهف عضب مع الثراء في إقراب^(٢)

(١) قال السهيلي : قوله : أدى عمير إلى قوله : نوابي : أي أدى إلى نوابي وأحسن جزائي
حين أخلص صقله :

قلت : الصواب إن شاء الله في تفسيره : أن يكون نوابي مفعولا بـ يستفيض : أي أدى
الأمانة حين أخلص صقله . ومفعول أدى عذوف وهو الأمانة . فقوله بـ يستفيض : أي يطلب
فيض نوابي أي جزائي ومكافأتي . وهذا هو الحق . والله أعلم . « هامش ط »

(٢) القراع : القتال ، والعضب : القطع . والثراء : يقال ثوس ماطر : تقطع الوتر
اصلايتها . وفي الروس البثراء عثرة . والاقراب : إدخال السيف في القراب . وهو الفهد

قال ابن عَبدِ حَيٍّ شَدَّ أَلِيَّةَ^(١) وحلفتُ فاستمعوأمن الكذابِ
 أن لا يفرَّ ولا يُهْلَل^(٢) فالتقى أسدان يضطربان^(٣) كلَّ ضرابِ
 نَصَرَ الحِجَارَةَ مَنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ونصرتُ دينَ محمدٍ^(٤) بصوابٍ^(٥)
 فصَدَدَتْ حينَ نَزَكَتِهِ متجدِّلا كالْجَذْعِ بينَ دَكَدِكَ وروابي^(٦)
 وعَقَّقَتْ عن أنوابِهِ ولو أننى كُنْتُ المجدَّلَ بَزْنِي^(٧) أثوابي
 لا تَحْسِبَنَّ اللهُ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ يا معشرَ الأحزابِ

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبني قريظة
 « حم لا يُفْصَرُونَ » .

[إصابة سعد بن معاذ]

وكانت عائشة رضى الله عنها يوم الخندق فى حصن بنى حارثة ، وكان من
 أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن ، قالت عائشة :
 وذلك قبل أن يُضْرَبَ علينا الحِجَابُ ، فرَّ سعد وعليه دِرْعٌ لَهُ مُقْلَصَةٌ^(٨) وقد

(١) الألية : الخلف .

(٢) التهايل : التكموس والجلين ، يقال : حمل فاهل .

قال كعب بن زهير : * وما لهم عن حياض الموت تهليل *

(٣) هامش ط : الأصل : يلتقيان .

(٤) هامش ط . الأصل : رب محمد .

(٥) ذكر ابن هشام هذه الأبيات الأربعة الأخيرة وقال : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك
 فيها لعل بن بن أبي طالب . ٢٢٦/٢ .

(٦) المتجدل : الصريم . والدكادك : جم دكدك وهو الرمل الابن . والروابي جم رابية
 وهى المرتفع من الأرض .

(٧) بزنى : : سلبى .

(٨) مقْلَصَةٌ : منكشحة غير سائبة .

خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة يَرَقْدُ بها في نشاط ، وهو يقول :

لَبِثَ قَلِيلًا بِشَهِدِ الْمَيْتِجَا حَمَلٌ^(١) لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فَقَالَتْ أُمُّهُ : الْحَقُّ أَيُّ بَنِي فَقْدٍ وَاللَّهُ أَخْرَت . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ لَهَا :
يَا أُمَّ سَعْدٍ وَاللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنْ دَرَعَ سَعْدٌ كَانَتْ أُسْبِغُ مِمَّا هِيَ . قَالَتْ : وَخِغْتُ عَلَيْهِ
حَيْثُ أَصَابَ السَّهْمُ مَدَّهُ ، فَرَمِي سَعْدٌ بِسَهْمٍ قَطَعَ مَدَّهُ الْأَكْحَلُ ، رَمَاهُ حَبِيبُ
بْنُ قَيْسٍ بِنَ الْعَرِيقَةِ أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، فَلَمَّا أَصَابَهُ قَالَ : خَذْهَا وَأَنَا ابْنُ
الْعَرِيقَةِ . فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : عَرَّقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتَ مِنْ
حَرْبٍ قَرِيشًا شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَجَاهِدَ^(٢) مِنْ قَوْمٍ آذَوْا
رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتُ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
فاجعلها لي شهادة ولا تُنْخِثْنِي حَتَّى تَقْرَعَ عَيْنِي مِنْ بَنِي قَرِيبَةَ .

وكان عبد الله بن كعب بن مالك يقول : ما أصاب سعداً يومئذٍ إلا أبو
أسامة الجشمي حليف بني مخزوم ، وقال في ذلك شعراً يخاطب عكرمة بن
أبي جهل :

أَعِ كَرَمٌ هَلَا لَمْتُنِي إِذْ يَقُولُ لِي^(٣) فذاك بأطام المدينة خالد
أَلَسْتُ الَّذِي أَلَزَمْتُ سَعْدًا مَرِشَةً^(٤) لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمُرَافِقِ عَائِدٌ^(٥)

(١) بالأصل : جل كافي ابن هشام . ون الطبري : جل . وجل : هو جل بن سعدانة
ابن حارثة الكلبي ، وهو الذي تمثل بهذا البيت كما قال السهيلي والروض . وقد نسب له الزبيدي
في تاج العروس ٢٩٠/٧ وهو في اللسان ١٩٣/١٣ .

(٢) ابن هشام والطبري : أن أجاهدكم .

(٣) ابن هشام : إذ تقول .

(٤) مرشة : أي رمية أصابته فمزلت دمه .

(٥) ابن هشام : عائد .

قضى نخبه منها سعيداً فأعولت عليه مع الشُّمط العذارى للنواهد

في أبيات ذكرها ابن إسحق .

ويقال : إن الذي رمى سعداً خفافه^(١) بن حبان . فأنه أعلم أئ
ذلك كان .

[شجاعة صفية بنت عبد المطلب]

وكانت صفية بنت عبد المطلب في فارغ ، أطم^(٢) حسان بن ثابت ، قالت :
وحسان معنا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفية : فرّ بنا رجل من يهود
فجعل يُطيف بالحصن وقد حاربت بدو قرظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمون في مخور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا
أت ، قالت : قلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يُطيف بالحصن وإني والله
ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه فانزل إليه فاقته . قال : يخفر الله لك يا ابنة عبد المطلب !
والله لقد علمت ما أنا بصاحب هذا . فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجرت^(٣)
ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربت به بالعمود حتى قتلت ، فلما
فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت لحسان : انزل فاسلبه فإنني لم يمتني من
سلبه إلا أنه رجل . قال : مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف

(١) ابن هشام : خفافه بن عامر بن حبان .

(٢) الأطم : الحصن . وفي ابن هشام والطبري . في حصن حسان .

(٣) احتجرت : شدت على وسطها حجزاً .

والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإيمانهم بإيادهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

[حيلة نعيم بن مسعود]

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فترني بما شئت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت رجل واحد فخذل عما
إن استطعت ، فإن الحرب خدعة .

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال : يا بني
قريظة ، قد عرفتم ودّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت فاست
عقدنا بمتهم . فقال لهم : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم به
أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن
قريشا وغطفان قد جاءوا الحرب وعمدوا أصحابه وقد ظاهروا نعيم عليه ، وبلدكم وأموالهم
ونساؤهم وبنيهم فليسوا كأنتم^(١) فإن رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك
لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، فلا طاقة لكم به إن خلا
بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم يكونون بأيديكم
ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم عمداً حتى تنأجزوه .

قالوا : لقد أشرت بالرأي .

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان ومن معه من رجالهم : قد عرفتم
ودّي لكم وفراق عمداً ، وإنه قد بلغني أمر رابيت عليّ حقا أن أبلغكموه

(١) الطبري : ليسوا كهيتكم .

نصحا لكم فاكتبوا عني . قالوا : نفعل . قال : تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيا بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش و غطفان رجلا من أشrafهم فدمعناهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان إنكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ، ولا أراكم تهموننى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بتهم قال : فاكتبوا عني . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فدا كانت ليلة السبت^(١) وكان ذلك من صُنع الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان بن حرب ورواس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش و غطفان فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخلف والخافر فأغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان أحدث فيه بمضنا حدثا فأصابه ما لم يتخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإننا نخشى إن ضررستكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا^(٢) ولا طاقة لنا بذلك .

(١) زاد ابن هشام والطبرى : من شوال سنة خمس .

(٢) ابن هشام والطبرى : فى بلادنا .

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وعطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا .

فقاتل بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وختأوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا إلى قريش وعطفان : إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً . فأبوا عليهم .

وخذل الله بينهم ، وبعث عليهم الريح في آيال شامية شديدة البرد ، فجعلت تسكفاً قدورهم وتطرح آيتهم^(١) .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فيمته ليلاً لينظر ما فعل القوم فحدث حذيفة رحمه الله ، وقد قال له رجل من أهل الكوفة : يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته يوم ؟ قال نعم يا بن أخي . قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد . قال الرجل : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولجئناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يا بن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى هَوِيّاً^(٢) من الليل ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - بشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة - أسأل الله أن يكون رفيق في الجنة ؟ فما

(١) ابن هشام والطبري : أبييتهم .

(٢) الهوى : الساعة من الليل .

قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحدٌ دعاني فلم يسكن لي بُد من القيام حين دعاني فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تُحدِث شيئاً حتى تأتينا .

فذهبتُ فدخلت في القوم والريحُ وجود اللهُ تفعل بهم ما تفعل لا تُقر لهم قَدْرًا ولا نارا ولا بداءاً ، فقام أبو سفيان فقال : يامعشر قریش لينظر امرؤ من جلسائه . قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان .

وذكر ابن عُقبة أنه فعل ذلك بمن بلى جانبيه يمينا ويسارا ، قال : وبدرهم بالسأله خشية أن يعطوا له .

قال حذيفة : ثم قال أبو سفيان : يامعشر قریش إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، لقد هلك السكراع والخُف وأخلفتنا بدو قريظة وبلغنا عنهم الذي نسكره ، واقمينا من شدة الريح ما ترون ما تُطمِئِن^(١) إذا قَدَّر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك إذا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل . ثم قام إلى جله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقله إلا وهو قائم . ولولا عَمْد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى « أن لا تُحدِث شيئاً حتى تأتيني » ثم شئت لقتلته بسهم . فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه فلما رآني أدخلني إلى^(٢) رجليه وطرح على طرف المرط ثم ركم وسجد وإني أقيه ، فلما سلم أخبرته الخبر .

وسمعت غطفان بما فعلت قریش فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

(١) ابن هشام : ما تطمِئِن لنا قدر

(٢) الطبري : بين رجليه .

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون معه وقد عضَّهم الحصار ، فرجعوا مجهودين فوضعوا السلاح .

[غزوة بني قريظة]

فلما كانت الظهر أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج .^(١)

ويقولون فيما ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المتنسل عهد ما جاءه جبريل وهو يرَّجل رأسه قد رجَّل إحدى شِقَيه . فجاءه جبريل على فرس عليه ألَّامة^(٢) حتى وقف بباب المسجد عهد موضع الجنائز وإن على وجه جبريل لأثر الغبار ، نفرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل : غفر الله لك ! أقدم وضعتم السلاح ؟ قال : نعم . قال جبريل : ما وضعت للملائكة السلاح بعدُ وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة فإني عامدٌ إليهم فززل بهم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذن في اللباس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصليَ العصر إلا في بني قريظة .

وقدَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب برابة إلى بني قريظة وابتدروا الناس ، فسار على رضى الله عنه حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالةً فيبيحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال : يا رسول الله لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث . قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم . قال : لوراؤنى لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم

(١) الرحالة : السرج .

(٢) اللأمة : ما يابسه المحارب من الدروع .

قال : يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ما كدت جهولا .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه في طريقه قبل أن يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله مرَّ بنا دحية ابن خليفة السكبي على بئلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبريل بُعث إلى بني قريظة ينزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم .

وتلاحق الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنى رجالٌ من بعد العشاء الآخرة لم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يصلّين أحد العصر إلا ببني قريظة » فصلوا العصر بها من بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عذّبهم به رسوله .

وذكر ابن عثمة أن الناس لمّا حانت العصر وهم في الطريق ذكروا الصلاة فقال بعضهم : ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة . وقال آخرون : هي الصلاة . فصلى منهم طائفة وأخرت الصلاة طائفة حتى صلّوها في بني قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا الرسول الله صلى الله عليه وسلم من عجلّ بالصلاة ومن أخرها ، فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعثف واحدة من الطائفتين .

[الحصار]

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسا وعشرين ليلة حتى جهدم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب .

(١٢م الاكتفاء - ج ٢)

وكان حيي بن أخطب دخل على بنى قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغلطفان وفاء لكتب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يداجزهم قال لهم كتب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلا لا ثلاثا نخذوا أيها شئتم . فقالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدق فوائده نقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه للذي تجدونه^(١) في كتابكم ، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم على هذه فهل فلتقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصالحين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه وإن نظهر فلم نرى لتجدن النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإذا أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة للسبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمدوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غيرة . قال : نعمد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد حدث فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ؟ قال : ما بات رجل منكم منذ ولدت أمه حازماً ليلة واحدة من الدهر ! ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعت إلينا أبا لُبابة ابن عبد المنذر ، أخا بنى عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، نستشيرهم في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فرق لهم وقالوا له : يا أبا لُبابة أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده إلى خلقه : إنه الذي .

(١) المطبوع : كنتم تجدونه

قال أبو كُبَّابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خُذْتُ الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده . وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليَّ مما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ^(١) بنى قريظة أبدا ولا أرى في بلد خذت الله ورسوله فيه أبدا .

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال : أمّا إنه لو كان جاءني لاستغفرت له ، فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه . فنزلت توبته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر وهو يضحك قلت : مم تضحك أضحك الله منك ؟ قال : تيب على أبي لبابة . قالت قلت : أفلا أبشره يا رسول الله . قال : بلى إن شئت . قال فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت : يا أبا كُبَّابة أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار اللداس إليه ليُطْلَقوه فقال : لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده . فلما مرَّ عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه .

وذكر ابن هشام أن أبا لبابة أقام مرتبطا بالجدع ست ليال تأنيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجدع .
والآية التي نزلت في توبته : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا

(١) الطمرى : ألا يطأ .

«وآخر سيناء عسى الله أن يقرب عليهم إن الله غفور رحيم»^(١) « وأنزل الله في أبي
لبابة ، فيما روى عن عبد الله بن قتادة :
« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم
تعلمون »^(٢) .

ثم إن ثعلبة بن سفيان وأسيد بن سفيان وأسيد بن عمير وهم نفر من [بنى] ^(٣)
هذيل ليسوا من بنى قريظة ولا بنى النضير ، نسبهم فوق ذلك هم بدو عم القوم ،
أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بدو قريظة على حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأحرزوا دماءهم وأموالهم ، وكان إسلامهم فيما زعموا عما كان
ألقاه إليهم من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن الهيثبان القادم عليهم قبل
الإسلام متوكفاً لخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم محققاً لنبوته ، فدفع
الله هؤلاء الثلاثة بذلك واستقدم به من الفار .

وقد تقدم ذكر خبره فيما مضى من هذا الكتاب ^(٤) .

وخرج في تلك الليلة عمر بن سعدى القرظي ، فرّ بحرس رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن
سعدى . وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة في غدرهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال : لا أعدد بمحمد أبداً . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه :
اللهم لا تحرمنى إقالة عذرات الكرام ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى
بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلم يدر

(١) سورة التوبة ١٠٢ .

(٢) سورة الأنفال ٢٧ .

(٣) من ابن هشام والطبري .

(٤) سبق ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب ٢٣٤ .

أبن توجه من الأرض إلى يوم هذا . فذكر شأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك رجلٌ نجاه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برُمة فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رُمته ملقاة ولا يدري أين ذهب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة . فالله أعلم أى ذلك كان .

[حكم سعد بن معاذ]

ولما نزل بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم توافيت الأوسُ فقالوا: يا رسول الله إنهم مَوَالِينَا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالينا بالأمس ما قد علمت - يريدون بنى قَيْدَقاع - وما كان من حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ونزولهم على حكمه ، وكيف سأله إياهم عبدُ الله بن أبي بن سَكُول فوجههم له . فلما كاثرت الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذاك إلى سعد بن معاذ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أَسْلَمَ يقال لها رُفَيْدَة في مسجده كانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم في الخندق : اجعلوه في خيمة رُفَيْدَة حتى أعود من قريب . فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى قريظة أتاه قومه لِحْمَلَوْه على حمار قد وطأوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلا جسيما ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : يا أبا عمر أرحسن في مَوَالِيكَ

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولّاك ذلك لتُحسن فيهم . فلما أكثروا
قال : لقد آن لسعدٍ أن لا تأخذه في الله لومة لائم !

فرجع بعضُ من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم
رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلى سيدكم » فأما المهاجرون من قريش
فيقولون : إنما أراد الأنصار . وأما الأنصار فيقولون : قد عمّ بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسلمين . فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد ولّاك أمرَ مَوَالِيكَ لتُحكم فيهم . فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك
عهدُ الله وميثاقه : أن الحكمَ فيهم لما حكمتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من
ها هنا - في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو مُتَرَضٌّ عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم
نعم . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال وتُقسَم الأموال وتُنسب
الذراري والنساء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد حكمت فيهم بحكم
الله من فوق سبعة أرقعة^(١) .

ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة في دار امرأة
من بني النجار ، ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فخنّذق بها
خنّاذق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنّاذق ، يُخرج بهم إليها
أرسالا . وفيهم عدوّ الله حُبَيِّ بن أخطب وكعب بن أسد رأس اللقوم ، وهم

(١) الأرقعة : السموات . واحدا رقيق .

سِتَمائة أو سبعمائة ، والمكثّر بقول : كانوا بين الثمان المائة والتسع المائة^(١) . وقالوا : لكمب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كمب ما تراه يصنع بدا ؟ قال : أفى كل موطن لا تنقلون ! ألا ترون أن الهامى لا يَنزِع وأن الذهاب^(٢) لا يرجع ؟ ! هو والله القتل .

فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بعدوّ الله حُيَيّ بن أخطب وعليه حلة فَمَاحِيَةٍ^(٣) قد شقها عليه من كل ناحية . قَدَّرَ أَمَلَهُ لثَلَا يُسَلِّبُهَا ، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمّا والله ما لمت نفسي في عداوتك ولسكن من يُخذل الله يُخذل ! ثم أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقَدَّرَ وَمَدَحَمَة كُتِبَتْ على بنى إسرائيل ! ثم جلس فصُربَتْ عنقه . فقال في ذلك جبل بن جُوّال التَّمْلِي :

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَسَكَدَ مِنْ يُخْذَلِ اللهُ يُخْذَلِ
لِجَاهِدٍ حَتَّى أَبْلَغَ الدَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَلَقَلْ بَيْنِي لِلْعِزِّ كُلِّ مُقَلَقَلٍ^(٤)

بل ابتغى عدوّ الله ذلّ الأبد فوجده ، وجاهد الله لجهده فأصبح براهه للقتال^(٥) وسعيه الخاسر من الذين لهم خزي في الدنيا ولم في الآخرة عذابُ الدار .

وقُتِلَ من نساء بنى قريظة امرأة واحدة لم يقتل من نساءهم غيرها ، قالت

(١) ابن هشام : بين الثمان مائة والتسع مائة .

(٢) ابن هشام : وأنه من ذهب به منكم لا يرجع .

(٣) الفجاح : الزهر إذا شقت أكتفه . والمراد أنها كانت تضرب إلى الحرة .

قال ابن هشام : فمأحية : ضرب من الوشى .

(٤) قلقل : سعى وتحرك .

(٥) المائل : المخطى .

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : والله إنها لعندي تحدث معي وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها : ابن فلانة قالت : أنا والله قلت لها : وبلك مالك ؟ قالت : أفتل . قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أخذته . فانطلق بها فضربت عنقها . فكانت عائشة تقول : والله لا أنسى مهباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد علمت أنها تقتل .

قال ابن هشام : هي التي طرحت الرّحاً على خلاد بن سُوَيد فقتلته .

[قصة الزبير بن باطا]

وكان الزبير بن باطا القرظي قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية ، أخذه يوم بُعث فجرّ ناصيته ثم خلى سبيله . فجاءه ثابت لما قُتل بنو قريظة وهو شيخ كبير فقال : يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني ؟ قال : وهل يجهل مثل مثلك قال : فإني أردت أن أجزيك بيدك عندي . قال : إن الكريم يجرى الكريم . ثم أتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه كان للزبير عليّ مِنة وقد أحببت أن أجزيه بها فمبّ لي دمه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لك . فأناه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي ذمّك فهو لك قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله امرأته وولده . قال : هم لك . فأناه فقال : قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك فهم لك . قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ماله . قال : هو لك . فأناه ثابت فقال : قد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله

فهو لك ، فقال : أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل . قال فما فعل سيد الحاضر والبادى حُيَّ بن أخطب ؟ قال : قُتل . قال فما فعل مُقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا عزال بن شموال^(١) . قال قُتل . قال : فما فعل المجلسان ، يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ؟ قال : ذهبوا فقتلوا . قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقننى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر لله فتيلا^(٢) داور ناضح حتى ألقى الأحبة . فقدّمه ثابت فضرب عنقه .
فلما بلغ أبا بكر الصديق رضى الله عنه قوله : « ألقى الأحبة » قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً !

* * *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم . قال عطية القرظى : وكنت علامة فوجدونى لم أنبت فخلّوا سبيلى^(٣) .

وكان رفاعة بن شموال القرظى رجلاً قد بلغ فلاذ بسلى بنت قيس أم المذزر ، أخت سابط بن قيس ، وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلّت القبلتين معه وبايعته بيعة النساء فقالت : يا نبي الله بأبى أنت وأمى

(١) ابن هشام : عزال بن شموال . بالسين .

(٢) كذا بالأصل ، وهو الصواب موافقاً لما ذكره ابن كثير فى سيرته ٣ / ٢٤١ حيث قال : قال ابن إسحاق : « فتيلا بالناء والياء المثناة من أسفل . وقال ابن هشام بالقاب والياء الموحدة » خلافاً لما أنبته تحقيق السيرة والسهيل فى الروض الأتف : فتيلا بالناء . بتأويل بعيد . والناضح البعير الذى يستقى عليه الماء . وقال أبو عبيدة : معناه : إفراغة دلو .

(٣) قال ابن كثير فى السيرة ٣ / ٢٤١ : ورواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك

ابن عمير ، عن عطية القرظى ، نحوه .

هَبَّ لِي رِفَاعَةً ، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ سَيَصِلُ وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْجَلَلِ . فَوَهَبَ لَهَا فَاسْتَحْيَتْهُ .

[قِسْمَةُ الْغَنَائِمِ]

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمَ أَمْوَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْلَمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُهْمَانُ الْخَلِيلُ وَسُهْمَانُ الرَّجَالِ وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْخُمْسَ ، فَكَانَ لِلْفَارِسِ ثَلَاثَةُ أَصْهُمٍ ، لِلْفَرَسِ سُهْمَانٌ وَلِلْفَارِسَةِ سَهْمٌ ، وَلِلرَّجُلِ وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَرَسٌ سَهْمٌ . فَكَانَتْ الْخَلِيلُ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ فَرَسًا ، وَكَانَ أَوَّلُ فَرَسٍ وَقَعَتْ فِيهِ لِلْسُهْمَانِ وَأَخْرَجَ مِنْهُ ^(١) الْخُمْسَ ، فَعَلَى سَهْمَانِ وَمَا مَضَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا وَقَعَتْ الْقَاسِمُ وَمَضَتْ الشُّدَّةُ فِي الْمَغَازِي .

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ الْأَشْهَلِيَّ بِسَبَايَا مِنْ سَبَايَا بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَى نَجْدٍ فَاِتْبَاعَ لَهُ بِهِمْ خَيْلًا وَسِلَاحًا .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اصْطَفَى لِنَفْسِهِ مِنْ نِسَائِهِمْ رِبْحَانَةَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ خُثَيْفَةَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى تَوَفَّى عَنْهَا وَهِيَ فِي مَلَكَهَ ، وَكَانَ عَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا وَيَضْرِبَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ تَتْرَكْنِي فِي مَلَكَكَ فَهُوَ أَخْفَى عَلَيَّ وَعَلَيْكَ فَتَرَكَهَا . وَكَانَتْ حِينَ سَبَايَا قَدْ تَمَصَّصَتْ بِالْإِسْلَامِ وَأَبَتْ إِلَّا لِلْيَهُودِيَّةِ ، فَمَزَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ لِدَلَالَتِهَا مِنْ أَمْرِهَا ، فَبَيْنَمَا هُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ سَمِعَ وَقَعَ نَعْلَيْنِ خَلْفَهُ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا لَمُعَلِّبَةُ بْنُ سَعْفَةَ يَبْشُرُنِي بِإِسْلَامِ رِبْحَانَةَ . فَجَاءَهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَسْلَمَتْ رِبْحَانَةُ . فَسَرَّهَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهَا .

(٤) ابْنُ مَشَامٍ : وَأَخْرَجَ مِنْهَا .

[ما نزل في غزوة الخندق]

وانزل الله عز وجل في أمر الخندق وبنى قريظة القصص في سورة الأحزاب
بذكر فيها ما نزل بهم من البلاء ، وبذكر نعمته عليهم وكفايته إياهم حين فرج
عنهم ذلك .

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جدود فأرسلنا عليهم
ريحا وجدودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ، إذ جاءوكم من فوقكم
ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله
الظنوننا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، وإذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » في آيات استوفى فيها
تعالى ذكر ما شاء من قصتهم .

ثم قال سبحانه : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم يبالوا خيرا وكفى الله
للمؤمنين العقاب وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من
صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم
أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديرا » .

[وفاة سعد بن معاذ]

فلما انقضى شأن بني قريظة انتحى بسعد بن معاذ جرحه فمات شهيدا
برحمه الله .

فذكروا أن جبريل أتى رسول الله صلى عليه وسلم حين قبض سعد من
جوف الليل معتبرا بهامة من استبرق فقال : يا محمد من هذا الميت الذي فتحت

له أبواب السماء واهتز له العرش^(١) !؟ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا
يجرّ ثوبه إلى سعد بن معاذ فوجده قد مات .

وقد كان سعد رجلا بادنا فلما حملته الناس وجدوا له خِقة فقال رجل من
المنافقين : والله إن كان لبادنا، وما حملنا من جنازة أحف منه . فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن له حملة غيركم ، والذي نفس محمد بيده لقد
استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش » .

وقالت عائشة رضي الله عنها لأُسَيد بن حُضَير ، وهو قافل معها من مكة وبلغه
موت امرأة له فحزن عليها بعض الحزن : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتمزن على
امرأة وقد أصبت بآبن عمك وقد اهتز له العرش ؟ تعنى سمدا .

وقال جابر بن عبد الله : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبّح الناس معه وأكبر فكبر الناس معه
فقالوا : يا رسول الله مم سبّحت ؟ قال : لقد تضابق على هذا الرجل الصالح قبره
حق فرجه الله عنه . ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن للقبر
لضمة لو كان أحد منه ناجيا لكان سعد بن معاذ .

ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرشُ الله من موتٍ هالكٍ سمعنا به إلا اسمعِ أبي عمرو
وقالت أم سعد حين احتمل نعشه وهي تبكيه :

(١) انظر الروايات التي ذكرها ابن كثير في سيرته ٣ / ٢٤٥ - ٢٤٨ لهذا الحديث ،
عن البيهقي في الدلائل وأحمد في مسنده ، والبخاري ومسلم في صحيحهما .
وفي بعضها : اهتز السرير بدلا من العرش .
وانظر ما قاله السهيلي في آراء العلماء في هذا الحديث . في الروس الأنف .

وبلى أم سعد ، سعداً صراماً وحداً
 وودداً ونجداً وفارساً معداً
 سداً به مسداً

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد
 ابن معاذ » .

* * *

وقال حسان بن ثابت يبكي سعداً :

لقد سيجت^(١) من فيص عيني عبدةً وحق لعيني أن تفيص على سعد
 قتيل ثوى في معرك فوجت به عيون ذوارى^(٢) الدمع دأمة الوجد
 على ملة الرحمن وارث جنة مع الشهداء وفدها أكرم الوفد
 فإن تك قد ودعنا وتركنا وأمسيت في غبراء مظلمة الأحد
 فأنت الذي يا سعد أثبت بمشهد كريم وأتواب المسكارم والحد
 بحكمك في حيي قريظة بالذي قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
 فوفق حكم الله حكمك فيهم ولم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد
 فإن كان ربك الدهر أمضاك في الألى

شروا هذه الدنيا بمهماتهم الخلد
 فدم مصير الصادقين إذا دعوا إلى الله يوماً للوجاهة والقصد
 وقال حسان يبكي سعداً ورجالاً من الشهداء من أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم :

ألا يا لقومي هل لما حتم دافع وهل ماضى من صالح العيش راجع

(١) سيجت : فاضت .

(٢) ذوارى الدمع : غزيرته .

تذكرتُ عصرًا قد مضى فتهافتتُ
بمات الحشّا وانهلّ متى اللدائعُ
صبايةٌ وَجَدَ ذَكَرْتَنِي إِخْوَةً وَقَتَلَى مَعْنَى فِيهَا طَفِيلٌ وَرَافِعٌ
وسعد فأضْحَوْا فِي الْجَنَاتِ وَأَوْحِشَتْ

منازلهم فالأرض منهم بالآقِشُ^(١)
وفوا يومَ بدرٍ للرسول وفوقهم
دعا فأجابوه بحقّ وكلامهم
فانكلموا حتى تولّوا^(٢) جماعة
لأنهم يَرْجُونَ منه شفاعَةً
فذلك يا خيرَ العباد ملاذُنَا
لنا التّقدّم الأولى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا
وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمَلَأَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَأَنْ قَضَاءَ اللَّهِ لَا يَدُ وَاقِعُ

[شهداء المسلمين في الخندق]

ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر كلهم من الأنصار :
سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك ، وعبد الله بن سَهْل الأَشْهَلِيون ،
والطّفل بن العُصَيْن ، وثعلبة بن غنمة الجُشَمِيّان . ومن بني دُبَار بن
الانحر كعب بن زيد ، أصابه سهمٌ غَرِبَ فقتله . رحمة الله عليهم .

واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين خَلَاد بن سويد من بني الحارث
ابن الخزرج ، طُرِحَتْ عَلَيْهِ رَحَى فَشَدَّخَتْهُ شَدْحًا شَدِيدًا ، فَرَضُوا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ لَهُ لِأَجْرِ شَهِيدِينَ » .

(١) البلاغ : المنفرة .

(٢) عند ابن كثير : حتى نوالوا .

ومات أبو سنان بن محصن أخو عكاشة بن محصن ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة .

* * *

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان تغزوك قريش بعد عامكم هذا ، ولكم تغزونهم » . فكان كذلك لم تغزم قريش بعد ذلك وهو صلى الله عليه وسلم بغزوم حتى فتح الله عليه مكة .
[ما قيل من الشعر في غزوة الخندق]

وقال حسان بن ثابت في يوم الخندق يحيب عبد الله بن الزبير شاعر قريش عن كلمة قالها في ذلك :

هل رَسَمَ دارِسة المقام بَبَابٍ	متكلم لمخاورٍ بجوابٍ
قَمَرٌ عَفَارِهُمُ للسَّحابِ رِسْوَمُهُ	وهبوب كلِّ مُظَلَّةٍ مِرْبَابٍ ^(١)
ولقد رأيت بها الحلولَ بَرِيقِهِمْ	بيضُ الوجوه ثواقِبُ الأحسابِ
فَدَيْعُ الدِّيارِ وذِكْرُ كلِّ خَرِيدَةٍ	بيضاء آنسة الحديث كعابِ
واشكُّ المموم إلى الإله وما نرى	من مَعْشَرٍ ظلموا الرسولَ غَضابِ
ساروا بجمهمهم إِيَّاهُ والْبُؤَا	أهلَ القرى وبوادي الأعرابِ
جيشٌ عُيَيْيَةٌ وابن حَرْبٍ فيهم	متخططين بحيلة الأحزابِ ^(٢)
حتى إذا وردوا المدينةً وارتجوا	قتلَ الرسولِ ومَنَّم الأَسلابِ
وغدوا علينا قاذرين بأبْذِهِمْ	رُدُّوا بنيظمهم على الأعقابِ

(١) الرَّم : جمع رَمَّة ، وهو المطر الضعيف الدائم . والمظلة : السَّعَابَة . وفي ابن هشام : مظلة . بالماء . والمرباب : الدائمة .
(٢) كذا بالأصل . وفي ابن هشام وابن كثير : متخططون بحيلة الأحزاب .
والمتخططون : من وضع الخطم ن أنفه . ولعل رواية السكلاعي هنا أسع وأوضح .

بهوب مَصْفَى تفرَّق جَمْعهم وجنود ربك سَيِّد الأربابِ
وكفى^(١) الإله المؤمنين قتالهم وأثابهم في الأجر خير ثوابِ
من بعد ما قَتَلُوا ففرَّق جمعهم تنزِيل نصر ما يَكُنَّا الوهابِ
وأقرَّ عين محمدٍ وصحابه وأدلَّ كلَّ مكذَّب مرتابِ
عائى القوادِ موقع ذى رِيَّة في الكفر ليس بظاهرِ الأثوابِ
علق الشقاء بقلبه فقواده في الكفر آخر هذه الأحقابِ

* * *

وقال كعب بن مالك في ذلك أيضاً يحيب ابن الزمري عن كلمته :
أبقى لنا حدث الحروب بقيّة من خير نَحْلَة ربنا الوهاب
بيضاء مُشرقة الدُرَى ومما طفا حُمُ الجذوع غزيرة الأحلاب^(٢)
كاللّوب يَبْدُل جَها وحفيلها للجبار وابن الهم والمقتاب^(٣)
وزائماً مثل السّراج عى سها حلفُ الشّعير وجَزّة المِقْضابِ^(٤)

(١) ابن هشام : فكى .

(٢) الماطن : قال السهلى : يعى منابت النخل عند الماء شبهها بـماطن الإبل وهى مباركها عند الماء . وقوله : حم الجذوع وصفها بالحمّة وهى السواد لأنها تضرب إلى السواد من الخضرة والنعمة . وشبه ما يجتنى منها بالحب فقال : غزيرة الأحلاب . الروس ٢٠٤/٢ .
(٣) اللوب : جمع لوبة وهى الحرة ، وهى أرض ذات حجارة سود . واللّوب أيضاً : النحل ، ويجوز أن يكون شبهها بالنحل في كثرتها ، وجها وحفيلها : أراد الكثير منها . وللتاب : الزائر الملم .

(٤) الزائى : الخيل التى تجلب إلى غير بلادها ، يريد أنهم استلبوها من الأعداء .
والمقضب : مزرعة . كما قال السهلى : وجزتها : ما يجز منها للخيل .
والسراج : كذا بالأصل بالميم . وى ابن هشام : مثل السراج بالماء . أى الذئب كما قال شراح الكتاب .

عَرَى الشَّوَى منها وأردف نَحَضَهَا جُرْدُ المتون وسار في الآراب^(١)
قُودًا تُراح إلى الصَّيَّاح إذا غَدَت فَمَلَّ العُصْرَاءُ تُراح في السُّكَّالِبِ^(٢)
وتَحُوط سَائِمَةُ الدَّمار وتارة تُرْدِي العِدَى وتؤوب بالأسلاب^(٣)
يَعْدُونَ بالزُّغف المضاعف شَكَّهُ ويُنْزِصَات في الثَّقَافِ صِيَابِ^(٤)
وصوارم نزع الصيقل عُلْبَهَا وبِكلِّ أَرْوَعٍ ماجد الأنساب^(٥)
يصل اليمين بمارنٍ متقارب وَكَلَّتْ وقيعته إلى خَبَابِ^(٦)
وكتيبة بَنَفَى القِرَانِ قَتِيرُهَا وَنَزَدَ حَدًّا قَوَاحِزَ اللُّشَابِ^(٧)
أَعَيْتَ أبا كَرِبٍ وأَعَيْتَ تَبَعًا وَأَبَتْ بِسَالَتِهَا على الأعرابِ^(٨)
ومواعظ من ربنا نُهْدَى بها بلسان أزهر طيب الأتواب
عُرِضَتْ عَايِنَا فاشتَهينا ذِكْرَهَا من بعد ما عُرِضَتْ على الأحزابِ
حِكْمًا يراها الجُرمون بزعمهم حَرَجًا ويفهمها ذوو الأبوابِ

-
- (١) الشوى : القوائم والنحش : اللحم . الاراب : المفاصل . وحدها لرب .
وي ابن هشام : وسائر الآراب .
(٢) القود : الطوال الأعناق . والعصراء : السكالب الضارية . والسكالب : جمع كالب
وهو صاحب السكالب الذي يصيدها .
(٣) كذا بالأصل . وي ابن هشام وتحوط سائمة الدبار . الخ . والسائمة : المشية
المرسلة في المرعى إبلا كانت أو غيرها . وتردى : تهلك .
(٤) يعدون . كذا بالأصل . وهو من المدو وهو الجرى . وي ابن هشام : يعدون .
الزغف : الدروع الواسعة . والشك : الخناق والنسج . والترصات : المحركة ، يى الرماح
المتقنة . والصياب : المصيبة .
(٥) علها : خشونتها وتثلها .
(٦) المارن : اللين . ووقيعته : صقله . وخباب : اسم صيقل .
(٧) القران : اقتران النبل واجتماعه . والقدير : رموس مسامير الدرع . والقواحز :
قعر السهم إذا رماه فوق بين يديه . وي ط . تنفى القران .
(٨) أبو كرب وتبع : من ملوك اليمن قبل الإسلام .

جاءت سَخِينَةُ كى تَغَالِبَ رَبِّهَا وَلِيُفْلَكِينَ^(١) مُغَالِبِ الْغَلَّابِ
ولما قال كعب بن مالك هذا البيت : « جاءت سَخِينَةُ » إلى آخره . قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرت الله يا كعب على قولك هذا .

* * *

وقال كعب أيضاً :

لقد عَلِمَ الأحزابُ حين تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وراموا دِينَنَا ما نَوَادِعُ
أَضَامِيمٍ من فَيْسِ بنِ عَيْلَانَ أَصْفَقَتْ وَخِنْدَفٌ لم يَذَرُوا بما هو واقع^(٢)
يذودوننا عن دِينِنَا ونَدُودِمْ عن الكفر والرحن راد وسامع
إذا غَايَظُونَا فى مقامِ أعاننا على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فيما وفضله علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
هدانا لدين الحق واختاره لنا والله فوق اللسانين صدائع
وقال كعب أيضاً :

ألا أبلغ قريشاً أن سلما وما بين المرئى إلى العماد^(٣)
نواضح فى الحروب مُدَرَّبَاتٍ وخوص بَقِيَّتْ من عهدِ عاد^(٤)
رواكد بزجر المران فيها فليست بالجمام ولا التَّمَادِ^(٥)

(١) ابن هشام : فليفاين . ومراده بسَخِينَةُ : أريش ، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أسلحتهم للطعام السخن الذى لا يتهاى لغريم غالباً من أهل الوادى .
(٢) الأضاميم : واحدتها أضامة ، وهو كل شيء مجتم . وأصفت : اجتمعت .
(٣) سلم : جبل بسوق المدينة . والمرئى : واد بالمدينة . والعماد : جبل .
(٤) نواضح : يسنى حدائق نخيل تسقى بالنضح والحوس : الآبار . وبقيت : بقيت ، وى ابن هشام : بقيت .
(٥) المران : شجر ، وهو كذلك الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة : مرانة . والجمام : الماء الكثير . والتَّمَادِ : الماء القليل .
والرواية فى ابن هشام : رواكد يزجر المرار فيها .

بلاد لم تُثر إلا لكَيْفَما نجالد إن نشطتم للهِجْلادِ^(١)
 أثَرنا سِكةَ الأنباط فيها فلمْ نر مثلاً جَلَهاتٍ وادِي^(٢)
 قَصَرنا كل ذى حُضر وطول على الفايات مقدر جوادِ^(٣)
 أجيبونا إلى ما نَجْتدِكم من القول المبين والسدادِ^(٤)
 وإلا فاصبروا للجَلادِ يوم لكم معا إلى شَطَر المِدادِ^(٥)
 نصبحكم بكل أخى حروب وكل مُطَهَّم سَلِس القِيادِ^(٦)
 وكل طيرة خَفِق حشاها تدفّ دَفِيفَ صفراء الجرادِ^(٧)
 وكل مقاص الآراب نَهْد تَمِيم الخلق من آخر وهاذِي^(٨)
 خيولٌ إلا تضاع إذا أُضِيعت خيول الداس في السَّنة الجادِ
 يمازِغنَ الأعِنَّةَ مُصَنِّيات إذا نادى إلى المَفزَع المِدادِ
 إذا قالت لنا اللُّنذر استمِدّوا نوكلنا على رَبِّ العِبادِ
 وقلنا لن يُفَرِّج ما لقينا سوى ضَرْب القوانس والجهادِ^(٩)
 ولم نر عَصبة فيمن لقينا من الأقوام من قارٍ وبادِ^(١٠)

(١) ثثر : تحرث : والجلاد : القتال .

(٢) السكة : الصف من النخل ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « خير المال سكة مأبورة » . وقيل : هي الحديد التي تشق بها الأرض . والجاهات : جم جاهة ، وهي ما كشفه السيل .

(٣) الحضر : ارتفاع الفرس و عدوه . وى الأصل : حصر : وما أثبتته عن ابن هشام

(٤) نجتدكم : نسألكم إياه . وى ط : نجتدكم .

(٥) شطر المِداد : الشطر : الجهة والناحية . والمِداد : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق

(٦) الماطهم من الخيل : الفرس التام الخاق .

(٧) الطيرة : الفرس الجواد . وخفق حشاها : أى ضامرة .

(٨) المقلس : المرتفع . والآراب : الأعضاء . والنهد : الغليظ . والآخر : العجز .

والهادى : العنق .

(٩) القوانس : جمع قونس وهو أهل بيضة الحديد .

(١٠) القار : المقيم . والبادى : المختل .

أشدَّ بسالةً منا إذا ما أردناه وألین فی الودادِ
إذا ما نحن أشرجنا عليهم — جیادَ الجدلِ فی الأرب الشدادِ^(١)
قذفنا فی السوابغ كل صقر كرم غیر معتاك الزنادِ^(٢)
ليظهر^(٣) دينك اللهم إنا بكفك فاهدنا سبلَ الرشادِ

• • •

وقال حسان بن ثابت يذكر بني قريظة :

تفاقد^(٤) معشرٌ نصرُوا قريشاً وليس لهم بيلدتهم نصيرُ
مُ أوتوا السكائب فضيَّموه وهم غنى من النوراة بُودُ
كفرنم بالقران وقد أتيتم بتصديق الذي قال اللديرُ
فهان على سرة بني لؤي حريقٌ بالبؤيرة^(٥) مستطيرُ

ولما سمع ذلك أبو سفيان بن الحارث قال :

أدامَ الله ذلك من صميم وحرَّق في طوائفها السيرُ
في أبيات ذكرها ابن إسحق لم يأل قائلها أن صدق حسان .

وقال في ذلك أيضا جبل بن جؤال النخعي ، وبكى النصير وقريظة ونمي

(١) أشرجنا : ربطنا . والجدل : الدروع المحكمة . والأرب : جم أربعة وهي العقدة المحكمة .

(٢) المعتك : هو الذي لا يدري من أي خشب هو .

(٣) ابن هشام : لنظهر دينك .

(٤) تفاقد : فقد بعضهم بعضا .

(٥) البؤيرة : موضع بني قريظة .

على سعد بن معاذ إسلامه مواليه منهم خلاف ما فعله عبد الله بن أبي في
بنى قينقاع :

ألا يا سعد سعد بن معاذٍ أما لقيتُ قريظلةً والنضيرُ
أعزرك إن سعد بن معاذٍ غداةً تحمّلوا لهو الصبورُ
فأما الخزرجي أبو حُبَابٍ فقال لقيتُ قينقاع لا تسيروا

ويقول في آخرها :

تركتم قذرکم لا شيء فيها وقذر القوم حاميةً تفورُ
فقال سعد حين بلغه هذا الشعر : من لقيهم فليحدثهم أنهم خانوا الله
ورسوله فأخزاهم الله .

مقتل سلام بن أبي الحقيق

وكان سلام بن أبي الحقيق أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيتين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفاء إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام . فلا ينتهون حتى يوقعوا منها وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، فقالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . فتذاكروا بعد أن انقضى شأن الخندق وبني قريظة : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذاكروا ابن أبي الحقيق وهو بخير ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله [فأذن لهم ^(١)] . فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربیع ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم .

فخرجوا ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

(١) من ابن هشام .

نخرجوا حتى إذا قدموا خير أنوا دار ابن أبي الحقيق ليلا ، فلم
يدعوا بيتا في الدار إلا أغلقوه على أهله ، وكان في عُلْيَةٍ له إليها عِجْلَةٌ^(١)
فأسعدوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا ، فخرجت عليهم امرأة
فقات من أنتم ؟ فقالوا : أناس من العرب نلتهم الميرة . قالت : ذاك
صاحبكم فادخلوا إليه . قال : فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليها الحجر نخوفا
أن يكون دونه مُجَادِلَةٌ نحول بيننا وبينه . قال : وصاحت امرأته فدوّهت
بنا ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيا فدا ، والله ما يدلنا عليه في سواد
الليل إلا بياضه كأنه قُطَيْطِيَّةٌ^(٢) ملقاة . ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل
منا برفع عليها سيفه ثم يذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكيف يده ،
واولا ذلك لفرغنا منها بليل ، فلما ضربناه نحامل عليه عبد الله بن أنيس
بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قَطَنِي قَطَنِي ، أَيْ حَسَنِي حَسَنِي .

قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر ، فوقع
من الدرجة فوثت يده وثثا^(٣) شديدا . قال ابن هشام : ويقال رجله .
وحملناه حتى نأى منفرنا من عيونهم فبدخل فيه . قال : وأرقدوا الديران
واشتدوا في كل وجه يطلبون^(٤) ، حتى إذا بدسوا رجعوا إلى صاحبهم
فاكتنفوه وهو يَقْضِي بينهم . فقلنا كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد
مات ؟ فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في

(١) العلية : الغرفة . والمجلة : الدرج من النخل .

(٢) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع بمصر .

(٣) وثث : فكك ، أو أبها وحج بلا كسر .

(٤) ابن هشام : يطلبوننا .

الناس قال : فوجدتها^(١) ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت^(٢) وقلت أني ابن عتيك بهذه البلاد . ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت : فاطة وإله يهود . فما سمعت من كلمة كانت الله إلى نفسى منها .

ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقديمتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده في قتله ، كلنا ندعيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم . فجئناه بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله أرى فيه أثرنا اطعام^(٣) .

وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام ابن أبي الحقيق :

الله دَرَ عصابة لاقيتهم	يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم	مرحاً كأشد في عرين مُزَف ^(٤)
حتى أنوكم في محل بلادكم	فسقوكم حَقَمًا ببيض ذُفَف
مُسْتَبْصِرِينَ ^(٥) لفصر دين نبهم	مستصغرين لسكر أمر مُجْجَف

(١) وجدتها : يعني امرأته .

(٢) ابن هشام : ثم أكذبت نفسى .

(٣) انظر رواية البخاري في مقتل ابن أبي الحقيق و صحيحه ٢ / ٢١٤ ط الأميرية (سنة ١٢٨٠ هـ) .

(٤) مزرف : ذو شجر كثير ملتف .

(٥) و رواية لسيرة ابن هشام : مستبصرين .

ذكر إسلام عمرو بن العاص وخاله بن الوليد

رضي الله عنهما

حدث عمرو بن العاص رحمه الله قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جئت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم : تعلموا والله إنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإنني قد رأيت أمرا فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال رأيت أن تلحق بالنجاشي فتكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجمعوا ما نهدي له ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم^(١) فجمعنا له أدما كثيرا ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لم نده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن جعفر وأصحابه قال فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي سألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال لي : مرحبا بصديقي ، أهديت لي من بلدك شيئا ؟ قلت نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أدما كثيرا . ثم قربته إليه فأنجبته واشتهاه ثم

(١) الأدم : الجلد . أو أجرة أو المصوغ منه .

قلت له : أيها الملك : إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطيته لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال^١ : فغضب ثم مد يده وضرب بها أنفه ضربةً ظلمت أنه قد كسره ، فلو انشقت الأرض لدخلت فيها فرقامه ثم قلت له : أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك ، قال : أنسأني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ؟ قلت : أ كذلك هو أيها الملك ؟ قال : وبحك عمرو أطمئني واتبعه فإنه والله أعلى الحق وأبظهر على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعته على الإسلام .

ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كدت عليه ، وكثمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت هامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيتُ خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح ، وهو مُقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المناسيم^(١) وإن الرجل آتني ، أذهب والله فأسلم ، حتى متى ؟ قلت : والله ما جئتُ إلا لأسلم .

فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت : يا رسول الله إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر . فقال رسول الله صلى الله عليه

(١) هامش ط : خ : المناسيم . والليسيم : السكواة ، وهو أثر الحسن أيضا .
ومعنى استقام المناسيم : تبين الطريق ووضح .

وسلم : « ياعمرو بايع فإن الإسلام يُحبَّب ما كان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها » قال فبايعته وانصرفت .

وذكر ابن إسحق عن لا يُتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار كان معهم ما أسلم حين أسلم .

وذكر غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رآهم : رمّكم مكة بأفلاذ كبدها .

وحدث الواقدي بإسناد له قال : قال عثمان بن طلحة : أيقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فدعاني إلى الإسلام فقلت : يا محمد المعب لك حين تطمع أن أتبعك وقد خالفت قومك وجئت بدين تُحدث ففرقت جماعتهم وألفتهم وأذهبت بهائم . فانصرف ، وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس ، فأقبل يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فغائطت عليه ونلت منه وحلم عني ثم قال : يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضمه حيث شئت . فقلت : لقد هلك قريش يومئذ وذات . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل عمرت وعزّت يومئذ . فوقمت كلمته منى موقفاً ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال . فأردت الإسلام فإذا قومي يزبروني ^(١) زبراً شديداً ويزرون برأي ، فأمسكتُ عن ذكره . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جعلت قريش تُشفق من رجوعه عليها ، فهم على ما هم عليه

(١) يزبروني : يهونني ويهينوني .

حتى جاء البشير إلى بَدْر ، فخرجت فيمن خرج من قومنا وشهدت المشاهد كلها معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام القضية غير الله قلبي عما كان عليه ودخلني الإسلام وجعلت أفكر فيما نحن عليه وما نعبد من حجر لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ، وأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وظلّ^(١) أنفسهم عن الدنيا فيقع ذلك مني فأقول : ما عمل القوم إلا على الثواب لما يكون بعد الموت . وجعلت أحب النظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أن رأيت خارجا من باب بني شَيْبَةَ يريد منزله بالأبطح فأردت أن آتيه وأخذ بيده وأسلم عليه فلم يُعْزِم لى على ذلك ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة ، ثم عزم لى على الخروج إليه ، فأدّجيت إلى بطن بَأَجِج^(٢) فألقى خالد بن الوليد ، فاصطحبنا حتى نزلنا الهدنة^(٣) فلما شعرنا إلا بعمرو بن العاص فانقمنا عنه وانقمع منا ، ثم قال : أين يريد الرجلان ؟ فأخبرناه فقال : وأنا أريد الذى تريدان .

فاصطحبنا جميعا حتى قدّمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام وأتت حتى خرجت معه فى غزوة الفتح ودخل مكة فقال لى : يا عثمان ابث بالفتح ، فأنيت به فأخذه منى ثم دفعه إلى وقال :

(١) الظلّ: الزهد والامتناع .

(٢) بَأَجِج : موضع بمكة .

(٣) الهدنة : موضع بين عسفان ومكة .

خذوها نالدةً خالدةً ولا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فـكُلُوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف .

قال عثمان : فلما ولّيت ناداني فرجعت إليه فقال : ألم يكن الذي قلت لك ؟ فذكرت قوله لي قبل الهجرة بمكة : « لعلك ستري هذا للفتاح يوماً بيدي أخيه حيث شئتُ » فقلت : بلى ، أشهد أنك رسولُ الله ! قال الواقدي : فهذا أثبت الوجوه في إسلام عثمان .

غزوة بني لحِيان

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحِيان يطلبهم بأصحاب الرجيع خُبَيْب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد للشام ليصيب من القوم غيرة .

فلما انتهى إلى منازلهم بقرآن وهو واد بين أمّج وعُسفان وجدّهم قد حذروا وتمنّعوا في رموس الجبال . فلما أخطأ من غرتهم ما أراد قال : لو أنا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة . فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع النعميم^(١) ثم كرّا وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا .

فسكان جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعا : « آيئون ثابتون إن شاء الله ، ربنا حامدون ، أعوذ بالله من وَعْثاء السّفر وكآبة القلب وسوء المنظر في الأهل والمال » .

غارة عُمَيْيْنَة بن حِصْن على سَرْح المدينة

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في أثره ، وهي غزوة ذى قَرَد ولما قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة بني لحِيان لم يُقم بالمدينة إلا ليال قلائل ، حتى أغار عُمَيْيْنَة بن حِصْن في خيل من غَطَمان على إقحاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسابة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في الإقحاح .

(١) كراع النعميم : موضع على ثلاثة أميال من عُسفان .

وكان أول أول من نذر بهم سلة [بن عمرو^(١)] بن الأكوخ الأسلمي ،
غدا يريد الغابة متوشحا سيفه^(٢) وتبلة ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه
معه فرس يقوده ، حتى إذا علا ثلثية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف
ناحية سلع ثم صرخ : واصباحاه . ثم خرج يشد في آثار القوم وكان مثل
السبع ، حتى لحق القوم فجعل يردم بالنبل ويقول إذا رمى :

خذها وأنا ابن الأكوخ اليوم يوم الرضخ^(٣)
فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم طارضهم فإذا أمسكه الرمي رمي
ثم قال :

خذها وأنا ابن الأكوخ اليوم يوم الرضخ
فيقول قائلهم : أأَكَيْعنا^(٤) هو أول النهار .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الأكوخ فصرخ بالمديقة
للفرع الفرع . فترامت الخيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان
أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو ، وهو الذي يقال له المقداد
ابن الأسود . ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد المقداد من الأنصار عباد بن بشر وسعد بن زيد الأشجعيان وأستيد بن
ظهير الحارثي ، يشك فيه ، وعسكاشة بن مخصن ، ونجرز بن نضلة الأسديان
وأبو قتادة السلمي وأبو عياش الزرقى .

(١) من ابن هشام وابن كثير .

(٢) ابن هشام وابن كثير : متوشحا قوسه .

(٣) الرضخ : حم راضم وهو اللثيم . أي يوم هلاك اللثام .

(٤) كذا في الأصل . وفي ابن كثير : أو يكمننا . بهز استفهام وواو . ومعناها :

يخوفنا أو يصرفنا عن غايدنا . أما محققو سيرة ابن هشام فقد ضبطوها بالتصغير بضم الهـزة
وفتح الواو وسكون الياء . ولا معنى لها . وأمل ما أنبتة السكلاعي هنا هو المصواب في
التصغير ، إذ هو نصيب الأكوخ .

فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمِر عليهم سعد بن زيد وقال : اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الداس . وقال لأبي عيَّاش : يا أبا عيَّاش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالداس . قال أبو عيَّاش : فقلت يا رسول الله أنا أفرس للداس . ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني ، فمجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أعطيته أفرس منك وأقول : أنا أفرس للداس ! فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرس أبي عيَّاش هذا فيما زعموا ، معاذ بن ماعص أو عائذ بن ماعص ، فكان^(١) تامناً .

تفرج الفرسان في طلب القوم حتى نلاحقوا ، وكان أول فارس لحق بالقوم مُحَرِّز بن نَضْلَةَ الأخرم ، ويقال له أيضاً قير ، ولما كان النزعُ جال فرسٌ لمحمود بن مسلة في الحائط وهو مربوط بمذع نخل حين سمع صاهلة الخليل ، وكان فرساً صديماً جاماً^(٢) فقال بعض نساء بني عبد الأشهل : يا قَمَيْر هل لك في أن ترك هذا الفرس فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم فأعطيه إياه . تفرج عليه فلم يلبث أن بز الخليل بجنامه حتى أدرك للقوم ، فوقف لهم بين أيديهم ثم قال قفوا بني الأكيمة حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار ، وحل عليه رجل منهم ، وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آريه^(٣) في بني عبد الأشهل .

(١) ابن هشام : وكان تامناً .

(٢) الفرس الصنيع : الذي يخدمه أهله ويقومون عليه والجام : المستريح .

(٣) وقف على آريه : أي رجع إلى مربطه الذي كان فيه من المدينة .

فَقِيلَ لَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَوْمُئِذٍ غَيْرُهُ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ قُتِلَ مَعَهُ وَقَاصٍ بْنُ مُحَرَّرٍ^(١) الْمَدِينِيِّ .

وَلَمَّا تَلَا حَقَّتِ الْخَيْلُ قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ حَبِيبَ بْنَ عُيَيْنَةَ بْنَ رَحْصَنٍ وَغَشَاهُ بُرْدُهُ نَحْمَ لِحَقِّ النَّاسِ ، وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا حَبِيبٌ مُسَجِّجِي بَرْدِ أَبِي قَتَادَةَ ، فَاسْتَرْجَعَ النَّاسُ وَقَالُوا : قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيْسَ بِأَبِي قَتَادَةَ ، وَلَكِنَّهُ قَتِيلٌ لِأَبِي قَتَادَةَ وَضَعَ عَلَيْهِ بَرْدَهُ لِيَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ .

وَأَدْرَكَ عُكَّاشَةَ بْنَ مَخْصَنٍ أَوْ بَارَأَ وَابْنَهُ عَمْرُو بْنُ أُوْبَارٍ وَهُمَا عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ فَانْتَقَضَ الرَّمْحُ فَقَتَلَهُمَا جَمِيعًا ، وَاسْتَفْذَوْا بَعْضَ الْأَقْبَاحِ .

وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بِالْجَبَلِ مِنْ ذِي قَرْدٍ وَتَلَا حَقَّ بِهِ النَّاسُ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَايِلَّةَ ، وَقَالَ لَهُ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ الْأَكْوَعِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ سَرَّخْتَنِي فِي مِائَةِ رَجُلٍ لَأَسْتَفْذَتُ بَقِيَّةَ السَّرَّحِ وَأَخَذْتُ بِأَعْنَاقِ الْقَوْمِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُمْ الْآنَ لِيُغْنِبَقُونَ^(٢) فِي غَطَفَانَ .

فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فِي أَصْحَابِهِ فِي كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ جُزُورًا . وَأَقَامُوا عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعُ قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَأَقْلَعَتْ امْرَأَةُ الْغِفَارِيِّ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ إِبِلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبَرَ ، فَلَمَّا فَرَّغَتْ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ نَذَرْتُ اللَّهُ أَنْ أَنْحَرَهَا إِنْ نَجَّأَنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : بئس

(١) عَرَزَ : كَذَا بِالْأَسْلِ . وَفِي سِيرَةِ ابْنِ كَثِيرٍ : ٣ / ٢٨٨ : بِجَزْزٍ ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْأَسْتِيعَابِ لِابْنِ عَبْدِ الرَّبِّ وَالْمَشْتَبِهَ لِلذَّهَبِيِّ .

(٢) يُغْنِبَقُونَ : يَشْرَبُونَ الْغُبُوقَ ، وَهُوَ مَا يَشْرَبُ بِالْعَشِيِّ .

ما جزئتها أن حَمَلَكَ اللهُ عليها ونجَّاك بها ثم تحرَّرتها ، إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملكين ، إنما هي ناقة من إبل ارجعى إلى أهلك على بركة الله .

فهذا حديث ابن إسحق عن غزوة ذى قرد .

وخرج مُسلم بن الحجاج رحمه الله حديثاً في صحيحه^(١) بإسناد إلى سلمة ابن الأكوع فذكر حديثاً طويلاً خالف به حديث ابن إسحق في مواضع منه ، فمن ذلك : أن هذه الغزوة كانت بعد انصراف الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية وجعلها ابن إسحق قبل ذلك ، وكذلك فعل ابن عُبَيْد .

وفيه أن سلمة بن الأكوع استنقذ سَرَحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته ، قال سلمة : فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم فإذا رجع إلى فارس أنبتُ شجرةً جلست في أصلها ثم رميته فعقرت به حتى إذا تضايق الجبلُ فدخلوا في تضايقه علوتُ الجبلَ فجعلت أُرْدِيهم^(٢) بالحجارة . فما زلت كذلك أنبهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينى وبينه ، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بُردةً وثلاثين رمحاً يستخفون ، ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً^(٣) من الحجارة يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى أنوا متضايقاً من ثنية^(٤) [فإذا هم قد] أتاهم فلان بن بدر الفزارى ، فجلسوا يتضحون أى يتندون وجلست على رأس قرْن . قال الفزارى : ما هذا الذى أرى قالوا لقينا من هذا

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد باب غزوة ذى قرد وغيرها ٥ / ٨٩ (ط استانبول)

(٢) أُرْدِيهم : أرميهم بالحجارة من أعلى الجبال فتسقطهم وتمورهم .

(٣) الآرام : حجارة تجميع وتنعيب في المفازة يهتدى بها ، واحدها إرم ، كعنب وأعنان

(٤) من صحيح مسلم .

للبرح^(١) ، والله ما فارقنا منذ غاس برهينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا . قال فليقم إليه نفر منكم أربعة ، قال : فصعد إلى منهم أربعة في الجبل ، فلما أمكنوني من الكلام قلت : هل تعرفونني ؟ قالوا : لا ومن أنت ؟ قلت : أنا سلمة بن الأكوع والذي كرم وجهه محمد صلى الله عليه وسلم لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته ولا يطلبني فيدركني . قال أحدهم : أنا أظن ذلك فرجعوا .

فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر^(٢) ، فإذا أولهم الأخرم الأسدي ، على أثره أبو قتادة الأنصاري وعلى أثره المقداد بن الأسود السكندى فأخذت بعنان الأخرم فولوا مدبرين قلت : يا أكرم أكرهم لا يقطعوك^(٣) حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة . قال : تخليته فالتقي هو وعبد الرحمن قال : قال فمقر بعبد الرحمن فرسه وطعمه عبد الرحمن فقتله ، وتحوّل على فرسه . ولحق أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الرحمن فطعمه فقتله ، فوالذي كرم وجهه محمد لتقبعنهم أعدو على رجلى حتى ما أرى من ورأى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا غبارهم شيئاً ، حتى يمدوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد ليشرّبوا منه وهم عطاش ، فنظروا إلى أعدو وراءهم فحلاهم^(٤) عنه . فاذاقوا منه قطرة ، ويخرجون فيشتدون في ثنية فأعدو

(١) البرح : الشدة . (٢) يتخللون الشجر : يبرون من خلاله .

(٣) لا يقطعوك : لا يأخذوك وينفردوا بك فيفصلوك عن أصحابك .

(٤) حلاهم : منعهم منه . والرواية في صحيح مسلم : خلبتهم بقاب الهمة ياء على غير

قياس وفسره في الصحيح بأن معناه : أجلبتهم منه .

فألقى رجلاً منهم فأمسكه بسهم في نفض كتفه^(١) قلت :
 خذها وأنا ابن الأكواع واليوم يوم الرضع
 قال يا نكيلة أمه أأكواعه بكرة؟^(٢) قلت : نعم يا عدو نفسه أكواعه^(٣)
 بكرة .

قال : وأردوا^(٤) فرسين على ثنية فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة^(٥) من لبن وسطيحة فيها
 ماء فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء
 الذي حلأهم عنه قد أخذ تلك الإبل وكن شيء استنقذته من المشركين
 وكل رمح وكل برودة ، وإذا بلال نحر ناقه من الإبل التي استنقذت من
 القوم ، وإذا هو يشقوى^(٦) لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسنابها ،
 قلت : يا رسول الله خلني فانتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى
 منهم نخير إلا قتله . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه
 في ضوء النار قال : بأسلمة أترك كيت فاعلاً ؟ قلت : نعم ، والذي أكرمك ،
 قال : إنهم الآن ليقرّون بأرض غطفان . قال : فجاء رجل من غطفان فقال :
 نحر لم فلان جزوراً فلما كشطوا جلدها رأوا غباراً فقالوا : أتاكم القوم
 فخرجوا هاربين .

* * *

(١) النفض : الرقيق اللين من عظم الكتف .
 (٢) أكواعه بكرة : أي هذا الأكواع الذي كان يرتجز لنا به صباح هذا النهار قد
 عاد يرتجز لنا به آخره .
 (٣) رواية الصحيح : أكواعك بكرة .
 (٤) أردوا فرسين : أتبعوها وأجهدوها .
 (٥) السطيحة : نوع من المزاد . والمذقة : اللبن المذرج بالماء .
 (٦) صحيح مسلم : يشوى .

فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان خير فرساننا اليوم
أبو قتادة ، وخير رجالنا سلمة . ثم أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
سهمين سهم للفارس وسهم الراجل فجمعتهما لي جميعاً .
وذكر الزبير بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ في غزوة
ذى قرد هذه على ماء يقال له ييسان فسأل عنه ف قيل اسمه يا رسول الله ييسان
وهو مالخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا بل اسمه نعمان وهو طيب .
فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسم وغير الله تعالى الماء . فاشتراه طلحة
ابن عبيد الله ثم تصدّق به وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنت يا طلحة إلا قياض . فسمى
طلحة القياض .

* * *

وكان مما قيل من الشعر في يوم ذي قرد قول حسان بن ثابت :
أُظُنُّ عَيْيِدَةً إِذْ زَارَهَا بَأْسُ سَوْفَ يَهْدِمُ مِنْهَا ^(١) قُصُورًا
فَأَكْذَبَتْ مَا كُنْتُ صَدَّقْتُهُ وَقُلْتُ سَتَقْتُمُ أَمْرًا كَبِيرًا
فَعَمِيتَ الْمَدِينَةَ إِذْ زُرْتَهَا وَأَنْتَ الْأَشَدُّ فِيهَا زُنُورًا
وَوَلَّوْا سِرَاعًا كَشَدَّ الزَّمَامَ وَلَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُلْطٍ حَصِيرًا ^(٢)
أَمِيرٌ عَلَيْنَا رَسُولُ الْمَلِكِ أَحَبُّ بِذَلِكَ إِلَيْنَا أَمِيرًا
رَسُولٌ نَصَدَّقُ مَا جَاءَهُ وَنَقُولُ ^(٣) كِتَابًا مُضِيئًا مَدِيرًا

(١) ابن هشام : فيها .

(٢) اللط : الناقة ، من قولهم : أُلطت الناقة بذنبها إذا أدخلته بين رجليها .

والحصير : ما يكنف به حول الإبل من عيدان الحظيرة .

(٣) ابن هشام : ويتلو .

وقال كعب بن مالك :

أَيْحَسْبُ أَوْلَادُ اللَّاقِيطَةِ أَنَا عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْقَوَارِسِ
وَأَنَا أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً وَلَا نَنْتَنِي عِندَ الرِّمَاحِ الْمَدَاعِسِ^(١)
وَأَنَا لَنَقْرَى الضَّيْفَ مِنْ قَمْعٍ الذُّرَى

ونضرب رأس الأبلج المنشاوس^(٢)

نَزَدَ كُفَاةَ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْفَحُوا بِضَرْبٍ يَسْلَى نَخْوَةَ الْمُتَقَاعِسِ^(٣)
بِكُلِّ فَتَى حَامِي الْحَقِيقَةِ مَاجِدٍ كَرِيمٍ كَسَرَتْ حَانَ الْغَضَاءِ مُخَالِسِ^(٤)
يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ بِيَبِضٍ تَقْدُ الْهَامَ تَحْتَ الْقَوَاسِ^(٥)
فَسَائِلُ بَنِي بَذَرٍ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارِسِ^(٦)
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْذُقُوا مِنْ لَقِيمَتِهِمْ وَلَا تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي الْمَجَالِسِ
وَقُولُوا زَلَّلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ بِهِ وَحَرَّ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يَمَارِسِ^(٧)

وقال شداد بن عارض الجشمي في يوم ذي قرَدَ لُعَيْبِيَّةَ بن حصن وكان عبيدة يكنى أبا مالك :

فَهَلَّا كَرَرْتُ أبا مَالِكٍ وَخَيْلِكَ مُذْبِرَةً تَقْتَسِلُ

(١) المداعس : الرماح التي لا تنتهي .

(٢) القمع : جمع قمة . وهي أعلى سنام البعير . والأبلج : المذرق .

والمشاوس : المتكبر . وفي ابن هشام : الأبلج .

(٣) السكاهة : القوارس . والمتقاعس : الذي لا يلين .

(٤) السرحان : الذئب . والغضاء : شجرة وجهها غضي . وتروى : الغضاء . وهو

شجر ضخم .

(٥) القواس : أعلى بيض الحديد .

(٦) التمارس : المجادلة في الحرب .

(٧) الخادر : الأسد الذي يلزم أجمعه . والوحر : الحقد .

ذَكَرْتَ الْإِيَابَ إِلَى عَسْجَدٍ وَهَبَاتٍ قَدْ بَعَدَ الْمُقَقَّلُ^(١)
 وَضَمَنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَيْعَةٍ مَسَحَ الْفَضَاءَ إِذَا بِرَسُولٍ^(٢)
 إِذَا قَبَضَتْهُ إِلَيْكَ الشَّمَالُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَّ الْمَرْجَلُ
 فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عَهَادَ الْإِلَهِ لَمْ يَنْظُرِ الْآخِرَ الْأَوَّلُ
 عَرَفْتُمْ فَوَارِسَ قَدْ عُوِدُوا طِرَادَ الْكَمَاءِ إِذَا أُسْهِلُوا^(٣)
 إِذَا طَرَدُوا الْخَلِيلَ تَشَقَّى بِهِمْ فَضَاحًا وَإِنْ يُطَرَّدُوا يَنْزَلُوا^(٤)
 فَيَنْتَصِمُوا فِي سَوَاءِ الْمَقَامِ مِ الْبَيْضِ أَخْلَصَهَا الصِّيقِلُ^(٥)

(١) عَسْجَدٌ : موضع . وفي ابن هشام : عَسْجَر . بالراء .
 (٢) ذَا مَيْعَةٍ : يريد فرساً ذا نشاط وقوة . والمسح : السريح الجرى .
 (٣) أُسْهِلُوا : نزلوا بالسهل .
 (٤) فَضَاحًا : فاضحة .
 (٥) أَخْلَصَهَا الصِّيقِلُ : جلاها .

غزوة بنى المصطلق

وهى غزوة المُرَيْسَمِيعِ

وغزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست ، وكان بلغه أنهم يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جَوَزْبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم حتى أقيم على ماء من مياههم يقال له المُرَيْسَمِيعِ فتزاحف الناسُ واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ونقل رسوله أبناءهم وساءهم وأموالهم .

وكان شعار المسلمين في ذلك اليوم : يامقصور أميت أمت .

وأصاب يومئذ رجلٌ من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت رجلاً من المسلمين من بنى كلب بن عوف بن عامر بن أمية بن إيث بن بكر يقال له هشام ابن صُبَّابة وهو يرى أنه من المدنفقة فقتله خطأ .

أ من كيد المنافقين]

فَبَيَّهَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ وَرَدَتْ وَارِدَةُ النَّاسِ وَمَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ غِفَّارٍ يُقَالُ لَهُ جَهَنجَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُودُ فَرَسَهُ فَازْدَحَمَ جَهَنجَاهُ وَسَيْنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجَهَنِيُّ حَلِيفُ بَنِي عَوْفٍ مِنَ الْخَزَرَجِ عَلَى الْمَاءِ فَاقْتَتَلَا ، فَصَرَخَ الْجَهَنِيُّ : يَامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ . وَصَرَخَ جَهَنجَاهُ : يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ . فَمَضَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ سَائِلُ وَقَالَ : أَقْدَ فَعَلُوهَا ؟ قَدْ نَافَرُونَا وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا ، وَاللَّهِ مَا أَعْدُنَا وَجَلَّالَيْدُ قُرَيْشٍ هَؤُلَاءِ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكُ أَمَا وَاللَّهِ لَكُنْ

رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ
وَفِيهِمْ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ غَلَامٌ حَدَّثَ قَطَالُ : هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَقْسَمِكُمْ أَخْلَقْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ
وَقَاتَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بَأَيْدِيكُمْ لِتَحْوِلُوا إِلَى غَيْرِ
دَارِكُمْ .

فَنَشَى زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ،
وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ عُدُوِّهِ ، وَعِنْدَهُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ مُرُّ بِهِ عَبَّادُ بْنُ
بِشْرِ فَلْيَقْتُلْهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَكَيْفَ يَا عَمْرُ إِذَا تَحَدَّثَ
الْنَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ، لَا وَلَكِنْ أَذُنٌ بِالرَّحِيلِ . وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا .

فَارْتَحِلَ النَّاسُ وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ زَيْدًا بَلَغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ فَخَلَفَ بِاللَّهِ مَا قُلْتُ مَا قَالَ وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ .
وَكَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا ، فَقَالَ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
عَسَى أَنْ يَكُونَ الْغَلَامُ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَهُ الرَّجُلُ . حَدَّثَنَا عَلَى ابْنُ أَبِي
وَدْفَمَا عَنْهُ .

فَلَمَّا اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَارَ لِقَائِهِ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فُجِيَاءً
بِتَحِيَّةِ الدَّبُورَةِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَاللَّهِ لَرُحَّتْ فِي سَاعَةٍ مَنَكْرَةٌ مَا كُنْتُ
تَرَوْحُ فِي مِثْلِهَا . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ
صَاحِبُكُمْ ؟ قَالَ وَآيَ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي . قَالَ : وَمَا قَالَ ؟
قَالَ : زَعِمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ .

قَالَ : فَأَنْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخْرِجُهُ إِنْ شِئْتَ ، هُوَ وَاللَّهِ الْقَدِيلُ وَأَنْتَ

العزیز . ثم قال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوّجوه فإنه يرى أن قد استلبته مذكّراً

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح ، وسار^(١) يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم فزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقهم نياماً ، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ثم راح بالناس ، فهبت عليهم ريح شديدة آذتهم وتخوفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن الثابت أحد بني قينقاع وكان من عظماء يهود وكمّماً للمنافقين مات في ذلك اليوم .

ونزلت للسورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أبي ومن كان على مثل أمره . فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنه .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه ، فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرفني فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخرز ما كان بها من رجل أبرّ بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نفرّق به ونحسن صحبته

ما بقي ممها .

(١) ابن مشام : وسدر يومهم ذلك .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومهم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلتلى اقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ! فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

* * *

وقدم مقيس بن صبيابة من مكة متظاهرا بالإسلام فقال : يا رسول الله جئتكم مسلما ، وجئتكم أطلب دية أخى قتل خطأ فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صبيابة ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدّا على قاتل أخيه فقتله . ثم خرج إلى مكة مرتدّا وقال فى شعره :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدَّ بَاتَ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا
تَضَرَّجَ ثَوْبِيهِ دِمَاءُ الْأَخَادِعِ^(١)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ
تَلَمَّ فَنَحْمِيْنِي وَطَاءَ الْمَضَاجِعِ^(٢)
حَلَّتْ بِهِ وَنَرَى وَأَدْرَكَتْ ثَوْرَتِي
وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْتَانِ أَوَّلَ رَاجِعٍ
ثَارَتْ بِهِ فِهْرًا وَحَمَلَتْ عَقْلَهُ
سَرَاةَ بَنِي الْجَعَارِ أَرْبَابَ فَارِعٍ

(١) الأخادع : جم أخدع ، وهو عرق فى الحجبتين ، وهو شعبة من الوريد .

(٢) تحمىنى وطاء للمضاجع : تسهطن وتغنى النوم .

وقال أيضاً :

جلّلتُهُ صرْبَةً بَاتَتْ لَهَا وَشَلٌّ

من ناقع الجوف بعلوه وينصرم^(١)

فقلت والموتُ ينشأه أسيرته

لا تأمننَ بني بكر إذا ظالموا^(٢)

وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني المصطلق سبيًا كثيرًا ، فشا قَسَمَهُ في المسلمين ، وكان فيمن أصاب يومئذ من السبايا جُوبَرِيَّة بنت الحارث ابن أبي ضرار ، فوَقَعَتْ في السهم لثابت بن قيس بن الشَّامِس أو لابن عم له ، فسَكَابَتْهُ على نفسها .

قالت عائشة رضي الله عنها : كانت ، تعني جُوبَرِيَّة ، امرأة حلوة مُلَاحَةً^(٣) لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعِينُهُ في كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرني فسكرتها^(٤) وعرفتُ أنه سيري منها مارأيت ، فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله أنا جوبرية بنت الحارث ابن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك فوَقَعْتُ في السهم لثابت بن قيس بن الشَّامِس أو لابن عم له ، فسَكَابَتْهُ على نفسي فنجيتك أستعِينُكَ على كتابتي . قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال أقضى كتابتك وأنزوجك . قالت : نعم يا رسول الله . قال :

(١) كذا بالأصل . وفي الطبري وابن هشام : بامت ، والوشل : القطر : أي دم

يسيل ويقطر ، وناقع الجوف : الدم . وينصرم : ينقطع .

(٢) الأسيرة : العلامات والدلائل . وفي ابن هشام : تنشأه .

(٣) اللاحة : الشديدة الملاحة ، وهي الجنال .

(٤) الطبري : كرمها .

قد فعلتُ . وخرج الخبرُ إلى الناس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج
جويرية . فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأرسلوا ما بأيديهم
قالت فلقد أعتق بتزويجه^(١) إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم
امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

[خبر الوليد بن عقبة]

وبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن
أبي معيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه فلما سمع بهم هاجسهم فرجع إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبره أن القوم هموا يقتله ومنعوه ما قبائهم من صدقاتهم ،
فأكثر المسلمون في ذكر غزوم حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن
يفزومهم ، فبيناهم في ذلك قدِم وفدٌهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :
يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لفسكرمه ونؤدى إليه
ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم أنا خرجنا إليه لنقتله ووالله ما جئنا لذلك . فأنزل الله فيه وفيهم : « يا أيها
الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تُصيبوا قومًا بجهالة فتصيبوا على
ما فعلتم نادمين »^(٢) .

هكذا ذهب ابن إسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بنى
المصطلق بعد إسلامهم الوليد بن عقبة ولم يعين مدة توجييه إياه إليهم وقد يؤهم
ظاهره أن ذلك كان بمحدثان إسلامهم ، ولا يصح ذلك ، إذ الوليد من مُسلمة

(١) ابن هشام والطبري : بتزويجه . وما هنا أدق .

(٢) سورة المجرات .

الفتح وإنما كان الفتح في سنة ثمان بعد غزوة بني المصطلق وإسلامهم بسنتين ،
فلا يكون هذا التوجيه إلا بعد ذلك ولا بد .

وقد قال أبو عمر بن عبد البر : لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما
علمت أن قوله عز وجل : « إن جاءكم فاسق بنبأ » نزلت في الوليد بن عقبة حين
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق مصدقاً والله سبحانه أعلم .

[حديث الإفك]

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك حتى إذا كان قريباً من المدينة قال أهل الإفك في الصديقة المبرأة المطهرة عائشة بنت الصديق رضى الله عنهما ما قالوا .

فحدثت برحمة الله قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهم خرج سهمها خرج بها معه . فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي صلى الله عليه وسلم : وقالت كان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق^(١) لم يهيجهن اللحم، وكنت إذا رُحِل^(٢) لي بعيرى جلست في هودجى ثم يأتى القوم الذين يرحلون لي ويحملوننى فيأخذون بأسفل الهودج فيرفمونى فيضرمونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فيعطلقون به .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجّه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس وخرجت لى حاجتى وفى عفتى عقداً لى فيه جَزَع ظفَّار^(٣) فلما فرغت أنسل من عفتى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرَّحْل ذهبت التمسّه فى عفتى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته ، وجاء خلافى القوم الذين يرحلون لى البعير وقد فرغوا من رحلته

(١) العلق : جم علقه وهى ما يتبلغم به من العيش . ويهيجهن : يضخمهن ، هيجه تهيجاً : وره .

(٢) رحل : وضع عليه الرحل .

(٣) الجزع : الحرز وظمار : بلد باليمن قرب صنعاء إليه ينسب الجزع .

فأخذوا المَوَدَجَ وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشذّوه على البعير ولم يشكوا أنى فيه ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا حبيب قد انطلق الداس ، قالت : فتأفقت يجلبأى ثم اضطجعت في مكانى وعرفت أنه لو افتقدت لرجع^(١) إلى .

فوالله إلى اضطجعت إذ مرّ بي صفوان بن العطل السلمي ، وكان تخلف عن العسكر لمرض حاجته فلم يبت مع الناس^(٢) ، فرأى سوادى ، فأقبل حتى وقف ، وقد كان يرانى قبل أن يضرب على الحجاب ، فلما رأى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ظمينة^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأنا متأففة في ثيابى . قال : ما خلفك رحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرّب البعير فقال اركبى . واستأخر عنى ، فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريماً يطلب الداس ، فوالله ما أدركنا الداس وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الداس فلما اطمأنوا طلع الرجل بقودنى ، فقال أهل الإفك ما قالوا . فارتعج^(٤) العسكر ، والله^(٥) ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة فلم ألث أن اشتكيت شكواً شديداً لا يبلغنى من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوى لا يذكرون لى منه لا قليلاً ولا كثيراً ، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله

(١) الطبرى : أن لو قد افتقدوني قد رجعوا إلى .

(٢) زاد الطبرى : في العسكر .

(٣) الطبرى : أظمينة رسول الله .

(٤) ارتعج : تحرك واضطرب . وى الطبرى : ارتج .

(٥) ابن هشام : والله .

صلى الله عليه وسلم بعض أطفه لى ، كدت إذا اشتكيت رحمنى واطف بى فلم يفعل ذلك فى شكوى^(١) ذلك فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل على وعندي أمى عرّضنى قال : كيف تيسم ، لا يزيد على ذلك حتى وجدت نفسى^(٢) حين رأيت ما رأيت من جفائه لى . فقلت : يا رسول الله لو أذنت لى فانتقلت إلى أمى فتمرضنى ؟ قال : لا عليك .

فانتقلت إلى أمى ولا علم لى بشيء مما كان ، حتى نفهت من وجمى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكذا قوماً عرباً لا تتخذ فى بيوتنا هذه الكذب التى تتخذ الأعاجم نفاقها ونكرها ، إنما كنا نذهب^(٣) فى فصح المدينة ، وإنما كان النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح بنت أبى رُم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها خالة أبى بكر الصديق ، فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مِرْطَها فقالت : تيس مسطح . قلت : تيس لعمرك ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً . قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ؟ قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذى كان من قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان .

فوالله ما قدرْتُ على أن أقضى حاجتى ورجعت ، فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيمدع كبدى . وقلت لأمى : يغفر الله لك ما تحدثت

(١) ابن هشام والطبرى : فى شكوى تلك .

(٢) ابن هشام والطبرى : فى نفسى .

(٣) الطبرى : نخرج .

الأناس بما تحدثوا به ولا تذكرين من ذلك شيئاً؟ قالت : أرى بنيت خففى عليك الشأن ، فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى . قالت : وكان كبير^(١) ذلك عند عبد الله بن أبى فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحمدة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن من نسائه امرأة تناصبني^(٢) فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فمصمها الله بدبها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حمدة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادنى^(٣) لأختها ، فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير يا رسول الله إن يكونوا من الأوس فكفيكمهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم . فقام سعد بن عبادة فقال : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا .

(١) الكبير : الإثم الكبير . ومعظم الشيء .

(٢) تناصبى : تساوى . من النساء وهى المساواة . وهذه الرواية هى الأصح كما قال

السبيل فى الروض . وتروى : تناصبى .

(٣) الطبرى : تضارنى .

فقال أسيد : كذبت لعمر الله ولسكنك منافق تجادل عن المنافقين . قالت :
وتناور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحقيين من الأوس والخزرج شر .
ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا علي بن أبي طالب وأسامة
ابن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأننى خيراً ثم قال : يا رسول الله أهلك
ولا نعلم منهم ^(١) إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل . وأما علي فقال :
يا رسول الله إن النساء لكثير وإنك لتقدر أن تستخلف ^(٢) وسل الجارية
فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بـريرة ليسألها ، فقام إليها
علي فضربها ضرباً شديداً ويقول ^(٣) : اصدقني رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب علي عائشة شيئاً إلا أني
كنت أجهن مجيبي فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي للشاة فتأكله .

قالت : ثم دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبواي
وعندي امرأة من الأنصار فأنا أبكي وهي تبكي معي ، فجلس فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال : يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول للناس ، فاتقي الله
وإن كنت عارفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبني إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن
عباده . قالت : فوالله إن هو إلا أن قال لي ذلك فقلص ^(٤) دمي حتى ما أحس
منه شيئاً . وانتظرتُ أبوي أن يجييا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلموا .

قالت : وأيم الله لآنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأننا من أن ينزل الله
في قرآننا يقرأ به في المسجد ويصلي به ، ولسكني كنت أرجو أن يرى رسول الله

(١) الطبري : ولا نعلم عليهن إلا خيراً .

(٢) ابن هشام والطبري : لقادر على أن تستخلف .

(٣) الطبري : وهو يقول .

(٤) قلص : ارتفع .

صلى الله عليه وسلم في مدامه شيئاً يكذب الله به عني لما يعلم من براءتي أو يخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل في فوائده لنفسه كانت أحقر عندي من ذلك .

قالت : فلما لم أر أبوي يتكلمان قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه . قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام . قالت : فلما استمعتهما على استمبزت فبكيت ثم قلت : والله لا أنوب إلى الله بما ذكرت أبداً ، والله إنني لأعلم لأن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن ، وإنني أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوني ، ثم التفت اسم يعقوب فاذا كره فقلت : والكني سأقول^(١) كما قال أبو يوسف : « نصبر جليل والله المستعان على ما تصفون » .

قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بثوبه ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت ولا باليت ، قد عرفت أني بريئة وأن الله غير ظالمي ، وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت أني خرجت أنفسهما فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس . ثم سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وإنه ليتحدّر منه مثل الجمان وفي يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول : « أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك » . قلت : بحمد الله^(٢) .

(١) الطبري : والكني أقول .

(٢) الطبري : بحمد الله وذمكم .

ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ثم أمر بمسطح بن أثانة وخمعة بنت جحش وحسان بن ثابت ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حنكم .

قالت : فلما نزل القرآن ذكر من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك فقال : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم إكل امرئ منهم ما اكتسب من الإنثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم^(١) » قيل إنه حسان بن ثابت وأصحابه ويقال : عبد الله بن أبي وأصحابه .

ثم قال : « أولاً إذ سمعتموه ظن المؤمن والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين » أى هلا قلتم إذ سمعتموه كما قال أبو أيوب الأنصاري وصاحبه أم أيوب ، وذلك أنها قالت لزوجها : يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى وذلك للكذب ، أ كمت يا أم أيوب فاعلمته ؟ قالت : لا والله ما كمت فاعلمته . قال : فعائشة والله خير منك .

ثم قال تعالى : « إذ تلقونه بالسنة لكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم » .

فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لما قال قال أبو بكر رحمه الله ، وكان ينفق على مسطح اقربائه وساجته : والله لا أنفق على مسطح أبداً ولا أنفقه بفتح أبداً بعد الذي قال لعائشة وأدخل علينا . قالت : فأنزل الله

في ذلك « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤثوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعنفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » قالت : فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي . فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

* * *

وذكر ابن إسحق أن حسان بن ثابت مع ما كان منه في صفوان بن المطلب من القول السيء قال مع ذلك شعرا يعرض فيه بصفوان ومن ألم من مُضِر يقول فيه :

أَمْسَى الْجَلَايِبُ قَدْ عَزَّوْا وَقَدْ كَثُرُوا

وَابْنُ الْقُرَيْمَةِ أَمْسَى بَيِّنَةُ الْبَلَدِ^(١)

فلما بلغ ذلك ابن المطلب اعترض حسان بن ثابت فضربه بالسيف ثم قال :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب عند ذلك ثابت بن قيس بن شماس على صفوان لجمع يديه إلى عنقه بحبل ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبيد الله بن رَوَاحَةَ فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبتك ضرب حسان بالسيف ؟ والله ما أراه إلا قد قتله . فقال له ابن رَوَاحَةَ : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال لا والله . قال : لقد اجتأأت ، أطلق الرجل . فأطلقه .

ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان فقال صفوان : يا رسول الله آذاني وهجاني فاحتملني للغضب

(١) أم ابن هشام والطبري ذكر أبيات حسان انظر ابن هشام ٣٠٤/٣ . والطبري ١٥٢٦ ط أوروبا .

فضربته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : يا حسان أنشوت على قومي أن هدام الله للإسلام ؟ ثم قال : أحسن يا حسان في الذي أصابك . قال : هي لك . فأعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضاً منها بئرحاء^(١) ماء كان لأبي طلحة بالمدينة فتصدق به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضعه حيث شاء فأعطاء حسان في ضربته ، وأعطاء « سيرين » أمة قبطية ولدت له ابنة عبد الرحمن .

وقد روى من وجوه أن إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه سيرين إنما كان لذبة بلسانه عن النبي صلى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم . وكانت عائشة رحمها الله تقول : لقد سئل عن ابن المعتل فوجدوه حصوراً لا يأني النساء ثم قتل بعد ذلك شهيداً .

وقال بعد ذلك حسان يمدح عائشة رضي الله عنها ويعتذر من الذي كان

في شأنها :

حَصَان رَزَان مَا تَزُنْ بَرِيَّةِ	وتصبح فرثي من لحوم الغوافل ^(٢)
عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لُؤْمَى بْنِ غَالِبِ	كرام المساعي تجدم غير زائل ^(٣)
مَهْدَبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ جَنِبَهَا	وطهرها من كل سوء وباطل
فَإِنْ كِدْتَ قَدْ قَلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ	فلا رفعت سوطي إلى أنامل
وَكَيْفَ وَوَدَّيْ مَا حَيَّيْتُ وَنُصِرْتِي	لآل رسول الله زين المحافل
لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى الدَّاسِ كُلِّهِمْ	تقاصر عنه سورة المتطاول
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَا تُطِ	ولسكنه قول امرئ بني ماحل ^(٤)

(١) حاء اسم رجل أضيفت إليه البئر . وفي ابن هشام : وهي قصر بني حديلة اليوم بالمدينة .

(٢) الحصان : العفيفة . والرزان : الوقورة . وتزن : تنهم . والفرثي : الجماعة ، أي تمسك لسانها عن الأعراس .

(٣) ط : غير ذابل .

(٤) لائط : لاسق . والماحل : الواشي .

وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وصاحبيه في فريتهم على عائشة رضي الله عنها :

أقد ذاق حسانُ الذي كان أهله وخنة إذ قالوا هجيرا ومسطح^(١)
تعاطوا أبرجهم الغيب زوج نبيهم

وسخطه ذى العرش الكريم فأنرحوا^(٢)

وآذوا رسول الله فيها فجللوا غازی تبقى عموها وفضحوا
وصبت عليهم مخصدات كأنها شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح^(٣)

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر الحافظ أن قوماً أنكروا أن يكون حسان خاض في الإفك أو جلد فيه ، ورووا عن عائشة رحمها الله أنها برأتها من ذلك ثم ذكر عن الزبير بن بكار وغيره أن عائشة كانت في الطواف مع أم حكيم بنت خالد بن العاص وابنة عبد الله بن أبي ربيعة ، فذاكرن حسان فابتدريته بالسب فقالت لهما عائشة : ابن الربيعة تسبان ؟ إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه ، أليس القائل :

هجوت محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذلك الجزاء

فإن أبي ووالده وعرضي عرض محمداً منكم وفاء

فقالتا لها : أليس من لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت :

لم يقل شيئاً ، ولكنه القائل :

حسان رزان ما تزن بريهة وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

فإن كان ما قد قيل عني قلته فلا رفعت سوطي إلى أنامل

(١) الهجير : الفاحش من القول .

(٢) أنرحوا : أحزنوا ، من الرح .

(٣) المخصدات : الشياطين الشديدة الفتل . والشآبيب : جمع شؤبوب وهي الدفلة من

الطر . والمزن : السحاب .

غزوة الحديبية

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة من سنة ست معتمراً لا يريد حرباً ، واستقفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا^(١) ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت .

فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربته ، وليعلم أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

حتى إذا كان بفسفان لقيه بُسر^(٢) بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم للمؤذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدّموها إلى كراع النعميم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرّين وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ؛ فأتظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثنى الله به حتى يُظهره الله أو تظهره هذه السالفة^(٣) » .

ثم قال : من رجل يخرج بدا على غير طريقهم ؟ فقال رجل من أسلم : أنا

(١) الطبري : الذي صنعوا به .

(٢) ويقال له بشر . كما في ابن هشام ٣٠٩/٣

(٣) السالفة : سفحة العنق ، وهي كناية عن الموت .

فسلّك بهم طريقاً وعرّاً أجْرَل^(١) بين الشَّعَاب ، فلما خرجوا منه وقد شق عليهم وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها للَّحِطَّة التي عُرِضَتْ على بنى إسرائيل فلم يقبلوها .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات البين بين ظهري الخضم في طريق تخرج على ثنية المزار ، مهبط الحديبية من أسفل مكة . فسلّك الجيش ذلك الطريق فلما رأَتْ خيلُ قريش قَتْرَةَ^(٢) الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركنوا راجعين إلى قريش .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلّك في ثنية المزار بركت ناقته ، فقال الناس : خلّأت^(٣) . فقال : ما خلّأت وما هو لها بخلاق ولكن حبسها حابس الغيل عن مكة ، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطبة يسألون^(٤) فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ثم قال للناس : انزلوا قيل يا رسول الله ما بال وادى ماء نزل عليه . فأخرج صلى الله عليه وسلم سهماً من كنفاته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل في قليب من تلك القُلُب ففرزه في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناسُ عقه بمطن^(٥) .

[رسل قريش]

فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بدّل بن ورفاء في رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذي جاء به ، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً لا بيت

(١) الأجرل : الصلب الغليظ . وى الطبرى : وعرجون .

(٢) القتر : النبار .

(٣) خلّأت : حرت وبركت من غير علة .

(٤) ابن هشام والطبرى : يسألونى .

(٥) ضرب الناس بمطن : أناخوا حول الماء بعد السقي .

ومعظم الحرمته ، ثم قال لهم محمداً لما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : إنكم تمنجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت . فاتهمهم وجبههم وقالوا : إن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تحدث بذلك عنا العرب . ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص ابن الأخيف أخا بني عامر بن لؤي ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : هذا رجل غادر . فلما انتهى إليه وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً عما قال لبديل وأصحابه . فرجع إلى قريش فأخبرهم . ثم بعثوا إليه الحليث بن علقمة أو ابن زبآن ، أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وكان يومئذ سيد الأحابيش ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألمون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ؛ فقال لهم ذلك فقالوا له : اجلس . فإنما أنت أعرجي لا علم لك : فغضب الحليث عند ذلك وقال : يا معشر القوم والله ما على هذا حالناكم وما على هذا عاقدناكم ، أبصدت عن بيت الله من جاء معظماً له ؟ والذي نفس الحليث بيده لتدخلن بين محمد وبين ما جاء له أولاً نفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . فقالوا له : كف عنا يا حليث حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي فقال : يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفت^(١) أنكم والد وأنى ولد ، وكان أسبغة بنت عبد شمس ، وقد سمعت بالهدى نابسكم فجئت من أطاعني من قومي ثم

(١) ابن هشام : ولد عرقم .

جئتكم حتى آسيتمكم بنفسى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد أجمعت أوثاب الناس ثم جئت إلى بيضتك لتفضها بهم؟ إنما قریش قد خرجت معها العوذ المطافيل^(١) قد لبسوا جلود النور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وأيم الله لأكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك . فردّ عليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال : أنحن نكشف عنه؟ ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، فجعل يقرع يده إذا فعل ذلك ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك . فيقول عروة : ويحك ما أفظك وأغلظك . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : من هذا يا محمد؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . قال : أى غدّر هل غسّلت^(٢) سوائك إلا بالأمس يريد أن المغيرة كان قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلاً من ثقيف فتهاجج الحبيّان من ثقيف بنو مالك رهط المقتولين والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية وأصاح ذلك الأمر .

وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بنحو مما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، فقام من عنده وقد رأى ما يصنع به أصحابه ،

(١) العوذ المطافيل : النوق ذوات اللبن معها أولادها ، وهى كناية عن النساء معها الاستئصال .

(٢) ابن هشام : وهل غسّلت .

لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يمسق بـصافاً إلا ابتدروه^(١) ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذه ، فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في مُلْسه وقيصر في مُلْسه والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ! ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيء أبداً فرّوا رايكم .

[بعث الرسول إلى قريش]

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي فحمّله على بعيره وبعثه إلى قريش ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فمقروا به الجل وأرادوا قتله فنهته الأحابيش ، فخلّوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعث قريش أربعين رجلاً أو خمسين وأمرهم أن يُعطِفُوا بمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا أخذاً ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلّى سبيلهم .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدى ابن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغاظتني عليها ، واسكني أدلك على رجل أعز بها مني : عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت للحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته ؛

(١) تحمل هذه الرواية على المبالغة في الحب والإجلال والتوقير ، ولكنها لا تتفق مع ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من وضاعة وظهر وتنزه .

فخرج عثمان إلى مكة فلقية أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره .

وقال له فيما ذكره غير ابن إسحق :

أقبل وأدبر ولا تخف أحداً بنو سعيد أعزة الحرَم

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا له حين فرغ : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قُتل فقال حين بلغه ذلك : لا تنبح حتى نهاجز للقوم .

[بيعة الرضوان]

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم على الموت . وكان جابر يقول : بايعنا على ألا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجدة بن قيس لصق بإبط فاقتته يستتر بها من الناس .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي كان من أمر عثمان باطل . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال : هذه يد عثمان .

[الصالح]

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو وقالوا : إيت عمدا فصالحه ولا يكون في

صلحه إلا أن يرجع عنا طامه هذا ، فوالله لا نحدث عنا للعرب أنه دخلها علينا عَنوة أبدا .

فأتى سهيل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا إلينا هذا الرجل .

فلما انتهى إليه سهيل تكلم فأطال الكلام وتراجعا ، ثم جرى بينهم الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر الزم غَرَزَهُ ^(١) فإني أشهد أنه رسول الله قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أأنت برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره فيضيعني ^(٢) » فكان عمر يقول فإزالت أنصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أنه يكون خيرا .

(١) الغرز : ركاب من جلد توضع فيه الرجل ، أي اتبع أمره ولا تخالفه .

(٢) كذا بالأصل . وفي ابن هشام والطبري : وان يضيعني .

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : لا أعرف هذا ولكن اكتب : باسمك اللهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم . فكتبها ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو . اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أنى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً بمن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيدنا عتية مكفوفة ^(١) وأنه لا إسلال ولا إعلال ^(٢) وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه » .

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم .

« وأنت ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقت فيها ثلاثاً معك سلاح الركب : السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها » .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب للكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن عمرو يرأس في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) البية : موضع السر . ومكفوفة : مطوية .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلal : الخيانة .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوا ما رأوا من الصالح والرجوع وما يحمل^(١) عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل الناس من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادوا يهلكون .

فلما رأى سهيل^٢ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلابيبه ثم قال يا محمد قد لجأت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت . فجعل يفتّره بتلابيبه ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أريد إلى المشركين بفتنوني في ديني ؟ فزاد الناس ذلك إلى ما بهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك وللمؤمن معك من المسلمين فرجاً ونجراً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطيناهم عهداً ، وإنا لا نقدرهم . »

فوثب عمر^٣ بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دمٌ أحدم دمٌ كلب ! — ويذني قائمٌ لل سيف منه — يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فضنّ الرجل بأبيه ونفذت القضية .

فلما فرغ من الكتاب أشهد رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين ، أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص وهو مشرك

(١) الطبري وابن هشام : وما تحمل .

وهي بن أبي طالب وهو كان كاتب الصحيفة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطرباً^(١) في الحل وكان يصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام إلى هذبه فبحره ثم جلس فخلق رأسه وأهدى عامثاً في هداياه بجمال أبي جهل في رأسه بُرة من فضة ليغيظ بذلك المشركين . فلما رآه الناس قد نحر وحلق توثبوا ينحرون ويحلقون ، وكان فيهم يومئذ من قصر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله الخلقين . قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله الخلقين . قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله الخلقين . قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : والمقصرين . فقالوا يا رسول الله ، فلم ظهرت الترحيم المعلقين دون للمقصرين ؟ قال لم يشكوا .

[سورة الفتح]

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . لينفرك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً » .

ثم ذكر القصة فيه وفي أصحابه ، حتى إذا انتهى إلى ذكر البيعة فقال : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » . ثم ذكر من تخلف عنهم من الأعراب فاستوفى قصتهم ثم قال : « لقد رضى

(١) مضطرباً : أى أطم خيامه و الحل .

اللهُ عن المؤمنين إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ، وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَمَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا « ثُمَّ قَالَ : « وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا » يَعْنِي الَّذِينَ وَجَّهَتْ قُرَيْشُ بِهِمْ لِيَصْحَبُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا فَلَمْ يَبَالُوا شَيْئًا وَأَخَذُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَمَلَتِهِمْ وَسَيَقُوا إِلَيْهِ نَخْلًا سَبِيلَهُمْ .

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ : « إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ » يَعْنِي سَهِيلُ بْنُ عَمْرِو حِينَ تَحِيَّ أَنْ يَكْتُبَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا » أَيْ لِلتَّوْحِيدِ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

ثُمَّ قَالَ : « لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا » أَيْ لَرُّؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي رَأَى أَنَّهُ سَيَدْخُلُ مَكَّةَ آمِنًا لَا يَخَافُ . وَقَدْ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ : أَلَمْ تَقُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ تَدْخُلُ مَكَّةَ آمِنًا ؟ قَالَ :

جلى ، فقلت من عامى هذا ؟ قالوا : لا قال فهو كما قال لى جبريل . فحقق له سبحانه من موعده ما أبجزه له بعد وصدقه بقوله جل قوله « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحِلِّينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ » معه « فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجِئَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا » صلح الحديبية .

بقول الزهري : لما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت المدينة ووضعت الحرب وأمن الناس [كلهم ^(١)] بعضهم بعضاً والتفوا فتفارضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام بعقل شيئاً إلا دخل فيه ، فلقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر ^(٢) .

قال ابن هشام : والدليل على ما قال الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف .

وذكر ابن عثمة أنه لما كان صلح الحديبية قال رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا بفتح ، لقد صُدِّدْنَا عن البيت وصُدَّ هَدَبُنَا . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أولئك فقال : ليس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتوح ، قد رضى المشركون أن يدفعوك جراح ^(٣) من بلادهم ويسألوك القضية ويرغبوا إليكم في الأمان ، وقد رأوا

(١) ليست في ابن هشام . (٢) ابن هشام : أو أكثر .

(٣) الجراح : الأكف . أي بدلا من السلاح .

ممنكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين ، فهو أعظم
الفتوح ، أنذسون يومَ أحدٍ إذ تُضَمِّدون ولا تَلَوْن على أحدٍ وأنا
أدعوكم في أخراكم ١١

انسيتم يومَ الأحزابٍ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ
زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ؟ فقال المسلمون :
صدق الله ورسوله فهو أعظم الفتوح ، والله ما فسكرنا فيما فسكرت فيه
ولأنت أعلم بالله وأمره منا .

وفي الصحيح من حديث سهل بن حنيف أنه قال يومَ صفين : يا أيها
الناس اثموا رأيكم على دينكم ، فلقد رأيتموني يومَ أبي جندل ولو استطع
أن أرد أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته والله ورسوله أعلم^(١) .

وخرَّج البخاري من حديث البراء بن عازب قال : تعدون أنتم
الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان
يومَ الحديبية ، مكنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة
والحديبية بئر ، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا ياناء من ماء فتوضأ ثم مضمض
ودعا ثم صبه فيها فتركها غير بعيد ، ثم إنهما أصدرتنا ما شئنا
نحن وركابنا^(٢) .

وعن سالم ابن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال : عطش الناس

(١) صحيح البخاري ٤/٢١٥ .

(٢) صحيح البخاري ٣/٣٥٠ .

يومَ الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل للناسُ نحوه فقالوا : يا رسول الله ليس عندنا ماء فتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك . قال : فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال الميون . قال : فشربنا وتوضأنا فقلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة^(١) .

وذكر ابن عُبَيْدَةَ عن ابن عباس قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية كلمه بعض أصحابه فقالوا : جهدنا في الناس ظمراً فابخره لنا فلنا كل من لحومه واندّه من شعومه وانحذِر من جلوده . فقال عمر : لا تفعل يا رسول الله فإن للناس إن يسكن فيهم بقية ظهر أمثل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابسطوا أنظاعكم وعباءكم ففعلوا [ثم قال : من كان عنده بقية من زاد وطعام فليشره ، ودعالم^(٢)] ثم قال لهم : قربوا أوعيتكم . فأخذوا ما شاموا^(٣) .

[أمر أبي بصير]

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يعني من الحديبية أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية^(٤) ، وكان ممن حُبِسَ بمكة ، فكتب فيه أزهر بن عبد هوف والأخنس بن شريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا رجلاً من بني هاجر بن لؤي ومعه مول

(١) صحيح البخارى ٣/٣٥ . (٢) من الحمائم الكبرى ١/٣٨ .

(٣) الحمائم : ما شاء الله . (٤) ط : ابن حارثة .

لحم ، ففدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسكتاب فقال صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الخدر ، وإن الله جاعل لك وإن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا » .

فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه أصحابه ، فقال أبو بصير . أصارم سيفك هذا يا أخا بني هاشم ؟ فقال : نعم . قال : أنظر إليه [قال] إن شئت فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله .

وذكر ابن عقبة أن الرجل هو الذي سل سيفه ثم هزّه فقال : لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل ، فقال له أبو بصير : وصارم سيفك هذا ؟ فقال : نعم فقال ناولنيه أنظر إليه فناوله إياه ، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد . قال : ويقال بل تناول أبو بصير سيف الرجل بفيه وهو قائم فقطع بإساره ثم ضربه به حتى برد ، وطلب الآخر ، فجمز^(١) مرعوباً مستخفياً حتى دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيه يطئن^(٢) الحصباء من شدة سعيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه : لقد رأى هذا ذُعراً . قال ابن إسحق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحك مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي .

فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف فقال : يا رسول الله ، وقت ذمتك وأدى الله إليك ، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بدينى أن

(١) جز : أسرع .

(٢) يطن : يطير .

أُفْتِنَ فِيهِ أَوْ يُعْبَثُ بِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَيْلَهُ ^(١) يَحْشَحْشُ ^(٢) »
حَرْبٌ لَوْ كَانَ مَعَهُ رَجَالٌ أَوْ

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَصِيرٍ حَتَّى نَزَلَ الْعِيسَى مِنْ نَاحِيَةِ الْمَرْوَةِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ
بِطَرِيقِ قَرِيشَ الَّتِي كَانُوا بِأَخْذُونَ إِلَى الشَّامِ ، وَبَلَغَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا
أَحْتَبَسُوا بِمَكَّةَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَصِيرٍ : « وَيْلَهُ يَحْشَحْشُ »
حَرْبٌ لَوْ كَانَ مَعَهُ رَجَالٌ « فَخَرَجُوا إِلَى أَبِي بَصِيرٍ بِالْعِيسَى ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ قَرِيبٌ
مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ .

وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ أَنَّ أَبَا جَنْدَلٍ بْنَ سَهْمٍ بَنَ عَمْرٍو الَّذِي رُدَّ عَلَى قَرِيشَ
مُسَكَّرَهَا يَوْمَ الْقَضِيَّةِ هُوَ الَّذِي انْقَلَبَتْ فِي سَبْعِينَ رَأْسًا أَسْلَمُوا وَهَاجَرُوا فَلَحَقُوا
بِأَبِي بَصِيرٍ وَكَرِهُوا النَّوَاءَ بَيْنَ أَظْهَرِ قَوْمِهِمْ ، فَنَزَلُوا مَعَ أَبِي بَصِيرٍ فِي مَنْزِلٍ
كَرِيهِهِ إِلَى قَرِيشَ فَقَطَعُوا مَادَّتَهُمْ مِنْ طَرِيقِ الشَّامِ . قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَصِيرٍ زَعَمُوا
وَهُوَ فِي مَكَانِهِ ذَلِكَ بِصَلَى لِأَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ أَبُو جَنْدَلٍ كَانَ
هُوَ بِؤَمَّتِهِمْ .

وَاجْتَمَعَ إِلَى أَبِي جَنْدَلٍ نَاسٌ مِنْ غِفَارٍ وَأَسْلَمَ وَجُمُيْنَةٍ وَطَوَائِفٌ مِنَ الْعَرَبِ
حَتَّى بَلَغُوا ثَلَاثِمِائَةَ مَقَاتِلٍ وَهُمْ مُسْلِمُونَ ، فَأَقَامُوا مَعَ أَبِي جَنْدَلٍ وَأَبِي بَصِيرٍ ،
لَا يَمُرُّ بِهِمْ عَيْرٌ أَقْرِيشَ إِلَّا أَحْذَوْهَا وَقَتَلُوا أَصْحَابَهَا . وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو جَنْدَلٍ
فِيمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ ابْنِ عُقْبَةَ :

(١) وَيْلَهُ : وَيْلَ أُمِّهِ . وَهِيَ هُنَا كَلِمَةٌ مَدْحٌ

(٢) حَشْشَ حَرْبٌ : مَوْقِدَهَا وَمَسَرَّهَا . وَتُرْوَى : مَسَرَّ حَرْبٌ .

أبلغ قريشاً عن أبي جندل أنا بذى المروة بالساحل
في معشر نَحْفَقُ أيمانهم بالبيض فيها واللقفا الدابل
بأنون أن يبقى لهم رقة من بعد إسلامهم للواصل
أو يجعل الله لهم تخرجاً والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه أو يقتل المرء ولم يأنل

فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب
يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي بصير وإلى أبي جندل بن سهيل
ومن معهم فيقدموا عليه وقالوا : من خرج منا إليك فأمسكه في غير حرج فإن
هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره .

فلما كان ذلك من أمرهم علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يبعث أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم خيرٌ فيما أحبوا وفيما كرهوا ، وإن رأيه أفضل من رأيهم ومن رأى
من ظن أن له قوة ورأياً ، وعلم أن ما خص الله به نبيه من اللعن والكرامة
أفضل .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي جندل وأبي بصير بأمرهم
أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم ولا يعرضوا لأحد من قريش
وعيراتها ، فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زعموا ، على أبي جندل
وأبي بصير وأبو بصير يموت ، فأتى وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
يده يقرئه . فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً .

وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم معه أناس من أصحابه

ورجع سائرهم إلى أهلهم وأمت عيرات قريش .

فلم يزل أبو جندل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد ما أدرك من المشاهد بعد ذلك وشهد الفتح ، ورجع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل معه بالمدينة حتى توفي صلوات الله عليه وسلامه وقدم أبوه سهيل بن عمرو بالمدينة أول إمارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسكن بها شهراً ثم خرج مجاهداً إلى الشام وخرج معه ابنه أبو جندل فلم يزل مجاهدين حتى ماتا جميعاً هناك برحمة الله .

[المهاجرات بعد الحديبية]

وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المدة أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط ، فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها عليهما بالعمد الذى بيده وبين قريش في الحديبية ، فلم يفعل ، أى الله ذلك وأنزل فيه على رسوله « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنعوهن الله أعلم بإيمنهم ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لأن حل لهن ولاهن يَحْمِلُونَ لهن ، وآتوهن ما أنفقوا ، ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتوهن أجورهن ، ولا تملكوا بعضكم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وإسألوا ما أنفقوا ، ذلكم حكم الله بحكم بينكم والله عليم حكيم ^(١) » .

(١) سورة المتحنة ١٠ .

غزوة خيبر

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من الحديبية مكث بها
ذا الحجة مُنسلخ ستة ست ، وبعض الحرم من ستة سبع .

ثم خرج في بقية منه إلى خيبر غارياً .

وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية بقوله عز من قائل : « وعدكم الله مغنم
كثيرة تأخذونها فغنيلاً لكم هذه » بمعنى بالمعجل صلح الحديبية ، والمغنم
للوعود بها فتح خيبر .

فخرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مستعجلاً ميماد ربه وواثقاً
بكفايته ونصره ، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب وكانت بيضاء ، فسلك
علي عصر^(١) فبنى له فيها مسجداً ، ثم على الصهباء . ثم أقبل بجيشه حتى نزل
به بواد يقال له الرّجيس فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدّوا
أهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر
أن غطفان لما سمعت بمذله من خيبر جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه حتى
إذا ساروا منقلة^(٢) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسّاً ظنوا أن القوم قد
خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخيبر .

قال أبو معتب بن عمرو : لما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا . ثم قال : « اللهم رب السموات السبع وما

(١) عصر : جبل بين المدينة ووادي الفرع .

(٢) المنقلة : الرحلة من الطريق .

أظْلان ورب الأرضين السبع وما أفلّان ورب الشياطين وما أضْلان ورب الرياح وما أذْرَبَنَ فإنّا نسألك خيرَ هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرّها وشر أهلها وشر ما فيها » ثم قال : « أقدموا بسم الله » قال : وكان يقولها لكل قرية دخلها .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عزا قوماً لم يُعْرَ عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خير ليلاً فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً فركب وركبنا معه ، فركبت خلف أبي طائفة وإن قدمي لتمسّ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقبلنا عمال خير غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكانلهم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمد والخميس معه . فأدبروا هرباً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر خربت خير ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المفْذَرين » .

قال ابن إسحق : وتدنى^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ويفتحها حصداً حصداً ، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قُتل محمود بن مسْلَمَة ألقيت عليه رحيّ منهُ فقلته ، ثم القموص حصن أبي الحقيق^(٢) وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم

(١) تدنى : جعل يأخذ الأدنى بالأدنى .

(٢) الطبرى : حصن ابن أبي الحقيق . وابن هشام : حصن بن أبي الحقيق .

سبايا منهن صفية بنت حَيٍّ بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق وبنى عم لها ، فاصطفى صفية لنفسه بعد أن سأله إياها دحية الكلبي ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها ، وكان بلال هو الذي جاء بصفية وبأخرى معها فرّ بهما على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأهم التي مع صفية صاحت وصكّت وجهها وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أغربوا عنى هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزتُ خلقه وألقى عليها رداؤه ، فمرف المسلمون أنه قد اصطفاها لنفسه فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : « أزعّت منك الرحمة يا بلال حين تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما ١٩ » .

وكانت صفية قد رأت في المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قرأ وقع في حجيرها ، فمرضت رؤياها على زوجها فقال : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً ! فلطم وجهها لطمه خضر عيناها منها . فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه فسألها ما هو فأخبرته الخبر .

ولما أعرض بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر أو ببعض الطريق وبات بها في قبة له ، بات أبو أيوب الأنصاري متوشحاً بالسيف يحرسه ويطيف بالقبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وكانت حديثة عهد بكفر

فخففتها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني » .

وأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بى الضرير فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه ، فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود فقال : إنى رأيت كنانة بطيف بهذه الخبرة كلَّ خداة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة : أرايت إن وجدناه عندك أقتلك ؟ قال : نعم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كدزم ثم سأله ما بقى فأبى أن يريه ، فأمر به الزبير بن العوام فقال : عذَّبه حتى تستأصل ما عنده . فسكان الزبير يقدح بزند فى صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود ابن مسلمة .

[تحريم الحر الأهلية]

وفشت للسبايا من خيبر فى المسلمين وأكل المسلمون لحومَ الحر من حمىها .

قال ابن عتبة : كانت أرضا وخيمة شديدة الجهد ، فجهد المسلمون جهداً شديداً وأصابتهم مَسْغَبَةٌ شديدة فوجدوا أحمرَةً إنسية ليهود لم يكونوا أدخلوها الحصن فافتحروها ، ثم وجدوا فى أنفسهم من ذلك ، فذكروها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن أكلها .

قال أبو سليط فيما ذكر ابن إسحق : أتانا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الحمر الإنسية والقذور تفور بها فكفأناها على وجوهها .

وذكر أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يومئذ في الناس فنهاهم عن أمور سماها لهم ، قال مكحول : نهاهم يومئذ عن أربع : إتيان الحبالى من النساء^(١) ، وعن أكل الحمار الأهل ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغنم حتى تقسم .

وحدث جابر بن عبد الله ولم يشهد خيبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل . وافتتح رؤبّع بن ثابت قرية من قرى المغرب يقال لها جربة^(٢) فقام خطيبا فقال : يا أيها الناس إني لا أقول لكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يوم خيبر ، قام فينا فقال :

« لا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من النسب حتى يستبرئها ، ولا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مئنا حتى يقسم ، ولا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فئ المسلمين حتى إذا أجهفها ردّها فيه ، ولا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فئ المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه » .

(١) أى من السبايا قبل استئرائهن بالوضع .

(٢) جربة : جزيرة بالمغرب من ناحية طاب .

وقال عبادة بن الصامت : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر أن نبيع أو نبتاع نبر الذهب بالذهب العَيْن ، ونبر الفضة بالورق العين ، وقال : « ابتاعوا نبر الذهب بالورق العين ، ونبر الفضة بالذهب العين » .

ولما أصاب المسلمين بخيبر ما أصابهم من الجهد أنى بدو سئهم من أسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : يا رسول الله لقد جُهِدْنَا وما بأيدينا من شيء . فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يعطيهم إياه فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غداء وأكثرها طعاماً ووداً . ففداهم للغاسُ وفتح الله عليهم حصن الصُّمْب بن معاذ ، وما بخيبر كان أكثر طعاماً ووداً كما منه .

[المبارزة]

ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنهم « الوطيح » و « السَّلام » وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتحا ، فعاصرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضلع هشة ليلة ، وخرج مَرْحَب اليهودي من حصنهم قد جمع سلاحه وهو ينادى : من يبارز ويرتجز :

فد علمت خيبر ألى مَرْحَبُ شاكى السلاح بطل مجرَّبُ
أطعنُ أحياناً وحيماً أضربُ إذا الليوث أقبلت تمجربُ
إنَّ حَيَّى للحمى لا بقربُ

فأجابه كعب بن مالك فقال :

قد علمتُ خبيراً نى كعبُ مفرجُ الغمِّ جرى صُلبُ
حين تشبَّ الحربُ ثم الحربُ ممي حُسامٌ كالتعقيق عَضْبُ
نطوؤكم حتى يذلَّ الصعْبُ نعطى الجزاء أو يفاء للنهبُ
بكفَّ ماضٍ ليس فيه عَثْبُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا
له يا رسول الله ، أنا والله الموتور اللئيم قتل أخى بالأمس . قال : فقم إليه اللهم
أعنه عليه . فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمرية^(٣) من
شجر العُشر^(٤) فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه
بسيفه مادونه منها حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل
للقاتم ما فيها فنن ، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فاتقاء بدرقته فوق سيفه
فيها فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

ثم خرج بعد مَرَّحِب أخوه ياسر وهو يقول : من يبارز ؟ فخرج إليه
الزبير بن العوام ، فيما ذكر هشام بن عروة ، فقالت أمه صفية بنت عبد
المطلب : يقتل ابني يا رسول الله ؟ قال : بل ابدك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير
فالتقيا فقتله الزبير .

(١) ابن هشام : إذ شبت الحرب نلتها الحرب .

(٢) ابن هشام : أو ينيء النهب . وما هنا أدق .

(٣) عمرية : قديمة معمرة .

(٤) العُشر : شعر فيه حراق لم يقتدح الناس في أجود منه .

[هلى - يحمل الراية]

وحدث سلمة بن عمرو بن الأكوع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفراار » فدعا هلى بن أبى طالب رضى الله عنه وهو أرمد فتقل فى عينه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك . فخرج وهو يهرول بها هرولاً ولما خلفه تتبع أثره ، حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا هلى بن أبى طالب . قال اليهودى : علونم وما أنزل على موسى . أو كما قال . فارجع حتى يفتح الله على يديه .

وقال أبو رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرجنا مع هلى رضى الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده ، فتناول هلى بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نفر من سبعة ثامنهم نجهد هلى أن تقلب ذلك الباب فما تقلبه .

وحدث أبو اليسر كعب بن عمرو قال : إننا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعيم ذات عشيبة إذ أقبلت غم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . من رحل يُطعمنا من هذه الغنم ؟ فقال أبو اليسر : أنا يا رسول الله : قال : فافعل قال : فخرجت أشتد مثل الظالم ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مولئياً قال : اللهم أمقئها

(١) قال ابن كثير : وفى هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر . السيرة ٣٥٩/٣ .

به ! قال : فأدركتُ اللغمُ وقد دخلتُ أولاما الحصن فأخذتُ شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدي ثم أقبلت بهما أشد كانه ليس معي شيء حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبجوها فأكلوهما . فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتاً ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال : أمتعوا بني لعمرى حتى كنت من آخرهم !

[استسلام يهود]

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنهم « الوطيح » و « السَّلام » حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ففعل . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها الشق ونظاة والكتيبة ؛ وجميع حصونهم إلا ما كان من ذبك الحصنين ، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل .

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف ، وقالوا نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فينا بين المسلمين . وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

[سم اليهودية]

فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث

امراة سلام بن مشكم شاة مصلية^(١) . وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إليه ؟ فقيل لها الذراع . فأكثرت فيه من السم . ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغمة فلم يُسغها ومعه بشر ابن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال : إن هذا العظيم ليخبرنى أنه مسموم . ثم دعا بها فاعترفت فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت : إن كان ما سكا استرحت منه ؛ وإن كان نبياً فيخبر . فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومات بشر بن البراء من أكله التي أكل .

وذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول السكتف من تلك الشاة فانتهمش منها وتناول بشر عظما فانتهمش منه ؛ فلما استرط^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمته اشترط بشر ما في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرنى أى نعيم فيها . فقال بشر بن البراء : والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت فما مدعى أن ألفظها إلا أنى أعظمت أن أنفصك طعامك ، فلما أسفنت ما في فيك لم أكن أرغب بنفسى عن نفسك ، ورجوت أن لا تسكون استرطتها وفيها نعيم .

فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه مثل العلياسان وماطله وجهه حتى كان لا يتحول إلا ما حوّل .

(١) مصلية • مشوية .

(٢) استرط : ابتلع .

قال جابر بن عبد الله : واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ على الكاهل ، حجه أبو طيبة مولى بنى بياضة . وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذى توفى منه فدخلت عليه أم بشر بنت البراء بن معرور تَعُودُهُ فَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَقَالَ لَهَا : يَا أُمُّ بَشْرَ إِنَّ هَذَا لَأَوَانٌ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرَى مِنَ الْأَكَاةِ الَّتِي أَكَلْتُ مَعَ ابْنِكَ بِخَيْبَرَ .

قال : فَإِنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَيَرُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ شَهِيدًا مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّبَوَّةِ .

[غزوة وادى القرى]

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القرى فحاصره أهله ليالى ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

قال أبو هريرة : لما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادى القرى نزلهاها أصلاً^(١) مع مغرب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام أهداه له رفاعة بن زيد الجُدَامِيُّ ثُمَّ الضَّبِّيُّ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَضَعُ رَحْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَنَاءَ سَمُهُمْ غَرْبَ فَأَصَابَهُ فَقَتَلَهُ ، فَقُلْنَا : هَيْبَتُكَ لَهُ الْجَنَّةُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ شَمَلْتُهُ الْآنَ لَتُحْرَقَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ كَانَ غَلَمًا مِنْ قَوْمِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ خَيْبَرَ . فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ

(١) ابن هشام : أصيلا .

صلى الله عليه وسلم فأتاه فقال له : يا رسول الله أصيبتُ شراكين لفعلمين
لى . فقال : يُقَدَّرُ لك مثلهما من النار .

وخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه
قال لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم
فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد حتى مرّوا على رجل فقالوا : فلان
شهيد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا إني رأيته فى الدار فى
برّدة غلّها أو عباءة . ثم قال : يا بن الخطاب اذهب فهاذ فى الدّاس
إنه لا يدخل الجنة إلا للمؤمنون . قال : فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل
الجنة إلا المؤمنون^(١) .

[خروج النساء]

وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسائا من نساء المسلمات
فرضخ لمن عليه السلام من الفء ولم يضرب لمن بهم . حدثت بنت
[أبى] الصلت^(٢) عن امرأة غفّارية سمّتها قالت : أتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى نسوة من بنى غفار وهو يسير إلى خيبر فقلنا :
يا رسول الله قد أردنا الخروج معك إلى وجهك هذا فنداوى الجرحى
ونعين المسلمين بما استطعنا . فقال : على بركة الله . قالت : فخرجنا معه

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم / ١٨٢

(٢) هى أمية بنت قيس بن أبى الصلت الغفارية ، مختلف فى حديثها . أسد الغابة
٤٠٥/هـ وقد روى خبرها هذا الواقدي وأبو داود فى سننه وابن كثير فى سيرته .
وفى ابن هشام (ط الحلبى) : أمية بن أبى الصلت ، بحرفة .

فلما افتتح خيبر رَضَحَ لنا من اللقيء وأخذ هذه القلادة التي تربى في عنقي
فأعطانيها وعلّقها بيده في عنقي ، فوالله لا تفارقتني أبدا . قالت : فكانت
في عنقها حتى ماتت ثم أوصت أن تُدفن معها .

[الشهداء]

واستشهد بخیبر من المسلمين نحو من عشرين رجلا منهم عامر بن
الأَكوع عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ؛ وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد قال له في مسيره إلى خيبر : انزل يا ابن الأكوع فخذ لنا
من هَنَاتِكَ^(١) ا فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قومٌ بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سَكِينَةً علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله . فقال عمر بن
الخطاب : وجبت والله يا رسول الله لو أمتعتنا به ا فقتل يوم خيبر شهيدا ،
وكان قَتْلُهُ أن سيفه رجع عاياه وهو يقاتل فكلمه كلما شديدا فأت مبه ،
فكان المسلمون قد شكّوا فيه وقالوا : إنما قتله سلاحه ، حتى سأل ابنُ
أخيه سلمة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأخبره بقول الناس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيد وصلى عليه . فصلى
عليه المسلمون .

(١) هَنَاتِكَ : أشمارك أو أحاديثك .

ومنهم الأسود الراعى من أهل خيبر ، وكان من حديثه أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم كان فيها أجيرا لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله اعرض على الإسلام فمرضه عليه فأسلم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَحْقِرُ أحداً أن يدعوهُ إلى الإسلام ويمرضه عليه ، فلما أسلم قال : يا رسول الله إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم وهى أمانة عندي فكيف أصنع بها ؟ قال اضرب وجوهها فإنها سترجع إلى ربها . أو كما قال . فقام الأسود فأخذ حفنة من الحصباء فرمى بها فى وجوهها وقال : ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصحبك . وخرجت^(١) مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم الأسود إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله ، وما صلى الله صلاة قط ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع خلفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا : يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زوجتيه من الحور العين ا

وذكر ابن إسحق عن عبيد الله بن أبى نعيم أن الشهيد إذا ما أصيب نزلت زوجته من الحور العين عليه بفضان التراب عن وجهه ويقولان : ترّب الله وجه من ترّبك وقتل من قتلك .

[أمر الحجاج بن علاط]

قل : ولما افتتحت خيبر كأم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج بن

(١) ابن هشام : تخرجت .

عِلَاطُ السُّلَمَى ثُمَّ اللَّيْهَزَى فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي بِمَكَّةَ مَالًا عِنْدَ صَاحِبِهَا
أُمِّ شَيْبَةَ بِنْتِ أَبِي طَلْحَةَ وَمَالًا مَتَفَرِّقًا فِي تِجَارِ أَهْلِ مَكَّةَ فَأُذِنَ لِي يَا رَسُولَ
اللَّهِ . فَأُذِنَ لَهُ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَدُّ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَنْ أَقُولَ .^(١)
قَالَ : قُلْ .

قَالَ الْحِجَاجُ : نَخْرَجْتُ حَتَّى إِذَا قَدِمْتُ مَكَّةَ وَجَدْتُ بِثَنِيَّةِ الْبَيْضَاءِ
رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ يَتَسَمَّوْنَ الْأَخْبَارَ وَيَسْأَلُونَ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ بَلَغَهُمْ أَنَّهُ سَارَ إِلَى خَيْبَرَ وَعَرَفُوا أَنَّهَا قَرْيَةُ الْحِجَازِ رِيفًا
وَمِنَةً وَرِجَالًا ، فَهُمْ يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ وَيَسْأَلُونَ الرِّكْبَانَ ، فَلَمَّا رَأَوْنِي وَلَمْ
يَكُونُوا عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَالُوا : الْحِجَاجُ بْنُ عَلَاطٍ ؟ عِنْدَهُ وَاللَّهِ الْخَبَرُ ،
أَخْبَرْنَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ الْقَاطِعَ سَارَ إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ بِلَادُ يَهُودَ
وَرِيفِ الْحِجَازِ . قُلْتُ : قَدْ بَلَغَنِي ذَلِكَ وَعِنْدِي مِنَ الْخَبَرِ مَا يَسُرُّكُمْ .
قَالَ : فَالْتَبَطُوا^(٢) بِحَبْنِي نَاقَتِي يَقُولُونَ : لِأَبِيهِ يَا حِجَاجُ ؟ قُلْتُ : هُزِمَ هَزِيمَةً لَمْ
يَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا قَطُّ وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ قَتْلًا لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ قَطُّ وَأَمَرَ مُحَمَّدٌ أَسْرَاءَهُ
وَقَالُوا : لَا نَقْتُلُهُ حَتَّى نَبْعِثَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَيَقْتُلُونَهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ بَيْنَ كَانِ أَصَابَ
مِنْ رِجَالِهِمْ . قَالَ : فَقَامُوا وَصَاحُوا بِمَكَّةَ وَقَالُوا : قَدْ جَاءَكُمْ الْخَبَرُ وَهَذَا
مُحَمَّدٌ إِنَّمَا تَنْظُرُونَ أَنْ يُقَدَّمَ بِهِ عَلَيْكُمْ فَيَقْتُلُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ .

قَالَ : فَقُلْتُ أَعْيِدُونِي عَلَى جَمْعِ مَالِي بِمَكَّةَ عَلَى غَرْمَائِي فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ

(١) أَقُولُ : أَيْ احْتَالَ عَلَيْهِمْ بِكَلَامٍ لَا أَعْتَقِدُهُ .

(٢) الْبَطَلُوا : مَشَوْا بِجَانِبِهَا .

أقدم خيبر فأصيب به من أهل^(١) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني للتجار إلى ما هنالك . فقاموا فجمعوا إلى مالي كأحش جمع سمعت به وجئت صاحبتى فقلت : مالي . وقد كان لي عندها مال موضوع لعلى الحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار .

قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال : يا حجاج ما هذا الذى جئت به ؟ قلت : وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم . قلت : فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء فإني في جمع مالي كما ترى فأنصرف عني حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت الخروج لقيتُ العباس فقلت : احفظ على حديثي يا أبا الفضل ، فإني أخشى العطب ثلاثاً ثم قل ماشئت . قال : أفعل . قلت : فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملسكهم يعني صفية بنت حيي ، ولقد افتتح خيبر وانتثل^(٢) ما فيها وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ؟ قلت : إني والله فاكتم عني ولقد أسلمتُ وما جئت إلا لأخذ مالي فرقا من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما نحب .

قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس للعباس حلة له وأخذ عصاه

(١) كذا بالأصل ، وروى الطبري وابن هشام : من فل محمد وأصحابه . وما هنا أوضح .
والفيل : الجيش للنهزم .

(٢) انتثل : استخرج .

ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف به فلما رآوه قالوا : يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحرّ المصيبة ! قال : كلاً والله الذي حلقتم به لقد افتتح محمد خيرَ وترك عروساً على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه . قالوا : ما جاءك^(١) بهذا الخبر ، قال : الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ ماله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه . قالوا : يالَ عباد الله ! انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن . ولم ينشئوا أن جاءهم الخبر بذلك .

وقال كعب بن مالك الأنصاري في يوم خيبر :

ونحن وردنا خيبراً وفروضة

بكل فتى عارى الأشاجع مذبذب^(٢)

جواد لدى الغايات لاواهق القوى

جرى على الأعداء في كل مشهد

عظيم رماد القدر في كل شتوة

ضروب بنصل المشرق الهيد

برى القتل مذحاً إن أصاب شهادة

من الله برجوها وفوزاً بأحمد

(١) ابن هشام والطبري : من جاءك .

(٢) الفروض : مواضع القرب من الأنهار ، والأشاجع : عروق ظهر الكف .
والذبذوب : المحاي والمدايح .

يُذود ويحمى عن ذِمَارِ مُحَمَّدٍ
وَيَذْفَعُ عَنْهُ بِاللَّسَانِ وَبِالْيَدِ
وَبِالنَّصْرِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيه
يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ

وذكر ابن عثمة أن بني فزارة قدِموا على أهل خيبر في أول أمرهم
ليعيّنوهم فرأسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعينوهم وأن يخرجوا
عنهم على أن يعطيهم من خيبر شيئاً سماه لهم ، فأبوا عليه وقالوا : جبرائنا
وحلفائنا . فلما فتح الله خيبر أتاه من كان هنالك من بني فزارة فقالوا :
الذي وعدتنا ؟ فقال : لكم ذو الرقبة ، لجبل من جبال خيبر . قالوا :
إذن نقاتلك قال : موعدكم جَرْفَاء^(١) . فلما سمعوا ذلك من رسول الله
خرجوا هاربين .

[تقسيم الغنائم]

قال ابن إسحق : وكانت القاسم على أموال خيبر على الشَّقِّ ونَطَاة
والكُتَيْبَةِ ، وكانت الشَّقِّ ونَطَاة في سَهْمَانِ الْمُسْلِمِينَ ، وكانت الكُتَيْبَةُ
خمس الله وسَهْمُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى والمساكين^(٢)
وطُئِمَ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وطعم رجال مشوا بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين أهل فدك بالصلح .

(١) جرفاء : قال في معجم البلدان : ويوم جرفاء من أيام العرب ، وأعله موضع .

(٢) زاد الطبري : وابن السبيل .

وَقُسِّمَتْ خَيْبِرُ عَلَى أَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ شَهِدِ خَيْبَرَ وَمَنْ غَابَ عَنْهَا ، وَلَمْ يَغِبْ عَنْهَا إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ ، فَتَقَسَّمْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسْبَهُمْ مِنْ حَضَرِهَا . وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمَانَ الْخَيْلِ وَالرَّجَالَ ، فَجَعَلَ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ وَلِلْفَارَسِ سَهْمًا وَلِلرَّجُلِ سَهْمًا ، فَجَرَتْ الْمَقَاسِمُ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ ، وَيَوْمَئِذٍ عَرَّبَ الْعَرَبِيُّ مِنَ الْخَيْلِ وَهَجَّجَ الْمَجْعِينَ .

[قَدُومُ لِلْمَاجِرِينَ إِلَى الْحَبْشَةِ]

وَذَكَرَ ابْنُ عَقْبَةَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ نَفَرٌ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ فِيهِمْ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ قَدِمُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ مَهَاجِرَةِ الْحَبْشَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ فَمَضَوْا إِلَيْهِ وَفِيهِمْ أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ وَالْعَظِيمِيُّ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ ذَا النُّورِ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَنَفَرٌ مِنْ دَوْسٍ فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَاهُ الْحَقُّ أَنْ لَا يَخِيبَ مَسِيرَهُمْ وَلَا يَبْطُلَ سَفَرُهُمْ فَشَرَكَهُمْ فِي مَقَاسِمِ خَيْبَرَ وَسَأَلَ أَصْحَابَهُ ذَلِكَ فَطَابُوا بِهِ نَفْسًا .

وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ عَقْبَةَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي هَؤُلَاءِ الْقَادِمِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ مِنْ أَرْضِ الْحَبْشَةِ وَهُوَ أَوْلَهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ ، وَمَا مِثْلُ جَعْفَرَ يَتَخَطَّى ذَكَرَهُ ، وَمَنْ الْبَعِيدُ أَنْ يَغِيبَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَقْبَةَ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَعْنَاهِ .

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَعَثَ مَرْوَةَ بْنَ أُمَيَّةَ الضُّمَرِيَّ إِلَى الْبَجَاشِيِّ فِيمَنْ كَانَ أَقَامَ بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ لِحَمْلِهِمْ فِي سَفِينَتَيْنِ فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَيْهِ وَهُوَ بِخَيْبَرَ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَذَكَرَ جَعْفَرَ أَوْلَهُمْ وَذَكَرَ مَعَهُ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا قَدِمُوا فِي السَّفِينَتَيْنِ مَعَهُ .

وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ جَعْفَرَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم يوم فتح خيبر فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين عينيه والتزمه وقال : ما أدري بأيتهما أسر أفتفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟

ولما جرت القاسم في أموال خيبر اتسع فيها المسلمون ووجدوا بها مرفأ لم يكونوا وجدوه قبل ، حتى اقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فيما خرج له البخارى في صحيحه : ما شبهنا حتى فتحننا خيبر .

[اليهود في خيبر]

وأقر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر في أموالهم يعملون فيها المسلمين على النصف مما يخرج منها كما تقدم

قال ابن إسحق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصاً بين المسلمين وبين يهود فيخرص عليهم فإذا قالوا تمدت علينا . قال : إن شئتم فلكم وإن شئتم فلنا . فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض !

وإنما خرص عليهم عبد الله عاماً واحداً ثم أصيب بثؤنة برحه الله فكان جبار بن صخر أخو بني سلمة هو الذى يخرص عليهم بعده .

فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم حتى هدوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل أخى بنى حارثة فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه وكتب إليهم أن يدوه أو يأذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده وأقرهم على ما سبق من معاملته إياهم .

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرهم أبو بكر الصديق على مثل ذلك حتى توفى ، ثم أقرهم عمر صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال في وجهه الذي قبضه الله فيه : « لا يجتمعن بحزيرة للعرب دينان » . ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه التثبت فأرسل إلى يهود فقال إن الله قد أذن في جلائكم ، قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجتمعن بحزيرة العرب دينان » فن كان عهده عهد من رسول الله فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عهده عهد من رسول الله فليتهجرز للجللاء . فأجلى عمر منهم من لم يكن عهده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عبد الله بن عمر : خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتماهدا ، فلما قدمنا تفرقنا في أموال فُعْدَى عَلَى نَحْتِ اللَّيْلِ ففُدِعتْ يَدَايِ مِنْ مِرْفَقِي فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اسْتَصْرَخَ عَلَيَّ صَاحِبَايَ فَأَتَانِي فَأَصْلَحَا مِنْ يَدَيَّ ؛ ثُمَّ قَدَمَا بِي عَلَى عَمْرِ فَقَالَ : هَذَا عَمَلُ يَهُودٍ ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خُطْبِيَا فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَامِلَ يَهُودٍ خَيْرَ عَلَى أَنَا نَخْرِجُهُمْ إِذَا شِئْنَا وَقَدْ عَدَّوْا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ فَفَدَّعُوا يَدَيْهِ كَمَا بَلَغَكُمْ مَعَ عَدُوَّتِهِمْ عَلَى الْأَنْصَارِ قَبْلَهُ لَا نَشْكُ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ لَيْسَ لَنَا هَذَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ فَن كَانَ لَهُ مَالٌ بِخَيْبَرٍ فَلْيَلْحَقْ بِهِ فَإِنِّي تُخْرِجُ يَهُودَ . فَأَخْرَجَهُمْ .

ولما أخرج عمر رضى الله عنه يهود خيبر ركب في المهاجرين والأنصار وخرج معه بجبار بن صخر وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم ويزيد بن ثابت فهما قسما خيبر على أصحاب السهمان التي كانت عليها وذلك أن الشق والنظاة اللتين هما سهم المسلمين قسمت في الأصل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثمانية عشر سهماً : نظاة من ذلك خمسة والشق ثلاثة عشر سهماً ؛ ثم قسم كل قسم من هذه الثمانية عشر سهماً إلى مائة سهم لكل رجل سهم ولكل فرس سهمان ؛ وكانت عدة الذين قسمت عليهم ألف رجل وأربع مائة رجل ومائتي فرس فذلك ألف سهم وثمان مائة سهم .

(١) قدعت يداه : اعوججت مفاصلها ، كأنها قد زالت عن مواضعها .

عمرة القضاء

وهي غزوة الأمن

قال ابن إسحاق : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير إلى المدينة أقام بها شهرى ربيع وما بعده إلى شوال ، يبعث فيما بين ذلك سراياه .

ثم خرج في ذى القعدة في الشهر الذى صدر فيه المشركون معتمرا عمرة القضاء فكان عمرته التي صدر عنها ، وخرج معه المسلمون ممن كان صدر معه في عمرته تلك ، وهي سنة سبع . فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه .

قال ابن عثبة : وتغيب رجال من أشرافهم خرجوا إلى بوادى مكة كراهية أنه ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيظا وحقنا ونفاة وحسدا .

وتحدثت قريش بينها فيما ذكر ابن إسحاق : أن محمدا وأصحابه في عشرة وجهد وشدة فصعدوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال : « رحم الله امرأ أراهم لليوم من نفسه قوة » ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا وراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى مشى حتى يستلم الركن الأود ، ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم حتى جمع حجة الوداع فلزمها فضت للسنة بها .

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في تلك العمرة وعبد الله بن ربيعة يرتجز بين يديه: ^(١)

خَلُّوا بَنَ الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكَلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ أَعْرِفَ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ ^(٢)

[زواج الرسول بميمونة بنت الحارث]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث ابن حزن الهلالية ، فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب وكانت أختها أم الفضل بنت الحارث ، وقيل جعلت أمرها إلى أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس فزوجه للعباس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عده أربعمائة درهم .

وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسكه ، وأقام بمكة ثلاث ليال ، وكان ذلك أجل للفضية يوم الحديبية . فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليوم الرابع أنه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى . [في نفر من قريش] ^(٣) ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حويطب : نناشدك الله والعهد إلا خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث . فقال سعد : كذبت لا أم لك إنها ليست بأرضك ولا أرض أبيك

(١) الطبري وابن هشام : وعبد الله به ربيعة أخذ بخطام ناقته وهو يقول .

(٢) اختصر المؤلف هذا الرجز وهو بتمامه في ابن هشام ١٣/٤ والطبري ١٥٥٩ ط أوربا .

(٣) من ابن هشام والطبري .

والله لا يخرج إلا راضياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك : يا سمعذ لا تؤذ قومك زارونا في رحالنا . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتموني فأعرضتُ بين أظهركم وصدعنا لكم طعاماً فحضرتموه ؟ قالوا : لا حاجة بنا لطعامك فأخرج هذا .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع مولاه فأذن بالرحيل ، وخلفه أبا رافع على ميمونة حتى أتاه بها بسرف وقد أقيمت ومن معها عداً وأذى من سفهاء المشركين وصبيانهم ، فبني بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف^(١) ثم أدبج فسار حتى قدم المدينة . ثم كان من قضاء الله سبحانه أن ماتت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فتوفيت حيث بنى بها .

قال موسى بن عقبة : وذكر أن الله تعالى أنزل في تلك العمرة : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص^(٢) » .

وذكر ابن هشام أنها يقال لها « عمرة القصاص » لأنهم صدّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقص منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدّوه فيه من سنة سبع .

(١) سرف : موضع قرب التنعيم .

(٢) سورة البقرة ١٩٤ .

غزوة مؤتة من أرض الشام

ولما صدّر رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرة القضاء إلى المدينة أقام بها نحواً من ستة أشهر ثم بعث إلى الشام في جمادى الأولى من سنة ثمان بعثة الذين أصيبوا بمؤتة واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة .

فتجهز الناس ثم تهيأوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودّع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما ودّع عبد الله بن رواحة بكى فقال : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : والله ما لي حب الدنيا ولا صيابة بكم ، ولكنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها الغار « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ^(١) » فليست أدري كيف لي بالصدّر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : محبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربة ذات فرغ تقذف الزبد ^(٢)
أو طعنة يبدى حرّان ^(٣) بجرّبة تنفذ الأحشاء والكبد ^(٣)
حتى يقال إذا مروا على جدّتي ما أرشد الله من غازٍ وقد رشداً ^(٤)

(١) سورة مريم ٧١ .

(٢) ذات فرغ : ذات سعة

(٣) الحران : الشديد .

(٤) ابن هشام : أرشده الله . والطبري : أرشدك الله . وفي شرح اللوالب :
يا أرشد الله .

ثم إن القوم تهيأوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودّعه ثم قال :

أنت للرسول فن يُحرم نوائله والوجه منه فقد أزرى به القدرُ
فثبت الله ما آتاك من حسن في المرسلين ونصراً كالذي نصرُوا
إني تفرّست فيك الخير نافلة فراسة خالفت فيك الذي نظروا
يعني المشركين .

ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم ، حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على امرئ ودّعته في النخل خير مشيع وحليل
وحدث زيد بن أرقم قال : كنت يقياً لعبد الله بن رواحة في حجره ،
فخرج بي في سفره ذلك مردي على حقيبة راحله ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته ينشد أبياته هذه :

إذا أدنيتني وملت راحلي مسيرة أربع بعد الحساء^(١)
فشأناك فانمى^(٢) وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهل ورائي
وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتهي الثواء^(٣)
وردك كل ذي رحم قريب إلى الرحمن منقطع الرجاء^(٤)

(١) الحساء : سهل من الأرض يستنقع فيه الماء أو عاظ فوقه رمل يجمع ماء المطر .

(٢) ابن هشام والطبري وابن كثير : فشأناك أنعم ولا أرجع : مجزوم على الدعاء .

(٣) مشتهي الثواء : لا يريد رجوعاً . وقد روى : مستهي الثواء . قال السهيلي :

وهو مستعمل من النهاية والانتها ، أي حيث انتهى الثواء .

(٤) ابن هشام والطبري وابن كثير : منقطع الإخاء .

هناك لا أبالي طلع بعل ولا نخل أسافلها رواء^(١)
فلما سمعتهن بكيتُ نفقتي بالدرة وقال : وما عليك يا كعم أن يرزقني
الله الشهادة وترجع بين شعبي الرّحل ١٢

ثم مضى القوم حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ للناس أن هرقل
قد نزل مأب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليه^(٢) من
نظم وجذام والقيين^(٣) وبهراء وبلي مائة ألف منهم .

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا :
نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بمدد عدونا فإما أن يمدّنا
بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فامضى له . فشجع الناس عبدُ الله بن رواحة
فقال : يا قوم والله إن الذي تكرهون لذي خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما
نقاتل الناس بمدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا
الله به فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسينيين إما ظهور وإما شهادة . فقال الناس
صدق والله ابن رواحة . فمضى الناس وقال عبد الله في مجلسهم ذلك :

جلبنا الخليل من أجأ وفرع نفرّ من الحشيش لها للمكوم^(٤)

(١) البعل : ما يشرب بهروقه من الأرض . ورواء بكسر الهمزة صفة لنخل .

(٢) ابن هشام : وانضم اليهم .

(٣) الطبري : وبلقين .

(٤) أجأ : أحد جبلي طيء والآخر سلمى . وفرع : أطول جبل بأحأ وأوسطه .

وتر : تطعم وتشبع . والرواية عند السهلي : نقر . بالقاف . وقال : نقر أى يجمع بعضها
إلى بعض . والمكوم : جمع عكم وهو والجانب .

حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَانِ سَبَقَا
 أَزَلْ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ^(١)
 أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مُعَانِ
 فَأَعْقَبَ بَعْدَ فَتْنَتِهَا جُحُومُ^(٢)
 فَرُحْنَاهَا وَالْجِيَادُ مَسْوَمَاتُ
 تَفَنَسَ فِي مَسَاخِرِهَا السَّمُومُ
 فَلَا وَابِي مَأْبَ لَهَا تَيْنُهُمَا
 وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
 فَمَيَّانَا أَعْنَتَهَا فُجَاءَاتُ
 عَوَابِسَ وَالْفُجَارُ لَهَا بَرِيمُ^(٣)
 بَذَى اجْبَبَ كَانَ اللَّيْظُ فِيهِ
 إِذَا بَرَزَتْ قَوَائِسُهَا النَّجُومُ^(٤)
 فَرَاغِيَّةَ الْمَيْشَةِ طَلَّقَتْهَا
 اسْتَفْنَا فَتَكْجَحُ أَوْ تَنْثِيمُ^(٥)

* * *

(١) حَذَوْنَاهَا : جملنا لها نعلًا من حديد . والصَّوَان : حجارة ملس . والسبت : النعال التي تصنع من الجلود المدبوغة . والأزل : الأملس . والأديم : الجلد .

(٢) معان : موضع بالهام . والفتنة : السكون والضعف والجحوم : اجتماع القوة .

(٣) الريم : كل ما فيه لونان مختلفان . والدمع المختلط بالأثمد .

(٤) اللجب : اختلاط الأصوات من كثرة الجيش . والقوائس : جمع قوس وهو أعلى بيضة الحديد .

(٥) راضية الميثة : السيف اللينة المطمئنة . تنثم : تبقى دون زوج . يريد أنهم قد تجاوزوا عن الدعة والراحة .

ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف . ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها . فتعجب لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له قطبة بن قنادة وعلى مبسرته رجلا من الأنصار يقال له عباية بن ملك ويقال عبادة . ثم التقى الناس فاقتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألجم القتال اقتحم عن فرس له شقراء . قال أحد بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة : والله لكانى أنظر إليه حين اقتحم عنها ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قُتل وهو يقول :

يا هذا الجدة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها على إن لاقيتها خيرأبها^(١)

وكان جعفر أول من عقر في الإسلام فرسه .

ولما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال :

أقسمت يا نفس اتنزلقه اتنزلان^(٢) أو لتكرهه
إن أجلب الناس وشدوا للرنة^(٣)

مالي أرك تكريهين الجفنة

(١) قال ابن كثير : هذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبي إسحق ولم يذكر

الشعر . السيرة ٣ / ٤٦١ .

(٢) الطبرى : طائفة أو لتكرهه

(٣) الرنة : الصوت . النطقة : الماء القليل الصاق والشنه القرية القديمة .

قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنة
وقال أيضا :

يا نفسُ إلا تقتلى تموتى هذا جِئامُ الموتِ قد صليتِ
وما تمنيتِ فقد أعطيتِ إن تفعلِ فِعْلَهُما هُدَيْتِ

يعنى صاحبيه زيدا وجعفرًا . ثم نزل فأناه ابنُ عم له يبرق من
لحم فقال شدَّ بهذا ضلُوك فإياك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت .
فأخذه من يده فانتبس^(١) معه نهيةً ثم سمع الخطأ^(٢) في ناحية القاس
فقال : وأنت في الدنيا ا ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فقتلهم فقاتل
حتى قتل .

ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني العجلان فقال : يا معشر
المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال ما أنا بفاعل
فاصطلح القوم على خالد بن الوليد . فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى
هم^(٣) ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخذ الراية
زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى
قتل شهيدا ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه

(١) انتبس : أخذ منه بعمه يسيرا .

(٢) الخطئة : النزال والمضاربة . وقال أبو ذر : الخطئة : الكسرة .

(٣) خاشى هم : حذر بينهم وبين الروم .

الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما بكرهون
ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا . ثم قال :
لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير
عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت : عم هذا ؟
فقال لي : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى .

وذكر ابن هشام أن جعفرا أخذ اللواء يمينه ففطمت ، فأخذه بشماله
فقطعت ، فاحتضنه بمضديه حتى قُتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه
الله بذلك جناحين يطير بهما حيث شاء .

ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ فقطعه نصفين .

وذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بالمدينة لما
أصيبوا ، قبل أن يأتيه نعيمهم : مر علي جعفر بن أبي طالب في اللائكة
يطير كما يطيرون له جناحان . قال : وقدم بعلي بن أمية على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك . قال : فأخبرني يا رسول الله
فأخبره صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ووصفه له فقال : والذي بعثك
بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره ، وإن أمرهم لكما
ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله رفع لي الأرض حتى
رأيت معتركم .

وحدثت أسماء بنت عميس امرأة جعفر قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ابني بني جعفر . وقد كانت

غسلتهم ودهنتهم ونظفتهم . قالت فأنيته بهم فشمهم وذرفت عيها فقالت :
يا رسول الله بأبي أنت ما يبكيك ؟ أباغاك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال :
« نعم أصيبوا هذا اليوم » . قالت : فقامت أصيح واجتمع إلى النساء . وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال : لا تغفلوا آل جعفر من أن
تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم .

وقالت عائشة رضي الله عنها : لما أتى نبي جعفر عرفوا في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحزن .

[رجوع الجبش]

ولما انصرف خالد قافلاً بالناس ودنوا من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون ، ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوا ابن جعفر .
فأتى بعبد الله بن جعفر فأخذه لحمله بين يديه وجعل الناس يمتحنون على
الجبش للتراب ويقولون : يا فرار فررت في سبيل الله فيقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « ليسوا بالفرار والسكنهم الكفر إن شاء الله » .

وقالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لامرأة سلمة بن هشام بن
المغيرة : مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس : يا فرار فررت
في سبيل الله ! حتى قعد في بيته فما يخرج .

وقد قال فيما كان من أمر للناس وأمر خالد ونخاشاته بالناس وانصرفه

بهم — قيسُ بن المسحَر اليعمرى يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فوالله لا تنفك نفسي تلومني على موقفى والخيلُ قابعة قبلُ
وقفت بها لا مستجيزاً^(١) فنافذاً ولا ما نعا من كان حُمَّه القتلُ
على أنى آسيتُ نفسي بخالد ألا خالدُ فى القوم ليس له مثلُ
وجاشت إلى النفس من نحو جعفر بمؤنة إذ لا ينفع العا بل النبلُ
وخصم إليها حُجَزَتَيْهِمْ^(٢) كليهما مهاجرة لا مشركون ولا عزُلُ

فبين قيس فى شعره ما اختلف الناس فيه من ذلك : أن القوم حاجزوا
وكرهوا الموت وحقق انحياز خالد بن معاوية .

[ما قيل من الشعر فى مؤنة]

وكان مما بُكى به أصحاب مؤنة قولُ حسان بن ثابت :

تأويني^(٣) ليلٌ بين رب أعسرُ وهم إذا ما هوتم الناسُ مُسَرِّرُ
لـ كرى حبيبٍ هيَّجت لى عبرةٌ سفوحاً وأسبابُ البكاء التذكرُ
بلى إن فقدان الحبيب بليّةٌ وكم من كريم يُبتلى ثم يصبرُ
رأيتُ خيار المؤمنين تواردوا شعوبٌ وخلفاء بعدهم يتأخر^(٤)
فلا يُبعدن الله قَتلى تباعدوا^(٥) جبهة وأسبابُ المنية تحطُرُ

(١) ابن هشام : لا مستجيرا . ومستجيزا : متجيزا إلى طائفة .

(٢) حُجَزَتَيْهِمْ : جانبيهم .

(٣) تأويني : عاودنى وطال على .

(٤) شعوب : علم على اللبنة . والرواية فى ديوان حسان :

شعوب وقد خلفت فيمن يؤخر

(٥) ابن هشام : تابخوا

غداة مضوا بالمؤمنين بقودهم إلى الموت ميسون للنفية أزهرو
 أغر كضوء للبدر من آل هاشم أبى إذا سيم للظلامه يجسر^(١)
 فطاعن حتى مال غير موصد بمعترك فيه قنا متكسر
 فصار مع المستشهدين ثوابه جنان وملفت الحداثق أخضر
 وكنا نرى في جعفر من محمد وفاء وأمرأ حازماً حين بأمر
 وما زال في الإسلام من أهل هاشم دعائم عز لا يزأن ومفخر
 ثم جبل الإسلام والناس حولهم رضام إلى طود بروق وبقر^(٢)
 بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخير
 وحزة والعباس منهم ومنهم عقيق وماء العود من حيث بمصر
 ثم تفرج اللاواء في كل مأزق

عمايس إذا ما ضاق بالناس مصد^(٣)

هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم وفيهم دا الكتاب المطهر

* * *

وقال كعب بن مالك في ذلك :

نام الميرون ودمع عيناك بهمل سحاً كما وكف الطباب الخضل^(٤)
 في ليلة وردت على همومها طوراً أحن وتارة أنامل
 واعتادني حزن فبت كأنى بينات نمش والسماك مؤكل^(٥)

(١) ابن هشام : مجسر .

(٢) الرضام : المجارة النراكة . والطود : الجبل .

(٣) اللاواء : الشدة والأس . والعباس : الأمر لا يقام له ولا يمتدى لوجهه .

(٤) الطباب : السحاب جمع طبابة . والخضل : الكثير ماؤه .

(٥) بنات نمش السكرى : سبعة كواكب : أربعة منها نفس وثلاث بنات . وكذا الصغرى . والسماك الأعزل والرامع : نجمان .

وكانما بين الجوانح والحشا ما تأوَّبنى شهابٌ مُدْخَلُ
 وجدّا على النِّقَرِ الذين تَتَابَعُوا يوماً بمؤنة أَسْفَدُوا لم يُنْقَلُوا
 صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمامُ المسيلُ
 صَدَّروا بمؤنة للإله نفوسهم حذر الرَّدَى ومخافة أن يَفْكَلُوا
 فضوا أمام المسلمين كأنهم فَنُقِّ عليهم الحديدُ المرْقَلُ^(١)
 إذ يهتدون بحميرٍ ولوائه قَدَّامُ أولم ففعم الأولُ
 حتى تفرَّجت الصفوفُ وجمعت حيث التقى وَعَث الصفوفُ مجدلُ^(٢)
 فتغيَّر القمرُ المنيرُ لفقده والشمس قد كسفت وكادت تَأْفِلُ^(٣)
 قرَّمت علاً بفيائه من هاشم فرَّعاً أشمَّ وسودداً ما يُنْقَلُ^(٤)
 قومٌ بهم عصم الإله عباده وعليهم نزل الكتابُ المنزلُ
 فضلوا الماشر عرةً وتكرُّماً وتعمَّدت أحلامهم من يَجْهَلُ
 لا يُطْلِقون إلى السفاه حَبَّامُ ويرى خطيئهم بحقَّ يَفْصِلُ
 يبيض الوجوه ترى بطوناً كفههم تنذى إذا اعتذر الزمانُ المحِلُ
 ويهدئهم رضى الإله تخلقه ويجدِّهم يُصِرُّ النبيُّ المرسلُ

وقال حسان بن ثابت يبكي جعفرًا :

ولقد بكيتُ وعَزَّ مَهْلَكُ جعفر حَبَّ النبيِّ على البرية كلها

(١) الفئق : جمع فئيق وهو العجل المكروم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .
 والمرقل : السابغ .

(٢) الوعث : العسر والمشقة .

(٣) تَأْفِلُ : تغرب .

(٤) الغرم : السيد .

واقْدِجِرِ عَتُوقَاتِ حِينَ نُعِيَتْ لِي مِنْ لَجَلَا دَلَدَى الْعَقَابِ ^(١) وَظَلَمَا
بِالْبَيْضِ حِينَ نُسَلَّ مِنْ أَعْمَادِهَا ضَرْبًا وَإِسْهَالِ الرَّمَاكِ وَعَلَمَا ^(٢)
بَدَا ابْنُ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ حَمْفَرٍ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كَلَمَا وَأَجَلَمَا
رُزْمًا وَأَكْرَمَهَا جَمِيعًا تَحْتَدَا وَأَعْرَضَهَا مَتَظَلَمًا وَأَدَلَمَا
لِلْحَقِّ حِينَ بَنُوبٍ غَيْرِ تَفَحَّلٍ مَكْدَبًا وَأَنْدَاهَا بَدَا وَأَفْلَمَا
فُحْشًا وَأَكْثَرَهَا إِذَا مَا يُجْتَدَى فَضْلًا وَأَنْدَاهَا ^(٣) يَدَا وَأَبْلَمَا
بِالْمَرْفِ غَيْرِ عَمْدٍ لَا مِثْلَهُ سَخَى مِنْ أَحْيَاءِ الْبَرِيَّةِ كُلَّمَا

* * *

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع عن غزوة مؤتة :

كفى حَزَابًا أَلَى رَجَعْتِ وَجَعْفَرُ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَرَمَسُ أَقْبَرِ
قَضَوْا نَجْمَهُمْ لَمَّا مَضَوْا إِسْيِلَهُمْ وَخَلَقَتْ لِلْبَسَلَى مَعَ الْمُتَنَبِّرِ

واستشهد يوم مؤتة من المسلمين سوى الأمراء الثلاثة رضى الله عنهم
من قریش ثم من بنى عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة . ومن
بنى مالك بن حنبل : وهب بن سعد بن أبى سرح . ومن الأنصار : عباد
ابن قيس من بنى الحارث بن الخزرج والحارث بن إساف من بنى غنم بن
مالك بن النجار وسُرَاقَةُ بن عمرو بن عطية بن خنساء من بنى مازن بن
النجار ، وأبو كَلَيْبٍ ويقال أبو كلاب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن
مبذول وهما لأب وأم . وعمرو وهامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد من بنى مالك
ابن أفضى . وهؤلاء الأربعة عن ابن هشام .

(١) العقاب : اسم راية الرسول صلى الله عليه وسلم

(٢) إسهال الرماح : سقيها من دماء الأعداء . وعلمها : سقيها مرة بعد مرة .

(٣) ابن هشام : وأبذلها ندى .

غزوة الفتح

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجباً .

ثم عدت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة على خزاعة ، ولم يزالوا قبل ذلك مُتَمَادِينَ ، وكان الذي هاج ما بينهم أن حليفاً للأسود بن رزن الدبلى خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود ابن رزن سُلَى وكنثوم وذؤيب وهم منخري بنى كنانة وأشرافهم كانوا فى الجاهلية يودون ديتين افضلهم فى قومهم ، فقتلتهم خزاعة بعرفة عند انصاب الحرم ثم حجز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به .

فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت بنو بكر فى عقد قريش . فلما كانت المدينة اغتصمتها بنو الدبلى فخرجوا حتى بيئوا خزاعة على الوئير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلاً وتحازروا واقتتلوا ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً .

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد واليثاق بما استعملوا منهم وكانوا فى عهده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعى السكبي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهري الناس فقال :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حِلْفَ أَبِييهِ الْأَنْلَدَا^(١)
 قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَلَدًا ثَمَّتَ أَسْلَفُنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدًا
 فَانْصَرِ هَذَاكَ اللَّهُ نَهْرًا أَعْتَدَا^(٢) وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَا نَوَا مَدَدَا
 فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا [أبيض مثل البدر يسمو صعدًا]^(٣)
 إِنْ سَيِّمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا^(٤) وَ قَيْلِقَى كَالْبَحْرِ يَجْرَى مُزِيدَا
 إِنْ قَرِيشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا وَتَقَضُّوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
 وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ^(٥) رَصَدَا وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
 وَمِنْ أَدَلِّ وَأَقْلَلِ عَدَدَا هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا
 وَفَتَّلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

يقول : قَتَلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَصِرْتُ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ » ثُمَّ
 عَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَالَ : إِنْ هَذِهِ السَّعَابَةُ
 لَتَسْتَهْلَ بِنَهْرٍ بَنِي كَعْبٍ . ثُمَّ خَرَجَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خُرَاعَةٍ حَتَّى قَدَمُوا
 عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأُخْبِرُوهُ بِمَا أَصَابَ مِنْهُمْ وَمُظَاهَرَةُ
 قُرَيْشٍ بَنِي بَكْرِ عَلَيْهِمْ نَمُ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سَفْيَانَ قَدْ جَاءَ كَمْ
 لَيْسَتْ الْعَقْدُ وَلِيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ » .

(١) الْأَنْلَدُ : الْقَدِيمُ .

(٢) الْأَعْتَدُ : الْمَاصِرُ الْهَيَأُ .

(٣) لَيْسَتْ فِي ابْنِ هِشَامٍ .

(٤) تَرَبَّدَ : تَغَيَّرَ لَوْنُهُ .

(٥) كَدَاءُ : مَوْضِعٌ بِأَعْلَى مَكَّةَ .

ومضى بُدِيل بن وَرْقَاء في أصحابه حتى أقوا أبا سفيان بمُصَنَّفَان قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشدّ للعقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا ، فلما لقي أبو سفيان بدِيلاً قال : من أين أقبلت يا بُدِيل ؟ وظن أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : سَيرت^(١) في خِزَاعَةٍ في هذا للساحل وفي بطن هذا الوادي . قال : أو ما جئتُ محمداً ؟ قال : لا . فلما راح بدِيل إلى مكة قال أبو سفيان : لئن كان بدِيل جاء المدينة لقد علف بها الدوى . فأتى مَبْرُك راحلته فأخذ من بعرها ففتقه فرأى فيه الدوى فقال : أحلف بالله لقد جاء بدِيل محمداً .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال : يا بنيّة ما أدري أرغبتِ بي عن هذا الفراش أم رغبتِ به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل نجس مشرك ، فلم أحب أن تجلس عليه . قال : والله يا بنيّة لقد أصابك بعمى شر !

ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمه فلم يردّ عليه شيئاً ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلمه له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر^(٢) لجاهدتكم به . ثم خرج حتى دخل على عليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه

(١) ابن هشام : سَيرت .

(٢) الذر : صغار النمل .

وسلم وعندها حسن بن علي غلامٌ يدبّ بين يديها فقال : يا علي إنك أمتّ القوم بي رجاء وإني قد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت فاشفع لي ، قال ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي أمر ما نستطيع أن نسكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد هل لك أن تأمرى بُنيّك هذا فيُجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر . قالت : والله ما بلّغ بُنيّ ذلك أن يجبر بين الناس ، وما يجبر أحدٌ علي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : يا أبا حسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فاصبرني . قال : والله ما أعلم شيئاً يُغني عنك . ولكمك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال : أو ترى ذلك مُغنياً عني شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنه ولكني لا أجدر لك غير ذلك . فقام أبو سفيان فقال : أيها الناس إني قد أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق . فلما قدم علي قریش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته فوالله ما ردّ علي شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجدر فيه خيراً . ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أذنّي المدوّ ويقال : أعدى المدوّ، ثم أنبت علياً فوجدته ألين القوم، وقد أشار علي بشيء صنّعه فوالله ما أدري هل يغني شيئاً أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرني أن أجبر بين الناس ففعلت . قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : وبلك ! والله ما زاد الرجل علي أن لمب بك فما يغني عنك ما قلت . قال لا والله ما وجدت غير ذلك .

[تجهز المسلمين]

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر علي ابنته عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال : أئى بنىة أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم فتجهز . قال : فأين تريد يريده ؟ قالت : لا والله ما أدري .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجدّ والتهيو وقال : « اللهم خذ اللميون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » فتجهز الناس .

[أمر حاطب]

وكتب حاطب بن أبى بلتعة عدد ذلك كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ثم أعطاه امرأة وجعل لها جملا على أن تبلغه قريشا . فجعلته فى رأسها ثم قتلت عليه قرونها ثم خرجت به . وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام فقال : أدركا امرأة كتب معها حاطب إلى قريش يحذرهم ما أجمعنا له فى أمرهم . فخرجا حتى أدركاها فاستنزلاها والتسا فى رَحْلها فلم يجدا شيئا فقال لما على : أحلف بالله ما كذب رسول الله ولا كذِبنا ولمُخرجن هذا الكتاب أو لكشفك . فلما رأت الجعد منه استخرجت الكتاب من قرون رأسها فدفعته إليه . فأنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال : يا حاطب ما حملك على هذا ؟ قال : يا رسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأة ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه فقال عمر : يا رسول الله دعنى فلا ضرب

عده فإن الرجل نافع^(١) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك يا عمر لعل الله قد أطلع على أصحاب بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »
فأنزل الله في حاطب : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوئى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » الآيات كلها إلى قوله : « قد كان لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما نعبدون من دون الله كافرينا بكم وبدا بيدنا وبينكم العداوة والبهضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده » . إلى آخر القصة .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره حتى نزل بمرّ الظَّهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، وقيل فى اثني عشر ألفا ، فسبغت سُلَيْمٌ وقيل ألفت^(٢) وألفت مَزِينَةٌ ، وفى كل القبائل عدد وإسلام . وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد .

[إسلام أبى سفيان بن الحارث]

وقد كان ابن عمه أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وابن عمته عبد الله ابن أبى أمية بن المغيرة لقياء بنزيق العُقَاب فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه وكلمته أم سلمة فبهما وهى أخت عبد الله منهما فقالت : يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال : لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عرضى وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال^(٣) . فلما خرج الخبر إليهما بذلك

(١) ابن هشام : قد ناضى .

(٢) سبغت : صار منها والجيش سبمائة . وألفت صار منها ألف .

(٣) قال له : « والله لا أمنت لك حتى تتخذ سلما إلى السماء فتخرج منه وأنا أنظر ،

ثم أتى بك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلاك » . الروس الألف ٢/٢٦٧ .

قال أبو سفيان - ومعه بُنَيَّ له - والله ليأذنينَّ لي أو لآخذنَّ بيد بني هذا ثم لينذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقىَّ لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما وأنشده أبو سفيان :

لعمرك إني يوم أحمل رايةً لتغلب خيلُ اللاتِ خيلَ محمدٍ
سكالدنج الحيرانِ أظلمَ ليْلُهُ فهذا أواني حين أهدى وأهدى
هداني هادي غير نفسي وقادني مع الله من طردتُ كلَّ مُطَرِّدٍ
فزعوا أنه لما أنشده هذا البيت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال : أنت طردتني كلَّ مطرد !

[إسلام أبي سفيان بن حرب]

وعصيت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل قريش ، فلا يأتيهم خبر عنه ولا يدرون ما هو فاعل .

وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُدَيْل بن ورقاء يقحسون الأخبار . وكان العباس بن عبد المطلب قد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مهاجراً بعياله ، وكان قبل ذلك مقبلاً بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض .

قال العباس : فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة الظهران قلت : واصباح قريش والله إن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عذوة قبل أن يأنوه فيستأمنوه إنه لملاك قريش إلى آخر الدهر . فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلي أجد

بعض الخطابة أو صاحب ابن أودا حاجة يأتي مكة فيخبرهم مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه . فوالله إني لأسير عليها والنمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجمان وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالميلة نيراناً قط ولا عسكراً . قال يقول بديل : هذه والله خزاعة حسنتها الحرب^(١) فيقول أبو سفيان : خزاعة أقل وأدل من أن تكون هذه نيرانها وعسكراها . قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم . قال : مالك فذاك أبي وأمي ؟ قلت : ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس واصباح قریش والله . قال : فما الميلة فذاك أبي وأمي ؟ قلت : والله إن ظفرك ليضربني عنقك فاركب في هجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمن لك . فركب خلفي ورجع أصحاباه ، فجئت به كلما مرّ بدار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى مررت بدار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إلي ، فلما رأى أبا سفيان صلى عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمسكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقتة بما تسبق الدابة الباطية الرجل البطيء فافتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمسكن الله معه بغير عهد ولا عقد فدعني فلا أضرب عنقه . قلت يا رسول الله إني قد أجرتك

(٢) حسنتها الحرب . اشتدت عليها . وتروى : حسنتها بالشين المعجمة .

ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت : والله لا ينجيه الليلة رجل دوني . فلما أكثر عمر في شأنه قلت : مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال عدي بن كعب ما قلت هذا ، ولكفك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف . فقال : مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عباس إلى رَحْلِكَ فإذا أصبحت فائتني به فذهبت به إلى رَحْلِي فبات عدي ، فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ما أحملك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد . قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ما أحملك وأكرمك وأوصلك ، أما والله^(١) هذه فإن في نفسي منها شيئاً حتى الآن^(٢) . قال له العباس : ويحك أسلم واثهد^(٣) أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق وأسلم .

قال العباس : قلت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً . قال : « نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

(١) ابن هشام : أما هذه والله .

(٢) الطبري : في النفس منها شيء .

(٣) الطبري : وبلغ تشهد شهادة الحق .

فلما ذهب ليصعق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس احبس بهضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها » قال فخرجت فحبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن احبسها ، فمرت للقبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هذه ؟ فأقول : سليم . فيقول : مالي وسليم . ثم تمر القبيلة فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالي ولمزينة . حتى نغدت للقبائل ما تمر قبيلة إلا سألتني عنها فإذا أخبرته بهم قال : مالي وابني فلان . حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد قال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك للغداة عظيما . قلت يا أبا سفيان إنها للنبوة . قال نعم إذن . قلت : اللجوء إلى قومك . حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيملا قبيل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحميت^(١) الدسم الأحمس قبيح من طليعة قوم . قال : ويحكم لا تفرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قالوا : قاتلك الله وما تُغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فنفرك الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

(١) الحميت . الرق . أو وعاء السم . والدسم : السم . والأحمس : الكثير اللحم .

[الرسول يدخل مكة]

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذى طوى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بشقة بُرْد حَبْرَة حمراء ، وإنه ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن عُثْنُونَهُ^(١) ليكاد يمس وسط الرّحْل .

ولما وقف هناك قال أبو قحافة ، وقد كُفَّ بصره ، لا بدة له من أصغر ولده أى بنية اظهرى بى هل أبى قُبَيْس . فأشرفت به عليه فقال : أى بنية ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : أرى سوادا مجتمعا قال : تلك الخليل . قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى السواد مُقْبِلا ومُدْرَأ . قال : أى بنية ذلك الوازع الذى يأمر الخليل ويتقدم إليها . ثم قالت : قد والله انتشر السواد . فقال : قد والله إذن دَفَعَت الخليلُ فأسرعى بى إلى بيتى . فانحطت به ، وتلقاه الخليل قبل أن يصل إلى بيته وفى عنق الجارية طوق من وَرِق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها .

قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : هَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فى بيته حتى أكون أنا آتية فيه ا فقال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه . قال : فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له : أسلم . فأسلم . ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأن رأسه ثَغَامَةٌ^(٢) فقال : غَيِّرُوا هذا من شعره . ثم قام أبو بكر فأخذ بيد اخته فقال : أنشد الله

(١) العُثْنُون : اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين .

(٢) الثغامة : واحدة الثمام . وهو نبت أبيض .

والإسلام طَوْقُ أَخِي فلم يجبه أحد فقال : أَيْ أَخِيَّةَ احْتَسَبِي طَوْقَكَ فَوَاللَّهِ
إِنَّ الْأَمَانَةَ الْيَوْمَ فِي النَّاسِ لَقَلِيلٌ !

* * *

وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه من ذِي طَوْى
الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كَدَى وكان على الجَنَبة اليسرى
وأمر سعد بن عبادَةَ أن يدخل في بعض الناس من كَدَاء . فذكروا أن سعدا
حين وجّه داخلًا قال :

الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمُ تُسْتَحَلُّ الْحَرَمَةُ

فسمّوها رجل من المهاجرين ، قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال
يا رسول الله اسمعْ ما قال سعد ، ما نأمن أن نكون له في قریش صَوْلَةٌ . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : أدركه فخذ الراية فكن
أنت تدخل بها . ويقال إنه أمر الزبير بذلك وجعله مكان سعد على الأنصار
مع المهاجرين . فسار الزبير حتى وقف بالْحِجُونِ وغرز بها راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وذكر غير ابن إسحاق أن خِرَارَ بن الخطاب قال يومئذ شعرا استعطف
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قریش حين سمع قول سعد ، وهو من
أجود شعراءه ^(١) :

(١) لب السهيلي هذه الأبيات لى خِرَارَ بن الخطاب ، في الروم ٢/ ٧٧١ .
ولكن ابن كثير روى هذه القصة عن الخافظ بن عساكر في تاريخ دمشق ، في ترجمة يعقوب
ابن إسحاق دينار ، عن موسى بن عقبة وسب هذا الشعر لى امرأة . سيرة ابن كثير
٣ / ٥٥٩ .

يَا بَنِي الْهَدْيِ إِلَيْكَ لِحَاثِي قَرِيشٍ وَلَاتَ حِينَ لَجَاءَ
حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ سَمَةُ الْأَرْضِ ضَوْضٌ وَعَادَاهُمْ إِلَهُ السَّمَاءِ
وَاللَّيْتُ حَلَقَتَا الْبَطَانِ عَلَى الْقَوْمِ م وَنُودُوا بِالصَّيْلَمِ الصَّلَامِ^(١)
إِنْ سَعْدًا يَرِيدُ قَاصِمَةً لِلْظُّلُمِ رِيَّ بِأَهْلِ الْحَبْجُونِ وَالْبَطْحَاءِ
خَزْرَجِيٍّ لَوْ يَسْتَطِيعُ مِنَ الْغَيْظِ رِمَانًا بِالنَّسْرِ وَالْعَوَاءِ^(٢)
فَانْهَيْتَهُ فَإِنَّهُ الْأَسَدُ الْأَسَدُ وَدُ وَاللَيْثُ وَالْغُ فِي الدَّمَاءِ^(٣)
فَلَنْ أَقْحَمَ الْإِثْمَ وَفَادَى يَا حُمَاةَ الْإِثْمِ أَهْلَ الْإِثْمِ
لَتَكُونَنَّ بِالْبَطْحَاءِ قَرِيشٌ قَعْقَعَةُ الْقَفَاحِ فِي أَكْفِ الْإِثْمِ^(٤)
فَإِنْ تَذَانُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّايَةَ مِنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِيمَا
ذَكَرُوا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَكَانَ عَلَى الْجَنْبِ
الْيَمِينِيِّ فَدَخَلَ مِنَ اللَّيْطِ أَسْفَلَ مَكَّةَ فَلَقِيَتْهُ بَنُو بَكْرٍ فَقَاتَلُوهُ فَقَتَلَ مِنْهُمْ قَرِيبَ
مِنْ عَشْرِينَ رَجُلًا وَمِنْ هَذِيلَ ثَلَاثَةً أَوْ أَرْبَعَةً انْهَزَمُوا وَقَتَلُوا بِالْخَزْوَرَةِ حَتَّى
بَاقَ قَتْلَهُمْ بَابَ الْمَسْجِدِ ، وَهَرَبَ قَضَضُهُمْ^(٥) حَتَّى دَخَلُوا الدَّوْرَ ، وَارْتَفَعَتْ طَائِفَةٌ
مِنْهُمْ عَلَى الْجِبَالِ وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِالسِّيُوفِ .

وَأَقْبَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ بِالصَّفِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَنْصَبُ لِمَسْكَةٍ بَيْنَ يَدَيْ

(١) الصيالم : الدامية . والصلام : المشهورة .

(٢) العواء : الكلب .

(٣) من الروس الأف .

(٤) القعقة : كعنبة : الأبيس الرخو من الكمأة . ويقال للذليل : هو أخذ من فقع

بقرقرة لأنه لا يمتنع على من اجتناءه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل . والقافح : الأرض السهلة .

(٥) القفض : المتفرق المنتشر من كل شيء ، أي الرجال الذين تفرقوا بعد الهزيمة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذخر في المهاجرين الأولين حتى نزل بأعلى مكة وضربت هناك قبته . ولما علا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنية كدّاء نظر إلى البارقة على الجبل مع فضض المشركين فقال : ما هذا وقد نهيت عن القتال ؟ فقال المهاجرون : نظن أن خالدا قوتل وبُدئ بالقتال فلم يكن بدّ من أن يقاتل من قاتله ، وما كان يا رسول الله ليمصيك ولا ليخالف أمرك . فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية فأجاز على الحبيّون .

واندفع الزبير بن العوام بمن معه حتى وقف بباب الكعبة .

وصرّع رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[الذين أهدر للذي دماءهم]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عمِد في نفر ستمهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم : عبد الله بن سعد بن أبي مَرْح وكان قد أسلم وكتب الوحيَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركاً ففر يومئذ إلى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فنجّبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمان الناس فاستأمن له . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلاً ثم قال : نعم . فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليّ

بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلاً أومأت يا رسول الله ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذي لا يقتل بالإشارة » . وفي رواية :
« إن الذي لا ينبغي أن تكون له خائفة أعين ^(١) » .

ومنهم : عبد الله بن خَطَل ، رجل من بني تميم بن غالب كان مسلماً فيمنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً ^(٢) وكان معه رجل مسلم يخدمه فأمره
أن يصنع له طعاماً وثام ، فاستيقظ ولم يصبح له شيئاً فعدا عليه فقتله ثم ارتد
مشركا وكانت له قينتان ^(٣) تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأمر بقتلهما فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأمنها .

وقيل يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ابن خَطَل متعلق بأستار
الكعبة فقال : اقتلوه . فقتله سعيد بن حُرَيْث الخزومي وأبو بَرْزَة الأسدي
اشتركا في دمه .

ومنهم : الحَوَيرِث بن نُعَيْد بن وهب بن عبد بن قصى وكان ممن
يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولما حل العباس بن عبد المطلب
فاطمة وأم كلثوم بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة
فخس بهما الحويرث هذا فرمى بهما إلى الأرض ، فقتله يوم الفتح على بن
أبي طالب .

(١) قال ابن هشام : وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاء عثمان .

(٢) مصدقا : جابيا للصدقات .

(٣) اسم لإحداهما : فرنى .

ومنهم : مِقْبِس بن صُبَّابة اللبثي ، وكان أخوه هشام بن صُبَّابة قد قتل رجل من الأنصار خطأ فقدم مِقْبِس بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مُظهراً الإسلام حتى إذا وجد غيرة من قاتل أخيه عداً عليه فقتله ثم لحق بقريش مشركاً . وقد تقدم ذلك ^(١) فلا جله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، فقتله نُمَيْلة بن عبد الله رجل من قومه ، فقالت أخت مِقْبِس في ذلك :

أَمْرِي لَقَدْ أَخَزَى نُمَيْلَةَ رَهْطَهُ وَفَجَّعَ أَضْيَافَ الشِّتَاءِ بِمِقْبِسِ
فَلَا عَيْنًا مِنْ رَأْيِ مِثْلِ مِقْبِسٍ إِذَا النُّفْسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخْرَسِ ^(٢)
ومنهم سارة مولاة ابني عبد المطلب وامتكرمة بن أبي جهل ، وكانت تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستؤمن لها فأمتهما وبقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا في زمن عمر بن الخطاب بالأبطاح فقتلها .
وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسُهَيْل بن عمرو قد جمعوا أناساً بالخذمة ليقاتلوا ، فيهم جحاس بن قيس بن خالد أخو بني بكر ، وكان قد أعد سلاحاً وأصلح منها فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال الحمد وأصحابه . قالت : والله ما أراه يقوم للحمد شيء . اقل : والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم . ثم قال :

إِنْ يُقْبَلُوا لِلْيَوْمِ فَمَا لِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَهُ ^(٣)
وذو غرار بن سريح السَّهْلِي ^(٤) .

(١) انظر من هذا الجزء .

(٢) لم تخرس : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، وذلك من الشدة والجذب .

(٣) الألة : جميع أداء الحرب .

(٤) الغرار : حد السيف والسهم يرد : سيفاً .

ثم شهد للخدمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد
ناوشوهم شيئا من قتال ، فقتل كرز بن جابر وخنيس بن خالد كانا في
خيل خالد فشدّا عنه وسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعاً وأصيب سلمة
ابن المَيْلَاء الجهمي من خيل خالد ، وأصيب من المشركين ناس ثم
انهزموا فخرج حُكَّاس منهزماً حتى دخل بيته وقال لامراته : أغلّقي
عليّ بابي .

قالت : فأين ما كفت تقول ؟ فقال :

إليكِ لو شهدتِ يومَ الخدمة
إذ فرّ صفوانُ وفرّ عكرمة
واستقبلتهم بالسيوفِ المسددة
يَقْطَعْنَ كلَّ ساعدٍ ويَجْمَعْنَ
ضرباً فلا تسمع إلا غمغمه
لهم نهيت خلفاً وهَمَمَه^(١)
لم تنطقي في اليوم أدنى كلمة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد : لم قانلت وقد
نهيتك عن القتال ؟ قال هم بدأونا ووضعوا فينا السلاح وأشعرونا النبل ،
وقد كففتُ يدي ما استطعت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
قضاء الله خير .

(١) النهيت : الزئير . هذا وقد اختصر المؤلف هذا الرجز وتامه في ابن هشام ٤٠٨ / ٢ .

[أمان رسول الله]

وفرّ يومئذ صفوان بن أمية عامدا للبحر وعكرمة بن أبي جهل عامداً
لليمن ، فأقبل عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيّد قومه وقد خرج هارباً منك
ليقتذف نفسه في البحر فأمنّه صلى الله عليه عليك فإني قد آمنّت الأحمر والأسود .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدرك ابن عمك فهو آمِن قال :
يا رسول الله فأعطني آيةً يعرف بها أمانك . فأعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة . فخرج بها عمير حتى أدركه [بُجْدَةٌ]^(١)
وهو يريد أن يركب البحر فقال : يا صفوان فذاك أبي وأمي أ الله الله
في نفسك أن تهلكها فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
جئتُك به قال : وبلك اغرب عني فلا تسكمني .

قال : أي صفوان فذاك أبي وأمي أ أفضل للناس وأبرّ الناس وأحلم
للناس وخير الناس ابن عمك ، عزّه عزك وشرفه شرفك ومُلْكُه مَلِكُك .
قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع
معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان : إن
هذا يزعم أنك أمنتني . قال : صدق قال : فاجعلني فيه بألغار شهرين .

(١) من الطبري .

قال : أنت بالخيار أربعة أشهر .

وأقبلت أم حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت تحت عكرمة بن أبي جهل وهي مسلمة يومئذ فقالت : يا رسول الله آمين زوجي وائذن لي في طلبه . فأذن لها وأمنه فأدركته ببعض تهامة وقيل باليمن فأقبل معها وأسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثب إليه فرحاً وما عليه رداء .

وكانت فاختة بنت الوليد تحت صفوان بن أمية ، وكانت أسلمت أيضاً ، فلما أسلم عكرمة وصفوان أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل واحدة منهما عند زوجها على النكاح الأول .

وقالت أم هانئ بنت أبي طالب وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فرأى إلى رجلان من أحماني من بني مخزوم فدخل على أخى على بن أبي طالب فقال : والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جئمة إن فيها لأثر للمجبن وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلى فقال : مرحبا وأهلا بأم هانئ ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر على فقال : قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وأمتا من أمت فلا يقتلنهما .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية ابن النخيلة .

[الرسول يدخل البيت]

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته ليستلم للركن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ معه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيبدان فسكرها بيده ثم وقف على باب الكعبة فقال :

« لا إله إلا الله ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ،
الآن كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، الآن وقتيل الخطأ شبهة^(١) للعهد السوط والمعصا
ففيه الهدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها ، يامعشر
قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس
لآدم وآدم من تراب . ثم تلا هذه الآية :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
ليتعرفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير^(٢) » .

ثم قال : يامعشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم^(٣) ؟ قالوا : خيرا
أخ كريم وابن أخ كريم . ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء^(٤) .

(١) الطبرى : مثل العبد .

(٢) سورة الحجرات ١٣ .

(٣) الطبرى : بكم .

(٤) قال الطبرى : وقد كان الله أمكم من رقابهم عنزة ، وكانوا له نيتا ، فبذلك يسمى

أهل مكة الطلقاء .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أين عثمان بن طلحة» ؟ فدعى له فقال : «هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برّ ووفاء . ثم قال لعلي فيما حكى ابن هشام : « إنما أعطيتكم ما تُرْزَأُون لا ما تُرْزَأُون »^(١) .

وذكر ابن عثمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى طوافه نزل فأخرجت الراحلة فركع ركعتين ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها وقال : «لولا أن يُغلب بدو عبد المطالب على سقايتهم لنزعتُ منها يدي» . ثم انصرف إلى ناحية المسجد قريباً من مقام إبراهيم وكان المقام لا صفاً بالكعبة فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا بسجل من ماء فشرب وتوضأ والمسلمون يتتدرون وضوءه يصيرونه على وجوههم والمشركون ينظرون إليهم ويمسحون ويقولون : ما رأينا مَلِكاً قط بلغ هذا ولا سمعنا به !

وذكر ابن هشام أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الافتتاح فرأى فيه صور الملائكة ، فرأى إبراهيم مصوراً في يده الأزام يستقسم بها فقال : «قاتلهم الله ! جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ؟ ما شأن إبراهيم والأزلام » ما كان إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً ولا كان حنيفاً مُسلماً وما كان من المشركين^(٢) » ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

(١) أي أعطيتكم السقاية التي تحتاج إلى مؤن ، ولم أعطكم السدانة التي يرزأ لها الناس بالبعث إليها يعني كسوة البيت .

(٢) سورة آل عمران ٦٧ .

وعن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم
الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص فجعل
الذي يشير بفضيب في يده إلى الأصنام وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل
إن الباطل كان زهوقاً »^(١) ، فإشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقائه ولا
أشار إلى لقائه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي صنم إلا وقع . فقال تميم بن أسد
الخرامى :

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو للثواب أو العقاباً

[من معجزات الرسول]

وأراد فضالة بن عُمير بن الملوّح اللبني قتل النبي صلى الله عليه وسلم
وهو بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة ؟
قال : نعم فضالة يا رسول الله . قال : ماذا كنت تحدث نفسك ؟ فقال :
لا شيء كنت أذكر الله . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : استغفر
الله . ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه . فكان فضالة يقول : والله ما رفع
يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحبّ إلىّ منه . قال فضالة :
فرجعت إلى أهلى فررت بامرأة كنت أحدث إليها فقالت : هلم إلى الحديث .
فقلت لا . وانبعث فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يَا بَنَى حَلِيكَ اللهُ وَالْإِسْلَامُ

أَوْ مَا رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكْسَرُ الْأَصْنَامُ
لَرَأَيْتَ دِينَ اللَّهِ أَخِي بَيْنَنَا وَالشُّرْكَ يَفْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة عام الفتح بلالا أن يؤذن ، وكان دخل معه ، وأبو سفيان بن حرب وعقّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عقّاب : لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه مُحَقَّقٌ لاتبعته . وقال أبو سفيان : لا أقول شيئا لو تكلمت به لأخبرته عنى هذه الحصباء ! فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قد علمتُ الذي قلتم ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعقّاب : نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخبرك .

[الرسول والأنصار]

وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة على الصفا يدعو وقد أحذقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها .

فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال : معاذ الله ! الحياء تحياكم والمات مماتكم^(١) .

[حرمة مكة]

وعدت خزاعة الفداء من يوم الفتح على رجل من هذيل يقال له ابن

(١) حديث الأنصار هذا يوم الفتح رواه الإمام أحمد في مسنده وسلم والنسائي . انظر سيرة ابن كثير ٥٨١/٣ .

الأثووع فقتلوه وهو مشرك برجل من أسلم يقال له أحرّ بأساً^(١) وكان رجلاً شجاعاً وكان إذا نام غطّ غطيظاً مُنْكَراً لا يخفى مكانه فكان يبيت في حية مُعْتَزّاً^(٢) ، فإذا بيّت الحى صرخوا : يا أحر . فيثور مثل الأسد لا يقوم لسبيله شيء . فأقبل عنزى من هذيل يريدون حاضره ، حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثووع الهذلي : لا تمّجلوا حتى أنظر فإذا كان في الحاضر أحر فلا سبيل إليهم فإنّ له غطيظاً لا يخفى . فاستمع فلما سمع غطيظه مشى إليه حتى وضع السيف في صدره ثم تحامل عليه حتى قتله . ثم أغاروا على الحاضر فصرخوا : يا أحر ولا أحر لهم ! فلما كان الغد من يوم الفتح أتى ابن الأثووع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس وهو على شركه فرأته خزاعة فعرفوه فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدر مكة يقولون أنت قاتل أحر ؟ قال : نعم أنا قاتل أحر فمه . إذ أقبل خِرَاش بن أمية مشتملاً على السيف فقال : هكذا عن الرجل . قال بعض من حضرهم : ووالله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرّج الناس عنه ، فلما تفرّجوا حمل عليه فطعمه بالسيف في بطنه ، فوالله لكانى أنظر إليه وحشوته^(٣) تسيل من بطنه وإن عيفيه لترتقان^(٤) في رأسه وهو يقول : أقدم فملتموها يا معشر خزاعة ! حتى انجمف^(٥) فوقع .

(١) أحر بأساً : اسم مركب كتأبط شرأ .

(٢) معتزّاً : متنعجاً و جانب .

(٣) الحشوة : ما في البطن .

(٤) ترتقان : تتحركان .

(٥) انجمف : صرع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ما صنع خراش بن أمية : « إن خراشاً لقتال » . يعنيه بذلك . وقام صلى الله عليه وسلم في الناس خطيباً فقال : « يا أيها الناس إن الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام من حرام [الله] ^(١) إلى يوم القيامة ، فلا يحلّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعصدها شجراً ، لم تحلل لأحد كان قبلي ولا تحلّ لأحد يكون بعدى ، ولم تحلّ لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ؛ ألا أنتم قد رجعت كحرمتها بالأمس فليباغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله قد قاتل - فقولوا : إن الله قد أحلّها لرسوله ولم يحلّها لكم . يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل إن نفع ^(٢) لقد قتلتم قتيلاً لأديبه ؛ فمن قُتل بعد مقامى هذا فهم بخير اللظيرين إن شاءوا فدم قاتله وإن شاءوا فمَنَعَه » .

ثم ودّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلت خزاعة وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . وكان فتحها لعشر ليالٍ بقرين من رمضان سنة ثمان .

[ما قيل من الشعر]

وكان ما قيل من الشعر في فتح مكة قول حسان بن ثابت ، وذكر ابن هشام أنه قالما قبل الفتح :

(١) من ابن كثير . السيرة ٥٧٩/٣ .

(٢) ابن هشام : فلقد كثر إن نفع .

هَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاهِ إِلَى عَذْرَاءٍ مِنْزِلَهَا خَلَاهُ^(١)
 دِيَارٌ مِنْ بَنَى الصَّخْرَةِ قَفَرٌ تَعْفِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ^(٢)
 وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسُ خِلَالَ مَرْوَجِهَا نَمَمَ وَشَاهُ
 فَدَغَ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفُ يُوْرِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْمِشَاهُ
 اشْتَعَاءُ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمَتْهُ فَلَيْسَ لِقَابِهِ مِنْهَا شِفَاهُ
 كَانَ سَيِّئَةً^(٣) مِنْ بَيْتِ رَأْسِ يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ
 إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهِيَ لَطِيبُ الرَّاحِ الْفِئْدَاهُ
 نَوَائِيهَا لِلْإِلَامَةِ إِنْ أَلَمْنَا إِذَا مَا كَانَ مَغْتٌ أَوْ إِجَاهُ^(٤)
 وَنَشْرِبَهَا فَتَنَزَّكَهَا مَسْلُوكًا وَأَسْدًا مَا يُنْمَنُهَا^(٥) الْإِقْدَاهُ
 عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تَنْبِيهُ لِنَقْعِ مَوْعِدِهَا كَكْدَاهُ
 بِنَازِعِنِ الْأَعْنَةِ مُصْنَعِيَاتِ هَلِي أَكْتَافِهَا الْأَسْدُ^(٦) الظَّاهُ
 تَظَلَّ جِيَّادُنَا مَتَمَطَّرَاتِ بِالطَّاهِنِ بِالْخَمْرِ الذَّاهُ^(٧)

(١) الجواه والمفراء : مواسم بالشام .

(٢) الروامس : الرياح . والسماء : الطر .

(٣) السيئة : الخمر . ورواية ابن هشام : كَأَنَّ خَيْبَةً . وهي كذلك عند ابن كثير

٣ / ٥٨٧ .

(٤) أَلَمْنَا : نَعَانَا مَا اسْتَجَى عَلَيْهِ الْإِوَم . وَالْمَغْت : الضرب بإيد . وَالْإِجَاه : الملاحاة

بِالْإِسَان .

(٥) يُنْمَنُهَا : يَرْدُنَا وَمَنْعُهَا .

(٦) كَذَا بِالْأَسْل . ورواية ابن هشام : الْأَسْلُ الْعِلَاء . وَالْأَسْل : الرماح .

(٧) مَتَمَطَّرَات : مَسْرَعَات : تَطَرُّ الْعَرَسِ مَعَارًا وَمَطُورًا : أَسْرَعَ . وَالطَّاهِن : أَلَامَا

مِنْ أَلَامٍ بِمَعْنَى صَرَب . وَالْخَمْر : حَمُّ حَارٍ وَهُوَ مَا تَقَطَّى بِهِ لِلرَّأَةِ رَأْسُهَا . قَالَ السَّهْلِي :

وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي الْجَهْرَةِ : كَانَ الْخَابِلُ رَحْمَةً لِقِ اللَّهِ يَرُوي بَيْتَ حَسَّانَ : « يَطْلَهُنَ بِالْخَمْرِ » ،

وَيُنْشَرُّ « بِالطَّاهِنِ » وَيُجْمَعُ بِمَعْنَى : يَمْشِي الْمَسَاءَ بِحَمْرٍ مِنْ مَا عَلَيْهِنَ مِنْ غُبَارٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

فإِذَا تُعْزُوا عِنْدَ اعْتَمَرْنَا	وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ
وَالْأَفَاصِيرُ بِالْجَلَادِ يَوْمِ	بِعِزِّ اللَّهِ فِيهِ مِنْ إِشَاءِ
وَجَبْرِيلَ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا	وَرُوحَ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا	يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صِدْقُوه	فَقُلْتُمْ : لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ بَسَّرْتُ جُنْدًا	هَمَّ الْأَنْصَارُ عُرْضَتَهَا الْإِقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدَّةٍ	سَبَّابٌ أَوْ قَتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحِجِّكُمْ بِالْقَوَافِي مِنْ هِجَانَا	وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الْأَمَاءُ
أَلَا أَبْلُغُ أَبَا سَفِيَانَ عَنِّي	مُغْلَقَةً ^(١) فَقَدْ بَرَّحَ الْخِلَاءُ
هَجُوتَ مُحَمَّدًا وَأَجِيتُ عَنْهُ	وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفَاءِ	فَشَرُّكَ كَمَا تَلْخِيْرُكَ الْفِدَاءُ
هَجُوتَ مَبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا	أَمِينَ اللَّهِ شَيْمَتَهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ بِهِجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ	وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سِوَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي	لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
لِسَانِي صَارَ لَا عَيْبَ فِيهِ	وَبَحْرِي لَا تَسْكُدُّهُ الدَّلَاءُ

وقول ابن هشام : إن حسان قال هذا الشعر قبل الفتح ظاهر في غير ما شئ من مقتضياته ، ومن ذلك : مقاوئته لأبي سفيان وهو ابن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أسلم قبل الفتح في

(٨) المغلقة : الرسالة .

طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة كما تقدم .

وكذلك ذكر ابن عُبَيْدَةَ أَنَّ حَسَانَ قَالَ فِي تَخْرُجُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ نَظَرَ إِلَى النِّسَاءِ يَلْطَمُنَ الْخَلِيلَ بِالْخُمُرِ فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَتَبَسَّمَ لِقَوْلِ حَسَانَ فِي ذَلِكَ : يَلْطَمُنَ بِالْخُمُرِ للنساء .

* * *

وقال أنس بن زَنِيم الدَّبَلِيُّ يَعْتَذِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالُ فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخَزَاعِيُّ :

أَنْتَ الَّذِي تُهْدِي مَعْدًى بِأَمْرِهِ	بَلِ اللَّهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهَدُ
وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا	أَبْرَةً وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
أَحْتِ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْبَغْ نَائِلًا	إِذَا رَاحَ كَالسَيْفِ الْعَتَقِيلِ الْمُهْدِ
وَأَكْسَى لِبُرْدٍ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ	وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمُتَجَرَّدِ ^(١)
تَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُذْرَكِي	وَأَنْ وَعِيدًا مَعَكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ
تَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ قَادِرٌ	عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مُتَّهَمِينَ وَمُنْجِدٍ ^(٢)
تَعْلَمُ أَنَّ الرَّكَبَ رَكْبَ عُوَيْمِرٍ	هَمَّ السَّكَاذِبُونَ الْخُلَفَا كُلَّ مَوْعِدِ
وَنَبِئُوا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي هَجَوْتُهُ	فَلَا حَمَلْتُ سَوْطِي إِلَى إِذَا بَدَى

(١) الخال : ضرب من برود اليمن ، وهو من رفيع الثياب . والسابق المتجرد : الفرس السريح المشيط .

(٢) الصرم : الطائفة من البيوت . والمتهم : من نزل تهامة . والمنجد : من نزل نجداً .

سوى أنى قلت وبلم فتية أصيبوا بنحس لا يطوبأسعد^(١)
ذويب وكثوم وسلنى تقابوا جميعاً فإن لا تدمع العين أكرم
أصابهم من لم يكن لدماهم كفاء فعزت عبرى وتبلدى

وقال يحير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح :

ننى أهل الحبلق كل فج مزينة غدوة وبلى خفاف^(٢)
ضرباهم بمكة يوم فتح النسي الخير بالبيض الخفاف
صبيحهم بسبح من سليم وألف من بنى عثمان وإف
نظاً أكتافهم ضرباً وطعنا ورشقا بالريشة^(٣) اللطاف
ترى بين الصفوف لما خفيفاً

كما انصاع الفواق من الرصاف^(٤)

فرحنا والجياد تجول فيهم بأرماع مقومة النفاق
فأبنا غانمين بما اشتبهنا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله مناً موثقاً على حسن التصافى

(١) النحس : ضد السعد . واللائط : اللاصق الملازم . والأسعد : شاق كالجرى يأخذ

البعير فيهرم منه .

هنا ورواية البيت فى ابن هشام والروى وابن كثير :

أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد

ولعل رواية السكلاعى أصوب وأوضح .

(٢) الحبلق : أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والحباق أيضاً : الغنم الصغار .

ولعله أراد أصحاب الغنم .

(٣) الريشة : السهام فيها الريش .

(٤) انصاع : ذهب . والفواق : قال السهيلي : أراد به الفوق وهو غريب . والرصاف :

جم رصفة وهى العقبة التى تلوى فوق مدخل سنخ النصل فى السهم .

وقد سمعوا مقاتلتهم فهِمُوا غداةَ الرّوْع منها بانصرافِ

* * *

وقال عباس بن مرداس السلمي في فتح مكة :

مِنَّا بِمَكَّة يومَ فَتَحَ مُحَمَّدٍ أَلْفٌ نَسِيلٌ بِهِ الْبَطَّاحُ مَسُومٌ
نَصَرُوا الرّسولَ وشاهدوا آيَاته^(١)

وشعارهم يومَ الْإِقَاءِ مُقَدَّمُ

فِي مَنْزِلٍ ثَبَتَتْ بِهِ أَقْدَامُهُمْ ضَنْكَ كَأَنَّ الْهَامَ فِيهِ الْخَلْمُ^(٢)

جَرَّتْ سَنَابِكُهَا بِبَعْدِ قِبَالِهَا حَتَّى اسْتَعَادَهَا الْحِجَازُ الْأَذْمُ^(٣)

اللّهُ مَكْنُسُهُ لَهُ وَادُّهُ حَكَمَ السِّیُوفِ إِنَّمَا وَجَدَتْ مِزْحَمُ^(٤)

وقال نُجَيْدُ بْنُ هِرَانَ الْخَزَاعِيُّ :

وَقَدْ أَنشَأَ اللَّهُ لِلْسَّعَابِ بِمِصْرِنَا رُكَّامَ سَعَابِ الْمَيْدِبِ الْتَرَاكِبِ^(٥)

وهِجَرْنَا فِي أَرْضِنَا عَدْنَا بِهَا كَقَابِ أُنَى مِنْ خَيْرِ مُمَلٍّ وَكَانِبِ

وَمَنْ أَجْلَلْنَا حَلَّتْ بِمَكَّةَ حُرْمَةً لِهَدْرِكَ ثَارًا بِالسِّیُوفِ الْقَوَاضِيبِ

(١) رواية ابن كثير : وشاهدوا آيَاته .

(٢) الهام : الرموس . والخلم : الخلل .

(٣) رواية ابن كثير : حتى استقام لها .

(٤) المزحم : الغالب .

(٥) الميدب : القريب .

[سرية خالد بن الوليد وما وقع فيها]

ولما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث السرايا فيما حولها يدعو إلى الله ، ولم يأمرهم بقتال .

وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة . فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا . فقال رجل منهم يقال له جعدهم : وبلسكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسهار ، وما بعد الإسهار إلا الضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبدا . فأخذ رجال من قومه فقالوا : يا جعدهم أريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وأمن الناس فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد .

فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكثفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم . وقال لهم جعدهم حين وضعوا سلاحه ورأى ما يصنع بهم : يا بني جذيمة ضاع الضرب ! قد كدت حذرتكم ما وقعتم فيه .

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل انفلت منهم فأنابه بالخبر : هل أنكر عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض ربة^(١) فنهته خالد فسكت عنه ، وأنكر

(١) الربة : بين الطويل والقصير . ونهته : زجره .

عليه رجل أحمر مضطرب فراجعه فاشتدَّت مراجعتهما . فقال عمر بن الخطاب أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة .

و ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيتُ كأنى أقمْتُ أقمّةً من حَيْسٍ فالتذذْتُ طعمها فاعترض في حَلْقِي منها شيء حين ابتلعها فأدخل على يده فنزعه » . فقال أبو بكر : هذه سرّية من سراياك تبهتها فيأتيك منها بعض ما تحبّ ويكون في بعضها اعتراض فتبعث علياً فيستمله .

ثم لما كان من خالده في بني جذيمة ما كان دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال : « يا علي اخرج إلى هؤلاء اليوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » . فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال حتى إنه ليدي لهم مِيلةً للكلب ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال فقال لهم علي حين فرغ منه : هل بقي دمٌ أو مال لم يودَ لكم ؟ قالوا : لا قال فإني أعطيك هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم ولا تعلمون .

[ففعل^(١)] ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال أصبّت وأحسنّت .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى

إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات .

وقد قال بعض من يعذر خالدا : إنه قال : ما قاتلتُ حتى أمرتُ بذلك عبدُ الله بن حذافة السهمي وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن نقاتلهم لا متقاعهم من الإسلام .

وحدث ابن أبي حدرّد الأسلمي قال :

كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال لي فتى من بني جذيمة وهو في سبي وقد جمعت يداه إلى عنقه برمة^(٢) ونسوة^(٣) مجتمعات غير بعيد منه يافقي . قلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذٌ بهذه الرمة فقائدي إلى هؤلاء للنسوة حتى أفضى إليهن حاجة ثم تردني بعدُ فتصهروا بي ما بدا لكم ؟ قال

(١) ذكر الإمام أحمد في رواية له أن خالد بن الوليد دعاني جذيمة إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولون : أسلمنا . فعملوا يقولون : صباُنا صباُنا ! وخالد يأخذهم أسرا وقتلا .

كما ذكر ابن إسحق أنه كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيما بلغه - كلام في ذلك فقال له عبد الرحمن : عمت بأمر الجاهلية في الإسلام ؟ فقال : إنما تأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت لقد قتلت فائل أبي ، ولكنك تأرت لملك الفاكه بن المغيرة . حتى كان بينهما شر . فبان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مهلا يا خالد ! دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أفتقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته » .

قال ابن كثير : « والمظنون بكل منهما - أي خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - أنه لم يقصد شيئاً من ذلك وإنما يقال هذا في وقت الخصامة ، وإنما أراد خالد بن الوليد نصرة الإسلام وأهله ، وإن كان قد أخطأ في أمرهم واعتقد أنهم ينتقمون الإسلام بقولهم صباُنا صباُنا . ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا » .

(٢) الرمة : الحبل .

قلت : والله ليسير ما طلبت . فأخذتُ برُمته بها حتى أوقفته عليهن فقال :
اسلمني حُبَيْش على نَفَد^(١) العيش .

أَرَيْتُكَ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِحَلْيَةِ أَوَانَيْتِكُمْ بِالْخَوَانِقِ^(٢)
أَلَمْ يَكْ أَهْلًا أَنْ يُقُولَ عَاشِقٌ

تَسْكَلُفَ إِدْلَاجَ السَّرَى وَالْوَدَائِقِ^(٣)
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا

أُثْبِي بَوْدَ قَبْلِ إِحْدَى الصَّفَائِقِ^(٤)
أُثْبِي بَوْدَ قَبْلِ أَنْ تَشْحَطَ لِلنَّوَى^(٥)

وَبَدَأَ الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمَفَارِقِ^(٦)

فَقَالَتْ : وَأَنْتِ لَخَيْتِ سَبْعًا وَعَشْرًا وَتَرَا وَثْمَانِيَا تَتْرَى . قَالَ : ثُمَّ
انصرفتُ به فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ . فَخَدَثَ مِنْ حَضَرِهَا أَمَّا قَامَتْ إِلَيْهِ حِينَ ضُرِبَتْ
عُنُقُهُ فَمَا زَالَتْ تَقْبَلُهُ حَتَّى مَاتَتْ عِنْدَهُ .

وَخَرَجَ النَّسَائِيُّ هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي مَصْنُوعِهِ فِي مَابِ « قَتْلُ الْأَسَارَى » مِنْ
حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ سَرِيَّةً فَغَدَمُوا فِيهِمْ رَجُلٌ
قَالَ : إِنِّي لَسْتُ مِنْهُمْ عَشَقْتُ امْرَأَةً فَلَحِقْتُهَا فَدَعُونِي أَنْظُرَ إِلَيْهَا نَظْرَةً ثُمَّ اصْدَعُوا

(٣) ت : قبل نقد العيش . وى ابن هشام (ط الحلى) : على نقد من العيش . والنقد :
الفناء والذهاب والانقضاء .

(٤) حالية والخوانق : موضعان بتهامة .

(٥) السرى : سير طامة الليل . والودائق : جمع وديقة وهي شدة الحر في نصف النهار .

(٦) الصفائق : الدوامى .

(٧) تشحط : تبعث .

(٨) ذكر ابن هشام بيتين بعد هذا البيت .

بى ما بدأ لكم . قال فإذا امرأة طويلة أذماء فقال . اسلمى حُبَيْش على نَفَد العيش وذكر بعض الشعر المتقدم وبعده : قالت : نعم فَدَّ بِئُكَ . قال فقدّموه ففَضَرُوا عُنُقَهُ فجاءت المرأة فوقفت عليه فشبهت شهقة أو شهقتين ثم ماتت ، فلما قدّموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال صلى الله عليه وسلم : « أما كان فيكم رجل رحيم » .

[هدم العزى]

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بدخلة ، وكان بيتاً تعظمه قريش وكنانة ومُضَرَ كلها ، وكان سدّتها وحُجّابها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السّلمى بسير خالد إليها علّق عليها سيفه وأسند في الجبل الذى هو فيه وهو يقول :

يا عَزَّ شُدَّى شدة لا شوى^(١) لها على خالد ألقى القمّاع وشمري
يا عَزَّ إن لم تقتل المرء خالداً فبؤنى بأنم عاجلٍ أو تنصرى
فلما انتهى إليها خالد هدمها . ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢)

(١) الشوى : أن يصيب غير المقاتل ، يريد : أنها لا تبقى على شيء .

(٢) وكان هدم العزى - كما قال الطبرى - لخمس بقين من رمضان سنة ثمان .

غزوة حنين

ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النضري^(١) فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل ، ولم يشهدوها من قيس عيلان إلا هؤلاء . وفي بني جشم دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ شَيْخٌ كبير ليس فيه شيء إلا للتيمن برأيه ومعرفة بالحرب ، وجَاعُ أَرِ النَّاسِ إلى مالك بن عوف . فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس جتمع إليه الناس وفيهم دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي شِجَارٍ^(٢) لَهُ يُقَادُّ بِهِ . فلما نزل قال : في أيّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم مجال الخليل لا حَزَنٌ ضَرَسَ ولا سَهْلٌ دَخَسَ^(٣) مَالِي أَسْمِعْ رِغَاءَ الْبَعِيرِ وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ وَيُمَارَ الشَّاءِ ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : ابن مالك ؟ فدعني له فقال : يا مالك إنك أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يومٌ له ما بعده ، مَالِي أَسْمِعْ رِغَاءَ الْبَعِيرِ وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ وَيُمَارَ الشَّاءِ ؟ قال : سقتُ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم أردتُ أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم قال : فَاَنْقَضَ^(٤) بِهِ وَقَالَ^(٥) : راعى ضأنِ والله اوهل بردٍ المنهزم شيء ؟

(١) ت : النضري . عرقه .

(٢) الشجار : مركب شبه الهودج .

(٣) الحزن : ما غلظ من الأرض . والضرس : الخش . والدمس : الحب .

(٤) انقض به زجره .

(٥) ابن هشام والطبري : ثم قال .

إنها إن كان لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحهُ ، وإن كانت عليك
فُضِحتُ في أهلك ومالك .

ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلابٌ ؟ قالوا : لم يشهدا منهم أحد . قال :
غاب الحدو والجذو لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ،
لوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدا معكم ؟ قالوا :
عمرو بن عامر وعوف بن عامر . قال : ذاك الجذعان^(١) لا ينفعان ولا
بضران يا مالك إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نخور الخليل شيئاً
أرفعهم إلى مُتمنّع بلادم وعُلياء^(٢) قومهم ثم ألقى العُبياء^(٣) على مُتون الخليل
فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك أنفأك ذلك وقد
أحرزت أهلك ومالك .

قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرتَ وقد كبر عقلك^(٤) والله أتعطيمتني
يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن
يكون لدُرَيْد فيها ذكر أو رأى ، قالوا : أطعناك .

فقال دريد : هذا يومٌ لم أشهده ولم يفتني .

[يا ليتني]^(٥) فيها جَدَعٌ أخبُ^(٦) فيها وأضع

(١) الجذع : الشاب الحدث .

(٢) ابن هشام والطبري : وعلياً قومهم .

(٣) يريد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

(٤) الطبري : وقد كبر عقلك .

(٥) سقطت من ت .

(٦) أخب : أسرع .

ثم قال مالك للباس : إن رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد .

وبعث مالك بن عوف عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم فقال : وبلكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالا بيضا على خيل بلى والله ماتما سكنا أن أصابنا ما نرى .

فوالله ما ردّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

ولما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرّد الأسديّ وأمره أن يدخل في الفاس ويقيم فيهم حتى يعلم عليهم ثم يأتيه بخبرهم فانطلق ابن أبي حذرّد فدخل فيهم حتى سمعهم يعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم له ^(١) ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر .

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ذكر له أن عدد صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا فأرسل إليه وهو يومئذ مُشرك فقال : يا أبا أمية أعزنا سلاحك هذا تلقى فيه عدونا غداً فقال صفوان : أغصيا يا محمد ؟ فقال : بل عاربة مضمونة حتى تؤديها إليك قال : ليس بهذا بأس . فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حمالها ففعل .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامداً لحين معه اتقان من

(١) ت : ما هم عليه .

أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفا .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فصل من مكة إلى حنين ورأى كثرة من معه من جنود الله : « انْ تُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ » . وزعم بعض الناس أن رجلا من بني بكر قالما .

واستمحل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بن أسيد بن أبي الميصر ابن أمية بن عبد شمس على مكة أميرا على من تخلف عنه من الناس .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن .

قال ابن عثمة : وكان أهل حنين يظنون حين دنا منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعني في توجهه إلى مكة — أنه باديء بهم ، وصنّع الله لرسوله ما هو أحسن من ذلك ، فتح له مكة فأقر بها عيَّنه وحكّبت بها عدوه .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين خرج معه أهل مكة رُكباناً ومشاةً ، حتى خرج معه للنساء يمشين على غير دين نظرًا ينظرون ويرجون الغنائم ، ولا يكرهون أن تكون للصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وحدث أبو واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثوا عهدٍ بالجاهلية ، وكانت أسكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة خضراء عظيمة يقال لها ذات أنواط . يعلقون

عليها أسلحتهم وذبّحون عندها ويعكفون عليها يوما ، قال : فرأينا ونحن نسير معه سِدْرَةَ خَضِرَاءَ عَظِيمَةً فَتَمَادَيْنَا مِنْ جَنَابَاتِ الطَّرِيقِ : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ! قلتُم والذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى : « اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة » ، قال : إنكم قوم تجهلون » فإنها للشئن لتركن سنن من كان قبلكم^(١) .

* * *

وحدث جابر بن عبد الله قال : لما استقبلنا وادى حدين انحدرنا في وادٍ من أودية نِهَامَةِ أَجْوَفِ حَطُوطٍ إِنَّمَا نَحْدِرُ فِيهِ انحدارا قال : وذلك في عَمَابَةِ الصَّبَحِ ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى فكَمَدُوا لنا في شِمَابِهِ وَأَجْنَابِهِ^(٢) وَمَضَّايقِهِ ، قد أجمعوا وتهايأوا ، فوالله ما راعنا ونحن منقطعون إلا الكتائب قد شَدُّوا^(٣) علينا شَدَّةً رجل واحد ، وانشمر^(٤) اللئاسُ راجعين لا يَلْوِي أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال : « أيها الناس هلم إلنا »

(١) روى هذا الحديث الترمذى في صحيحه ، وقال : حسن صحيح ، والنسائى في سننه . ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره وانظر سيرة ابن كثير ٦١٦/٣ .

(٢) ابن هشام والطبرى : وأحنائه .

(٣) الطبرى : قد شدت .

(٤) اشبروا : فروا وانتهزوا .

أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، قال : فلا شيء ! حلت^(١) الإبل بعضها على بعض وانطلق الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، وفيمن ثبت معه من المهاجرين : أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس . وأبو سفيان بن الحارث وابنه والفضل بن عباس وربيعة بن الحارث وأسامة ابن زيد وأيمن بن عُبَيْد وهو ابن أم أيمن قُتل يومئذ .

قال : ورجل من هوازن على جمل له أحر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وم خلفه ، إذا أدرك طعن برمحـه وإذا فاته الناس رفع رمحـه لمن وراه فاتبعوه ، فبينما ذلك الرجل يصنع ما يصنع إذ أهوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه قال : فيأني علي من خلفه فضرب عُرْقُوبَيْ الجمل فوق علي عَجْزَه ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربةً أطن^(٢) قدمه بنصف ساقه فانجمعت عن رَحْله .

* * *

[المنهموم]

قال ابن إسحق : فلما انهزم الناس وراى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُفَاة أهل مكة الهزيمة تكلم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الضغن فقال أحدهم : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر . وإنَّ

(١) الطبرى : احتملت الإبل بعضها بعضاً .

(٢) أطن : أطار .

الأزلام لعله في كِثافته . وصرخ آخر منهم : ألا بطل السَّحَر اليوم ! فقال له صفوان بن أمية وهو يومئذ مشرك في المدة التي جَعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسكت فضَّ الله فاك ! فوالله لأن يرُبِّي (١) رجلٌ من قريش أحبُّ إلى من أن يرُبِّي رجلٌ من هَوازِن .

وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار وكان أبوه قُتل يوم أحد : قلت : اليوم أدرك ثأري لليوم أقتل محمدا . قال فأدَّرت رسول الله لأقتله فأقبل شيء حتى تفشَّى فؤادى فلم أطلق ذلك وعلمت أني ممنوع منه .

وذكر ابن أبي خيثمة حديث شيبة هذا ، قال : لما رأيت للبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين أُغري (٢) ذَكَرْتُ أبي وعمي قتلَهما حمزة ، قلت : اليوم أدرك ثأري في محمد (٣) . فجئته عن يمينه فإذا أنا بالعباس قائماً عليه دِرْع بيضاء ، قلت : عمه ان يخذله . فجئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان ابن الحارث ، قلت : ابن عمه ان يخذله ، فجئته من خلفه فدلوتُ ودنوت حتى لم يبق إلا أن أسوِّر سورَة (٤) بالسيف فرفع إلى شَواظ من نار كأنه للبرق فسكعت على عقبى القهقري . فأنذرت رسول الله صلى

(١) يرُبِّي : يعلِّم .

(٢) أغري : تفرق الناس من حوله . ورواية ابن كثير عن البيهقي : قد غري . ووث : أغزى . عرفة .

(٣) رواية البيهقي : من محمد .

(٤) أسور : أنب . وعند ابن كثير : أساوره سورة .

الله عليه وسلم فقال : يا شيبه اذنه . فذنوتُ فوضع يده على صدرى فاستخرج الله الشيطان من قلبي فرفعت إليه بصرى فلهو أحب إلى من سمى وبصرى فقال لى : يا شيبه قاتل الكفار . فقاتلت معه صلى الله عليه وسلم .

[نداء المنصر]

وحدث العباس بن عبد المطلب قال : إني لسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بحِكمته^(١) بغلقه البيضاء قد شَجَرَتْهَا^(٢) بها وكنت امرأة جَسِيماً شديد الصوت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من أمر الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يَلَوْن على شيء فقال : يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السُّمْرَةِ . قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ . قال : فيذهب الرجل لِيَتَنَّى بغيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عيقه ويأخذ سيفه وترسه ويقف عن بغيره ويحتل سبيله فيؤمُّ الصوت حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا ، فكانت الدعوى أول ما كانت للأنصار^(٣) ثم خلصت آخرياً للخزرج وكانوا صُبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه ففطر إلى مُجْتَلَدِ القوم فقال : الآن حَيِّ الوَطِيس .

(١) الحكمة : ما أحاط بحنكى الفرس ونحوه .

(٢) شجر الدابة : ضرب لجامها فيسكفها حتى فتحت فامها .

(٣) ت : بالأنصار .

قال جابر بن عبد الله في حديثه : واجتَلَدَ الناسُ ، فوالله ما رجعتُ راجمةً للناس من هزيمتهم حتى وجد والأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم !

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث وكان حسن الإسلام ومن صبر يومئذ معه وهو آخذ بثَقَرٍ^(١) بغلته فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك يا رسول الله .

وذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غشيه القتال يومئذ قام في الرِّكَابَيْنِ وهو على البغلة . ويقولون نزل . فرفع يديه إلى الله يدهوه يقول : اللهم إني أنشدك ما وعدتني ، اللهم لا ينجي لهم أن يظفروا علينا . ونادى أصحابه فذَمَّهم^(٢) : يا أصحاب البَيْعَةِ يومَ الحديبية ، يا أصحاب سورة البقرة ، يا أنصار الله ورسوله يا بني الخزرج . وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواحيهم كلها . وقال : شأنت الوجوه . فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصَّهم منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم وذرائعهم وشاههم وإبلهم ، وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومه .

(١) الثفر : السير في مؤخر السرج .

(٢) الأصل : في الراكبتين . وما أثبتته من سيرة ابن كثير ٦٢٦/٣ نقلا عن ابن عقبة .

(٣) ذمهم : حصَّهم على القتال .

وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة وغيرهم حين رأوا نصر الله ورسوله^(١) وإعزاز دينه .

وحدث جُبَيْر بن مُطْعَم قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجَاد^(٢) الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت فإذا نمل أسود مَبْثُوث قد ملأ الوادى ولم أشك أنها اللانكة ، فلم تكن إلا هزيمة للقوم .

[شجاعة أم سليم]

وللتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فرأى أمَّ سُلَيْمٍ بنت مِلْحَانَ ، وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمةٌ وسطها بُرْدٌ لها ولأنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعهما جل أبي طلحة قد خشيت أن يَمُرَّها^(٣) فأدنت رأسه منها فأدخلت يدها في خِزَامَتِهِ مع الخطام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم سليم !

قالت : نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفى الله يا أم سليم .

وقال لها أبو طلحة : ما هذا الخبجر يا أم سليم ؟ لخبجر رآه عندها .

(١) الرواية عند ابن كثير : حين رأوا نصر الله ورسوله وإعزازه دينه . السيرة ٤/٦٢٦

(٢) البجاد : كساء من صوف .

(٣) يمرها : يظلمها أو يغتصبها .

قالت : خذوا من دنا منى أحد من المشركين بسيفه^(١) به .
فقال أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم !

* * *

وحدث أنى أن أبا طلحة استلب وحده يوم حنين عشرين
رجلا .

وقال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان مسلما ومشركا ،
فإذا رجل من المشركين يريد أن يؤمن صاحبه المشرك على المسلم فأتية
فضربت يده فقطعتهما واعتقني بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلني حتى
وجدت دبح الدم . وروى : ربح الموت . فلولا أن الدم نزفه لأتاني ،
فسقط فضربته فقتلته وأجهضني^(٢) عنه القتال . فلما وضعت الحرب
أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل
قتيلا فله سلبه . فقلت : يا رسول الله والله لقد قتلت قتيلا ذا سلب
فأجهضني عنه القتال فما أدرى من استلبه . فقال رجل من أهل مكة :
صدق يا رسول الله فأرضه عني من سلبه . فقال أبو بكر : لا والله
لا أرضيه منه نعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه
سلبه ! اردد عليه سلب قتيله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
صدق اردد عليه سلبه .

(١) بسيفه : سيفه .

(٢) أجهضني : علبني وأبعدني .

قال أبو قتادة : فأخذته معه فبعته فاشتريت بثمنه ميخراً^(١) فإنه لأول مال اعتقده^(٢) .

[هزيمة المشركين]

ولما انهزمت هوازن استعرجوا للقتل من ثقيف في بني مالك ، قتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة ومعه كانت راية بني مالك .

وكانت قبله مع ذي الحمار ، فلما قُتل أخذها عثمان فقاتل بها حتى قُتل ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله قال : أبعد الله عنه فإنه كان يُبغض قريشاً . وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم للناس هرب هو وقومه من الأحلاف فلم يُقتل منهم غير رجلين يقال لأحدهما وهب والآخر الجلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هُنَيْدَة . يعني الحارث بن أويس .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة ، وتبع خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة من الناس ولم تتبع من سلك الثنايا ، فأدرك ربيعة بن رُفَيْع - وكان يقال له ابن الدُّغْدُغَة وهي أمه غلبت على اسمه

(١) الخرف : السكة بين صفيين من النخل

(٢) كذا : ورواية البخاري ومسلم فإنه لأول مال تأتله

أدرك دُرَيْدَ بنَ الصَّمَّةِ فأخذَ بِعَظَامِ جِلهِ وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه كان في شِجار له ، فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا هو دُرَيْدٌ ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن رُفَيْعٍ السُّلَمي . ثم ضربه بسيفه فلم يُغن شيئاً فقال : بئس ما سلَّحتك أمك ! أخذ سيفي هذا من مؤخر الرجل ثم اضرب به وارفع عن العِظام واخفض عن الدماغ ، فإني كذلك كُنت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْدَ بن الصَّمَّةِ فَرُبُّ والله يومٍ قد منعتُ فيه نساءك .

فزعم بدو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوقع نكشٌ فإذا عِجَّانُه^(١) وبطلون نخذه مثل القراطيس من ركوب الخيل أغراء . فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً .

وقالت عُمَيْرَةُ^(٢) بنت دريد ترى أباه :

قالوا قتلتا دُرَيْدًا قالت قد صدقوا فقال دمي على السُّرْبَالِ يهتدر^(٣)
لولا الذي قهر الأقوامَ كلهم رأت سليم وكعبٌ كيف يأنمر^(٤)

(١) العجَّان : ما بين الحمية والذية .

(٢) ابن هشام : عمرة

(٣) السُّرْبَال : التَّمْبِس

(٤) ت : نأمر

[غزوة أوطاس]

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجَّه قِبَل
أوطاس أبا عامر الأشعري فأدرك بعضَ المنهزمة ففاوضوه للقتال فرُمى
بسهم فقتلَ فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ففتح الله عليه
وهزمهم الله .

ويزعمون أن سلمة بن دُرَيْد هو الذي رمى أبا عامر .

وذكر ابن هشام عن يثق به أنه أبا عامر الأشعري لقي يوم
أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو
عامر وهو يدعوهُ إلى الإسلام ويقول اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر
ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوهُ إلى الإسلام ويقول :
اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً بعد رجل
ويحمل أبو عامر ويقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر ، فحمل على أبي
عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوهُ إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد
عليه . فقال الرجل : اللهم لا تشهد على . فكف عنه أبو عامر فأفلت
ثم أسلم بعدُ فحسن إسلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
رآه قال : هذا شريد أبي عامر .

ورمى أبا عامر يومئذ ، فيما ذكر ابن هشام ، أخوان من بني
جُشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولى الناس
أبو موسى الأشعري فحمل عليهما فقتلهما .

وذكر ابن إسحق أن القتل استعصر في بني نصر بن رثاب ، فزعموا
أن عبد الله بن قيس الذي يقال له ابنُ العوزاء وهو أحد بني وهب
ابن رثاب قال : يا رسول الله هلكتُ بدو رثاب فزعموا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجْزُ مَصِيبَتَهُمْ

* * *

وخرج مالك بن عوف عند المزيمة فوقف في فوارس من قومه على
ثنية من الطريق وقال لأصحابه : قفوا حتى يمضي ضعفائكم وتلحق آخركم .
فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من مُهمزمة الداس .
قال ابن هشام : وبلغني أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنية
فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوما واضعي رماحهم بين آذان
خيالهم طويلة بؤادهم^(١) . فقال : هؤلاء بدو سليم ولا بأس عليكم منهم
فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيلٌ أخرى تتبعها فقال
لأصحابه : ماذا ترون ، قالوا : نرى أقواماً عارضى أرماحهم أغفالا على
خيالهم . قال : هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا
إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم ثم اطلع فارسٌ فقال لأصحابه :
ماذا ترون ؟ قالوا : نرى فارساً طويل البادٍ واضعاً رمحاً على عاتقه
عاصباً رأسه بملاءة حمراء . فقال : هذا الزبير بن العوام وأحلف باللات
ليخالفنكم فاثبتوا له . فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فصمد
لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها .

(١) كذا والبواد : جمع باد ، وهو باطن العخذ .

[أخت الرسول من الرضاعة]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : إن قدرتم على إيجاد ، رجل من بني سعد بن بكر ، فلا يفتنكم وكان قد أحدث حدثا . فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشَّيَاء بنت الحارث بن عبد اللُزَيّ أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعَنَفُوا عليها في السَّيَاق فقالت للمسلمين : تعلّموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة . فلم يصدّقوها حتى أتوا بها النبي صلى الله عليه وسلم فلما انتهوا بها إليه قالت : يا رسول الله إني أختك . قال : وما علامة هذا ؟ قالت : عَصَّة عضضتُها في ظهري وأنا مُتَوَرِّكُكَ فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيّرَها وقال : إذا أحببتِ فعبدِي مُحَبَّةً مَكْرُومَةً وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلتُ .

قالت : بل تتمنى وتردني إلى قومي . ففتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّها إلى قومها . فزعمت بنو سعد أنه أعطاهم غلاما يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

[ما نزل من القرآن]

وأنزل الله تبارك وتعالى في يوم حنين : « لقد أنصركم الله في مواطن

كثيرة ويوم حُنين إذ أُعْجِبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فلم تُفْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ
عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ نَمَ وَلَيْتُمْ مُذْبِرِينَ . نَمَ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى
رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ
جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ^(١) .

[الشهداء]

واستشهد من المسلمين يوم حنين من قريش نَمَ من بنى هاشم : أَيْمَنُ
ابن عُبَيْدٍ مَوْلَاهُ . وَمَنْ بَنَى أَسَدُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ بْنُ الْأَسَدِ
ابن الأسود بن المطلب ، جَمَحَ بِهِ فَرَسٌ يَقَالُ لَهُ الْجَبَاحُ فَقَتَلَ .

وَمِنْ الْأَنْصَارِ : سُرَّاقَةُ بْنُ الْحَارِثِ الْعَبْجَلَانِي . وَمِنْ الْأَشْعَرِيِّينَ
أَبُو طَامِرٍ الْأَمْرِيُّ .

* * *

نَمَ جَمَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَا حُنَيْنٍ وَأَمْوَالَهُ
فَأَمَرَ بِهَا إِلَى الْجُمُرَانَةِ فَنُجِسَتْ بِهَا حَتَّى أَدْرَكَهَا هَذَاكَ مُنْصَرِفَةً عَنْ الطَّائِفِ
عَلَى مَا يَذْكُرُ بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[ما قيل من الشعر]

وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ :

(١) سورة التوبة ٢٥ . ٢٦ .

عَفَا مِجْدُلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَتَالِحُ فِطْلًا أُرِيكَ قَدْ خَلَا فَاَلْمَصَانِعُ^(١)
 دِبَارٌ لَنَا يَا جُلُّ إِذْ جُلُّ عِيشَتَا رَخِيٌّ وَصَرَفَ الدَّهْرَ لِلْحَيِّ جَامِعُ
 حَبِيبَةِ الْوَتِّ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى

كَبَيْنِ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعِيشِ رَاجِعُ
 فَإِنْ تَبْتَغَى^(٢) الْكَفَارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ

فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلَّهِ وَتَابِعُ
 دَعَانَا إِلَيْهِ خَيْرٌ وَقَدْ عَلِمْتُ^(٣)

خَزَنَتُهُ وَالْمَرَارَ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
 فَجئنا بِالْفِ مِنْ سَلِيمٍ عَلَيْهِم

أَبُوسَ لَهُمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ رَائِعُ
 نَبَاهِمَهُ بِالْأَخْشَبِينَ وَإِنَّمَا يَدُ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ نَبَاهِجُ
 فَجئنا مَعَ الْمَهْدِيِّ مَكَّةَ عَنُودَ

بِأَسْيَافِنَا وَالنَّقْعِ كَابٍ وَسَاطِعُ^(٤)
 عَلَانِيَةً وَالْحَلِيلِ يَفْشَى مَتُونَهَا

حَمِيمٌ وَأَنَّ مِنْ دَمِ الْجُوفِ نَاقِعُ

(١) مجدل ومثالع : موضعان . والطلا : يقصر ويمد : مسيل ضيق من الأرض .
 أو الأرض السهلة . وأريك : واد .
 (٢) ابن هشام : فإن تبتغي . وفي ت : فإن يتبع . وما أثبتته من ط .
 (٣) كذا في ط . وفي ت وابن هشام : علمتهم .
 (٤) النقع : القبار . والكابي : العالي . والساطع : المنتشر .

وَبِوَمَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنُ
إِلَيْسَا وَضَاقَتْ بِالْهَفُوسِ الْأَضَالِغُ
صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ^(١) لَا يَسْتَفْزِنَا
لَوْلَا كَخُذْرُوفِ^(٢) السَّحَابَةِ لَا مَعُ
عَشِيَةِ ضَحَّاكِ بْنِ سَفِيَّاتٍ مُتَعَمِّصٍ^(٣)
بَسِيفِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَوْتُ كَانِعٌ^(٤)
نَذُودُ أَخَانَا مِنْ أَخِيْنَا وَلَوْ نَرَى
مِصَالَا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ نَقَابِعُ^(٥)
وَلَكِنَّ دِينَ اللَّهِ دِينُ مُحَمَّدٍ
رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْمُدَى وَالشَّرَائِعُ
أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ أَمْرُنَا
وَالَيْسَ لِأَمْرِ خَلْقِهِ اللَّهُ دَافِعُ

* * *

(١) الضحّاك : من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم ، سمى به لكثرة تبسمه .

(٢) الخذروف . برق لامع في السحاب .

(٣) ت : متمص . عثرة . والمتمص : الضارب .

(٤) الكانم : القريب .

(٥) يريد أنه من بني سليم ، وسليم من قيس كما أن هوازن من قيس ، والصال .
مفعل من الصولة .

وقال عباس أيضا :

تقطعُ باقى وصل أم مؤمل
بعاقبة واستبدلت نية خلفا^(١)
وقد حلفت بالله لا تقطع النوى^(٢)
فما صدقت فيه ولا برت لـخلفا
خفافيه بطن للمقيق مصيبة^(٣)
وتحمل في البادين وجرة^(٤) فالعرفا
فإن تتبع الكفار أم مؤمل
فقد زودت قلبى على نايها شغفا
وسوف يُنبئها الخبيرُ باننا
أيننا ولم نطلب سوى ربنا خلفا
وإننا مع الهادى للبهى محمد
وفينا ولم نستوفها^(٤) معشر ألفا
بفتيان صدق من سلكهم أعزة
أطاعوا فما يعصون من أمره حرّفا

(١) نية : من النوى وهو البعد منه .

(٢) ت : لا تقطع القوى . محرفة .

(٣) ت : رجوة . محرفة . والخفافية : نسبة إلى خفاف ، حى من سليم . والبادون
المقيون في البادية . ووجرة والعرف : موضعان .

(٤) ابن هشام وابن كثير : ولم يستوفها .

خَفَافٌ وَذَكَوَانٌ وَعَوُفٌ نَحْلَمُ
 مَصَاعِبَ زَاغَتْ فِي طَرُوقِهَا كُفْلًا^(١)
 كَانَ النَّسِيجُ الشُّثْبُ وَالْبَيْضُ مَلْبَسُ
 أَسْوَدًا تَلَاغَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضْفًا^(٢)
 بِهَا عَزَّ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ تَنْفُحِلُ
 وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الَّذِي مَعَهُ ضِعْفًا
 بِمَسْكَةٍ إِذَا جِثْنَا كَانَ لَوَاءَنَا
 عُقَابٌ أَرَادَتْ بَعْدَ تَحْلِيلِهَا خَطْفًا
 عَلَى شَخْصِ الْأَبْصَارِ نَحْسَبُ بَيْنَهَا
 إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَوَارِدِهَا عَرْفًا^(٣)
 غَدَاةَ وَطَنِنَا الْمَشْرُكِينَ وَلَمْ نَجِدْ
 لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَدْلًا وَلَا مَرْفًا
 بِمَعْتَرِكٍ لَا يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسْطَهُ
 إِنَّا زَجَمَةٌ إِلَّا التَّسْذَامُ وَاللَّغْفَا^(٤)

(١) للمصاعب : الفحول وزاغت : تبغضت في مشيها والطارقة الناقة التي بامت
 أن يطرقتها الفحل والسكف : حم كفاء وهي الناقة التي كلفت حمرتها فام تصف وهي
 البيت على هذا مضطرب

(٢) الغضف : المسترخية أجفانها على أعينها غضباً وكراً .

(٣) كذا في ط و ن ابن مشام : مرادها عزفاً : و ن ت غرنا .

(٤) الزجة : التهمة بكلمة . والقف : كسر الهامة عن الدماغ أو ضربها أشد الضرب .

بييضٍ تطير الممام عن مُستقرِّها
وتقطف أحناق الكمأة بها قَطْفا
فكأن تركفا من قَتِيل مُلَحَّب^(١)
وأرْملة تدعو على بعلها لهْفا
رضا الله ننوى لارضا الناس نبتنى
ولله ما يبدو جميعا وما يخفى
وقال عباس [بن مرداس^(٢)] أيضا :
ما بال عينيك فيها عاثر سهر
مثل الحماطة أغصى فوقها الشُّر^(٣)
عينٌ تأوَّها من شجوها أرقت
فاللأ يغمرها طورا وينحدر
كانه نظم دُرَّة عند ناظمه
تقطع السُّلَّك منه فهو مُنْقَرُ
ما بعد منزل من ترجو مودته
ومن آلى دونه الصَّمان فالحفر^(٤)
دَعُ ما تقدَّم من عهد الشباب فقعد
ولَّى الشبابُ وزار الشيبُ والزَّعر^(٥)

(١) ملحَب : مقطوع .

(٢) من ت

(٣) المائر : كل ما أعل العين والحماطة : مشب خشن المس أو تبن النرة . والشفر
أصل منبت الشعر في الجفن

(٤) الصمان والحفر : موضعان

(٥) الزعر : قلة الشعر

واذكر بلاء سُلَيم في مَواطنها
 وفي سُلَيم لأهل الفخر مُفتخِرُ
 قومٌ همُ نَصروا الرِّحْمَ واتَّبَعُوا
 دِينَ الرِّسُولِ وَأَمْرُ الدِّينِ مُشْتَجِرُ
 الضَّارِبُونَ جَهْدَ الشَّرْكِ ضَاحِيَةً
 يَبْطِنُ مِنْهُكَ وَالْأَرْوَاحُ تُبْتَدِرُ
 حَتَّى رَفَعْنَا وَقَتْلَامُ كَانِهِمْ
 نَحْلُ بِظَاهِرَةِ الْبَطْنِاءِ مُنْقَرُ
 وَنَحْنُ يَوْمَ حَاتِنٍ كَانَتْ مَشْهَدُنَا
 لِلدِّينِ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ مُدْخَرُ^(١)
 إِذْ نَزَّكَبَ الْمَوْتَ تُخَضِّرَا بِطَائِنِهِ
 وَالْخَلِيلُ بِدَجَابِ عَنْهَا سَاطِعُ كَدْرُ
 تَحْتَ الْوَامِعِ^(٢) وَالضَّحَاكُ يَقْدَمُنَا
 كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْخَلْدَرُ^(٣)
 فِي مَازِقٍ مِنْ تَجَرٍّ الْحَرْبِ كُلِّهَا
 نَكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسِ أَسْفَلِنَا
 اللَّهُ نَنْصُرُ مِنْ شَيْئِنَا وَنَنْقُصُ

(١) سقط من ت .

(٢) كذا بالأصل و ابن هشام وابن كثير : تحت الوامع الضحك يقدمنا .

(٣) الخلد : الداخل في خدره .

حتى تأوب أقوامٌ منّا زلم
لولا اللّيك ولولا نحن ما صدروا
فما ترى معشراً قلّوا ولا كنّوا
إلا قد أصبح منا فيهم أثر^(١)
وقال عباس بن مرداس أيضاً رضى الله عنه :

يا أيها الرجل الذى تهوى به
ووجناء مُجمرة المناسم عِرمس^(٢)
إما أتيت على النّبىّ فقل له
حقاً عليك إذا اطمأن المجلسُ
يا خير من ركب المطى ومن مشى
فوق التراب إذا تَمَدَّ الأُنفسُ
إنا وفيّنا بالذى عاهدتنا
والخليل تُقدّع بالسكّاة وتُفُرس^(٣)
إذ سال من أفناء بهّة كلّها
جمّع تظل به الحارم ترُجس^(٤)

(٩) من ت .

(١٠) الوجناء : البارزة الوجنات ، والمناسم : أطراف خف البعير والمجرة : المستوية والعِرمس : الناقة للشابة .

(١١) تقدّع : تكبج وتفُرس : تبحر .

(١) بهّة : حى من سليم والحارم : الطرق فى الجبال . وترجس : تهتز .

(٢) الأشوس : التكبر .

(٣) الدخال : نسج الدرع .

(٤) العرندس : القوى

حتى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ قِيلًا
 شهباء يقدمها الممام الأشوس^(٥)
 من كل أغلب من سُلِّمَ فوقه
 ببيضاء مُحْكَمَةِ الدُّخَالِ وَقُونُسُ^(٦)
 وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِهَا
 أَلْفُ أَمِيدٍ بِهِ الرَّسُولُ عَرْنَدُسُ^(٧)
 كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيَّةً
 وَالشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمُ أَشْمُسُ^(٨)
 تَمُضِي وَيَحْرُسُهَا الْإِلَهِ بِحِفْظِهِ
 وَاللَّهُ لَيْسَ بِضَالِّهِمْ مِنْ يَحْرُسُ
 وَاقِدٌ حُبُّهَا بِالْمَسَاقِبِ مُحِبُّهَا
 رَضِيَ الْإِلَهِ بِهِمْ فَهَمَّ الْحَبْسُ^(٩)
 وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ شَدَدْنَا شِدَّةً
 كَفَتْ لِلْعَدُوِّ وَقِيلَ مِنْهَا يَحْبِسُ^(١٠)
 تَدْعُو هَوَازِنُ بِالْإِخَاءَةِ^(١١) يَبْدُو
 تَدْعِي تَمْدُّ بِهِ هَوَازِنُ أَيْدِسُ

(٥) الدريئة : السكتية المدافعة ورواية ابن هشام : عليهم أشمس .

(٦) المناقب : طريق الطائفة من مكة ورواية ابن هشام رضى الإله به .

(٧) ابن هشام : يا : احبسوا .

(٨) ت : بالإخاوة .

حتى تركنا جميعهم وكأنه
غير تعاقبه السباع مفروس

* * *

وقال عباس بن مرداس أيضا :
نصرنا رسول الله من غضب له
بألف كسي لا تمد حواسره
حلما له في عامل الرمح راية
يذود بها في حومة الموت ناصره
ونحن خضبها دماً فهو لونها
غداة حنين يوم صفوان شاجره
وكنّا على الإسلام ميمّة له
وكان لها عقد اللواء وشاهره
وكنّا له يوم الجنود بطانة
بشاورنا في أمره ونشاوره
دعانا فسمّانا الشعار مقدّما
وكنّا له عوناً على من يُناكره
جزى الله خيراً من نبيّ محمداً
وأبده بالبصر والله ناصره

غزوة الطائف

ولما قدم قلٌّ ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصعدوا
الصباح لقتال ، ولم يشهد حُنَيْذًا ولا للطائف^(١) عروة بن مسعود ولا
غَيْلان بن سلمة كانا بمجرش يقبلان صدقة الدبابات والمجانيق
والضُّبُور^(٢) .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من
حنين ، فقال كعب بن مالك حين أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
السَّير إليها :

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ
وخيبرَ نَمِ أَنْجَمْنَا لَاسِيَوْفَا
نَحْيَرَهَا وَابِو نَطَقْتَ لَقَالَتْ
قَوَاطِمُهُنَّ : دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ^(٣) إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مَنَّا الْوَفَا

(١) ابن هشام : ولا حصار الطائف .

(٢) الضُّبُور : الدبابات التي تقرب للحصون انتخب من تحتها .

(٣) لحاضن : لأم تحضن ولدها ، وذلك كناية عن الشرف والاسب .

قال أبو ذر : والله : لحاضن — بالصاد — وهي المرأة العفيفة كأنه يقول :
لست لرشدة .

وننتزع العروش ببطن وجّ
وتصبح دوركم منا خلوقاً
ويأتيكم لنا سرعان خيل
يفادر خلفه جمعاً كثيفاً
إذا نزلوا بساحتكم سمسم
لها مما أناخ بها رجيفاً
بأيديهم قواضب مُرَقَّفات
يُزِنُ المصطلين بها الختوقاً
كأمثال العقائق أخلصها
قيونُ الهند لم تُضرب كتيفاً^(١)
تمال جدية الأبطال فيها
غداة للروع جادياً مدوفاً^(٢)
أجدم أليس لهم نصيح
من الأقوام كان بها عريفاً
يخبرهم بأنا قد جمعنا
عشاق الخيل والنجب الطروفاً^(٣)
وأنا قد أتينا بزعحف
يحيط بسور حصنهم صُفوقاً

(١) الكتيّف : الضبة . قال السهيلي : وهي صفحة صغيرة .

(٢) الجدية : الدم السائل . والجاري : الزعران . والدوق : المبلول . ورواية

ابن هشام : غداة الزحف .

(٣) الطروف : الكرام من الخيل .

رئيسهم النبيّ وكان صليّاً
 نقيّ القلب مُصْطَبِراً عَزُوفاً
 رشيد الأمر ذا حُكْمٍ وَعِلْمٍ
 وحِلْمٍ لم يكن نَزَقاً خفيفاً
 نطيع نبينا ونطيع ربّاً
 هو الرحمن كان بنا رءوفاً
 فإن تَلَقَّوْا إِلَيْنا لِلسَّلَامِ تَقَبَّلْ
 ونَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُدًا وَرِيفاً^(١)
 وإن تَأْبَوْا نُجَاهِدْكُمْ وَنَحْصِرْ
 ولَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشًا ضَعِيفاً
 نُجَاهِدْ مَا بَقِيََا أَوْ تَذِيبُوا
 إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانًا مُضِيفاً^(٢)
 نَجَاهِدْ لَا نُبَالِي مَا أَقْبَىَا
 أَاخْلَكْنَا لِلتَّلَادِ أَمْ الطَّارِيفُ^(٣)
 وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَبَوْا عَلَيْنَا
 تَصْمِيمَ الْجِيْذِ مِنْهُمْ وَالْحَلِيفُ^(٤)
 أَنُونَا لَا يَرُونَ لِمِ كَفَّأَا
 فَجَدَعْنَا السَّامِعَ وَالْأَنُوفَا

(٤) الريف : الحصب . وامل التثنية : ورئها : ممتداً واسماً .

(١) مضيفاً : ملحقاً .

(٢) التلاد : القديم . والطريف : الجديد .

(٣) الجذم : الأصل .

بكل مهتد لين صقييل
 نسوقهم بها سوقا عيفا
 لأمر الله والإسلام حتى
 يقوم الدين معتدلا حنيفا
 وتُنسى اللات والعزى وود
 وتسلبها القلائد والشنوف^(١)
 فأمسوا قد أقرّوا واطمأنوا
 ومن لا يمتنع يقبل خسوفا

* * *

وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلة البمانية ، وانتهى إلى بئحة
 الرغاء فابتنى بها مسجداً فصلى فيه وأقام فيه يومئذ بدم رجل من هذيل قتله
 رجل من بني ليث فقتله به ، وهو أول دم أُفيد به في الإسلام ، وأمر في طريقه
 بمحصن مالك بن عوف فهدم . ثم سلك في طريق فسأل عن اسمها فقيل له الضبيقة
 فقال بل هي اليسرى . ثم خرج حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريباً من
 مال رجل من ثقيف فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرج
 وإما أن نخرب عليك حائطك . فأبى أن يخرج فأمر بإخراجه .

ثم مضى حتى نزل قريباً من الطائف ف ضرب به عسكره ، فقتل ناساً من
 أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النبل
 تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم أغلقوه دونهم .

فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي

(١) الشنوف : جمع شنف وهو القرط .

بالطائف اليوم فحاصروهم بضعا وعشرين ليلة . وقيل ابضع عشرة ليلة ومعه امرأتان من نساءه ، إحداهما أم سلمة ، فضرب لهما قبتين ثم صَلَّى بينهما ، فلما أسلمت ثقيف بنى عمرو بن أمية بن وهب بن مُعْتَب بن مالك على مُصَلَّاه ذلك مسجد . وكانت فيه سارية فيما يزعمون لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا تُسمع لها نقيض .

فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلهم قتالا شديدا ، وتراموا بالنبيل ، ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق فيما ذكر ابن هشام . قال : وهو أول من رمى به في الإسلام إذ ذاك .

حتى إذا كان يومُ الشَّذْخَةِ عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم رجموا بها إلى جدار الطائف ليحرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سلك الحديد عمدة بالدار ، فخرجوا من تحتها فرمهم بالنبيل فقتلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعقاب ثقيف فوق الناس فيها يقطعون ، وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف فناديا ثقيفا أن آمِدونا حتى نكلمكم فآمَدُوهُمَا . فدَعَوْا نساءً من قريش وبنى كنانة منهن ابنة أبي سفيان ليخرجن إليهما وهما يخافان عليهما للسَّيِّئ^(١) فَأَبَيْنَ ، فلما أَبَيْنَ قال لهما الأسود بن مسمود : يا أبا سفيان وبامغيرة ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال بني الأسود حيث علمنا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا بيده وبين الطائف بواد يقال له للعقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رِشَاء^(٢) ولا أشد مؤنة ولا أبعد حِمارة

(١) زاد ابن هشام : إذا فتح الحصن .

(٢) الرشاء : الحبيل . وهي كناية عن سمته .

من مال بنى الأسود وإن محمداً إن قطعه لم يعمّر أبداً ، فكلماء فليأخذه لنفسه
أو ليدعنه الله ولا رَحِمَ فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يجهل .

فرزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم . وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما ذكر لأبي بكر الصديق رضى الله عنه وهو مُحَاصِرُ ثَقِيفًا :
يا أبا بكر إني رأيت أنى أهدبت^(١) إلى قَعْبِهِ^(١) مملوءة زبدا فقهرها ديك فمراق
ما فيها . فقال : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إن خُوَيْلَةَ بنت حكيم السلمية ، امرأة عثمان بن مظعون قالت :
يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُلًى بادية بنت غَيْلان أو حُلًى
للقارعة ابنة عقيل . وكانتا من أحلى نساء ثَقِيف . فذكر أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذَنَ في ثَقِيفَ يا خُوَيْلَةَ ؟ فخرجت خُوَيْلَةَ
فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فدخل عمر على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما حديثُ حَدَّثْتَنِيهِ خُوَيْلَةَ ، زعمت أنك قلتها ؟
قال : قد قلتها . قال : أو ما أذن فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أؤذَنُ
بالرحيل ؟ قال : بلى فأذن عمر بالرحيل فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد :
ألا إن الحى مقيم . يقول عيينة بن حصن : أجل والله بحجة كراماً ! فقال
له رجل من المسلمين : فأنك الله يا عيينة ؟ أتمدح المشركين بالامتناع عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصره ؟ قال : إني والله ما جئت لأقاتل
ثَقِيفًا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثَقِيفَ جارية

(١) القعب : القدح الضخم .

أَنْطَمَهَا لَهَا تِلْدَ لِي رَجُلًا فَإِنْ ثَقِيفًا قَوْمٌ مِمَّا كَبِيرٌ^(١) .

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في إقامته عليهم عبيد لهم فأسلموا فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم في أولئك العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عتقاء الله .

واستشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ورجل من بني ليث . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف حتى نزل الجمرانة وإليها كان قدم سبي هوازن وأموالهم ، وقال له رجل من أصحابه يوم ظن من ثقيف : يا رسول الله ادع عليهم فقال : اللهم اهد ثقيفاً واثت بهم^(٢) .

[قدوم وفد هوازن]

ثم أتاه وفد هوازن بالجرانة ، وقد أسلموا ، وكان معه من سبيهم ستة آلاف من الثراري والنساء ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى ما عدته ، فقالوا : يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فادنن علينا من الله عليك ، وفام رجل منهم من سعد بن بكر يقال له زهير^(٣) يكنى بأبي صرد : فقال : يا رسول الله إنما هي الحظائر عثمانك وخالاتك وحواضك اللاتي كن تكفلنك ، ولو أنا ما نحنا^(٤) للعارث بن أبي شمر

(١) المناكير : ذوو الدماء . هذا وقد ذكر ابن كثير عن البيهقي أن هبنة بن حصن استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام . فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات و حصنهم وقال : لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار ، كلام طويل . سيرة ابن كثير ٦٥٩/٣ .

(٢) وقد روى الترمذي وصححه عن جابر أن المسلمين قالوا : يا رسول الله أسرفتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم . فقال : اللهم اهد ثقيفاً . ثم قال : هذا حديث حسن غريب .

(٣) ابن كثير : زهير بن صرد أبو صرد .

(٤) ملجأ : أرضنا .

أو للدهان بن المنذر . ثم نزل^(١) مما يمثل ما نزلت به رجونا عطفه ، وعائدتـه
عليها ، وأنت خير المكفولين . ثم أنشأ يقول^(٢) :

أمن عليا رسول الله في كرم فإنك المرء ترجوه وننتظر
أمن على بيضة قد عاقها قدر مفرق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الحرب هتافاً على حزن على قلوبهم الغماء وللغم^(٣)
إن لم تداركهم نعماء تنشرها يا أرجح الناس حلياً حين يحتبر
أمن على نسوة قد كفت ترضعها إذ فوك تملأ من تحضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كفت ترضعها وإذا يزيك ما تأنى وما تدر
لا تجعلنا كن شالت نعماته واستبق منا فإننا معشر زهر
إنا لشكر للنعمة وقد كُفرت^(٤) وعقدنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كفت ترضعه من أمهاتك إن العفو يشهر
إنا نؤمل عفواً منك تلبسه هذى البرية أن تعفو وتقتصر
فاعفُ عفا الله عما أنت راهبه يوم القيامة إذ يهذى لك الظفر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم
أم أموالكم » ؟ فقالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد
إلينا نساءنا وأبنائنا فهو أحب إلينا . فقال لهم : « أما ما كان لى ولبنى
عبد المطلب فهو لكم وإذا أنا صليت الظهر بالذاس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع
برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا . فسأعطيكـم
عند ذلك وأسأل لكم » .

(١) ابن هشام : ثم نزل .

(٢) لم يذكر ابن هشام هذا الشعر .

(٣) الغمر : بالتحريك : الحقد .

(٤) ابن كثير : إنا لشكر آلاء وإن كُفرت .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذي أُمروا به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عُمَيْيَلَةُ بْنُ حِصْنٍ : أما أنا وبنو قُرَازَةَ فلا .

وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سُلَيْمٍ فلا . فقالت بدو سليم : بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عباس : وهنمتوني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أما من نمتك منكم بحقه من هذا للشيء فله بكل إنسان ست فرائض من أول شيء أصيبه فردُّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم » .

وكان عُمَيْيَلَةُ بْنُ حِصْنٍ أخذ مجوزاً من مجائزهم وقال حين أخذها : أرى مجوزاً إنني لأحسب أن لها في الحى نسباً وعمى أن يعظم فداؤها . فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشكايًا بست فرائض أبي أن يردّها ، فقال له زهير أبو صُرَدٍ^(١) : خذها عنك فوالله ما قوها ببارد ولا نذيتها بناهد ولا بطنها بوالد ولا زوجها بواجد ولا دَرَّها بما كِدَ^(٢) . فردّها بست فرائض حين قال له زهير ما قال .

* * *

(١) ابن كثير : ابن صرد .

(٢) III الكد : المزير .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد هوازن : ما فعل مالك بن عوف ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف . فقال لهم : أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً ردّدتُ عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل . فأني مالك بذلك تخاف ثقيفاً أن يعلموا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحبسوه ، فأمر براحلته فهبئت له وأمر بفرس له فأني به بالطائف ، فخرج ليلا على فرسه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجعرانة أو بمكة ، فردّ عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل وأسلم فحسن إسلامه وقال :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجَزِيل إذا اجتهدى
ومنى تشأ يُنْخِرَكَ عما في غد
وإذا الكتيبة عرّدت أنيابها
بالسُمُرى وضرب كل مهتد^(١)
فكانه ليث على أشباله وسط الهبأة خادِر في مرصد^(٢)

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من أسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم فقال أبو مخنف بن حبيب الثقفي^(٣) :

(١) عرّدت : اشتدت وضربت .

(٢) الهبأة : غبار الحرب . والحادر : القم في عرينه .

(٣) أبو مخنف بن حبيب بن عمرو بن حمير الثقفي ، والبيتان مع ثالث في ابن هشام

و في تاريخ الطبري ١٦٧٨ (ط أوربا) .

هابت الأعـداء جانبنا ثم تَغزونا بـسـو سلمة
وأنا مالِكُ بهمُ نأقضا للعهدِ والتحرمة
[قَسَمَ الغنائم]

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردِّ سبايا حنين إلى أهلها
ركب واتبعه الناس بقولون : يا رسول الله اقسـم علينا فيثنا . للإبل والغنم ، حتى
الجاؤه إلى شجرة فاخـطفت عنه رداءه فقال : « ردُّوا علىَّ ردائي أيها الناس
فوالله إنه لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعمةً اقسـمته عليكم ثم ما ألفتكموني
بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا » . ثم قام إلى جنب بعير فأخذ وبرّةً من سنامه
فرفعها ثم قال : « أيها الناس والله مالي من فيئكم ولا هذه البرّة إلا الخمس
والخمس مردود عليكم فأدُّوا ، الخياط^(١) ، والمخيط ، فإن للأول يكون على
أهله عارا وشئارا ونارا يوم القيامة » .

فجاء رجل من الأنصار بكبة^(٢) من خيوط شعر فقال : يا رسول الله
أخذت هذه للكبة أعمل بها برّذعة بعير لي دبر^(٣) . فقال : أما نصيب
منها فلك . قال : أما إذ بانـت ذلك فلا حاجة لي بها . ثم طرحها
من يده .

ويروى أن عقيل بن أبي طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة

(١) كذا في ابن هشام والطبري : فأدوا الخياط والمخيط .

(٢) الكبة : الخيوط المهنمة .

(٣) الدبر : القروح .

بنت شيبه وسيفه متلطخ دماً فقالت : إني قد عرفت أنك قد قاتلت فإذا أصبت من غنائم المشركين ؟ قال : دونك هذه الإبرة تخيطين ثيابك . قدفعها إليها فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئاً فليردّه حتى الخائط والمخيط . فرجع عقيل فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت ! وأخذما فألقاهما في الغنائم .

* * *

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرفاً من أشرف الناس بتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام والحارث بن كلفة ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى وصفوان بن أمية ، وكل هؤلاء من أشرف قريش والأفرع بن حابس النخعي وعيينة بن حصن الغزاري ومالك بن عوف النضري ، كل واحد من هؤلاء المسلمين من قريش وغيرهم مائة بعير . وأعطى دون المائة رجالاً من قريش منهم مخزومة بن نوفل وعُمير بن وهب ، وأعطى سميد بن بربوع الخزومي وعدي بن قيس السهمي خمسين خسين ، وأعطى عباس بن مرداس أبا عير فسخطها^(١) وقال يماذب فيها للبي صلى الله عليه وسلم :

كانت نهاباً تلاقيتها بكرى على النهر في الأجرع^(٢)
وإيقاظي القوم^(٣) أن يرقدوا إذا هجع الناس لم أهجع

(١) الطبرى : فسخطها .

(٢) النهاب : جمع نهب . والأجرع : الأرض ذات المزونة .

(٣) ابن كثير : وإيقاظي الناس .

فأصبح نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تدرا (١) فلم أعط شيئا ولم أمتع (٢)
إلا أنابل أعطيتهما عديد قوائمه الأربع (٣)
وما كان حصن ولا حابس يقو فان برداس في مجهم
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضم اليوم لا يرفع
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا فاقطعوا عني لسانه .
فأعطاه حتى رضى فكان ذلك قطع لسانه .

وذكر ابن هشام أن عباسا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القاتل :

فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة
فقال أبو بكر : بين عيينة والأقرع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
هما واحد . فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ
وَمَا يَنْبَغِي لَهُ » .

وذكر ابن عتبة أن عباسا لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع
لسانه فزع لها وقال : من لا يعرف أمر عباس يمثل به . فأنى به إلى الغنائم
ف قيل له : خذ منها ما شئت . فقل عباس : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يقطع لسانى بالمعطاء بعد أن تكلمت . فتكره أن يأخذ منها شيئا
فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلة فقبلها ولبسها .

وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل من أصحابه : يا رسول الله :

(١) ذا تدرا : ذا عناء ودق .

(٢) الأمت : الضمات من الإبل .

أعطيت عبيدة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة وترك عتيل بن سراقه للضمري ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والذي نفس محمد بيده لجتيل بن سراقه خير من طلاع الأرض كلهم مثل عبيدة والأقرع ولكني تألفتكما ليسلما ووكلت جميل بن سراقه إلى إسلامه » .

[ذو الخويصرة]

وجاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعطى الناس فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل فكيف رأيت ؟ قال : لم أرك عدلت . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ ! فقال عمر بن الخطاب ألا نقله ؟ فقال : لا دعوه فإنه سيكون له شيمة يعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، يُنظر في التصل فلا يوجد شيء ، ثم في القذح فلا يوجد شيء ، ثم في الفوق^(١) فلا يوجد شيء . سبق الفرث والدم .

[الأنصار والنضائم]

ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى في قريش وفي قبائل العرب ولم يمت الأنصار شيئاً وجدوا في أنفسهم حتى كثرت منهم الغالة وحتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه . وذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت قال يعاتبه في ذلك :

زاد الموم فاه العين منعدر سحاً إذا حفلته عبرة^(٢) دِر

(١) الفوق : موضع الوتر من السهم .

(٢) ابن هشام : زادت موم . والسح : المصب . وحفلته : جمته .

وَجَدَا بِشَمَاءَ إِذْ شَمَاءَ بَهْكَةً هَيَّأَهُ لَا ذَنْنَ فِيهَا وَلَا خَوْرٌ^(١)
 دَعَاكَ شَمَاءَ إِذْ كَانَتْ مَوْدِنَهَا نَزَرَا وَشَرُّ وَصَالِ الْوَصَالِ النَّزَرُ^(٢)
 وَاتَّ الرَّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدُّدُ الْبَشَرِ
 عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَازِحَةٌ قَدَّامَ قَوْمٍ هُمْ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا
 سَمَاءُ اللَّهِ أَنْصَارًا يَنْصُرُهُمْ

دِينِ الْمَدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَمِرُّ^(٣)
 وَسَارَ هَوَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا لِلدَّائِبَاتِ وَمَا خَافُوا وَمَا ضَعِفُوا^(٤)
 وَالنَّاسُ أَلْبَسَ عَلَيْنَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفُ وَأَطْرَافُ الْقَنَا وَزَرُ
 تُجَالِدِ النَّاسَ لَا تُبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَلَا نَضِيحٌ مَا تَوْحَى بِهِ الشُّورُ
 وَلَا تَهَزَّ جُدَّةُ الْحَرْبِ نَادِينَا وَنَحْنُ حِينَ تَلْظِي نَارُهَا سُمُرٌ^(٥)
 كَمَا رَدَدْنَا بَيْدَرٍ دُونَ مَا طَلَبُوا أَهْلَ الْإِنْفَاقِ وَفِيهَا يَنْزِلُ الظُّفَرُ
 وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّفِّ^(٦) مِنْ أَحَدٍ

إِذْ حَزَبَتْ بَطْرًا أَحْزَابَهَا مُفْعَرٌ
 فَمَا وَنِينَا وَلَا خِينَا^(٧) وَمَا حَبَرُوا
 مِمَّا عَثَارَا وَكَلَّ النَّفَاسُ قَدْ عَثَرُوا

(١) البهكة : الشابة الغضة . والذئن : القدر . والحور : الغصن .

(٢) النزر : الدليل .

(٣) العوان : الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى .

(٤) اعترفوا : سبوا . وى ابن كثير : واعترضوا للدائبات .

(٥) تهر : تسكره . وجدة الحرب : أبطالها . والسمر : من يوقدون الحرب .

(٦) النف : أسفل الجبل .

(٧) ابن معمر : وما ختنا وحننا : جبننا .

فدخل سعد بن عبادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك لما صنعت في هذا القىء الذى أصبت به ، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظايا في قبائل العرب ولم يك في هذا الحى من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي^(١) . قال : فاجمع لى قومك في هذه الحظيرة . فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا له أعلمه سعد بهم فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو له^(٢) ثم قال : « يا معشر الأنصار ما قلته بلغتنى عنكم وجدة^(٣) وجدتوها على في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله وعالةً فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بل الله ورسوله آمن وأفضل . ثم قال : ألا نجيئوني يا معشر الأنصار ؟ قالوا بماذا نجيئك يا رسول الله ، لله ورسوله المنُّ والفضل . فقال صلوات الله عليه : « أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم : أتينا مكذباً فصدقناك وغخذولاً فنصرناك وطريداً فأوينناك وعائلاً فأسينناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لئاعة^(٤) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترّضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنتُ امرأاً من الأنصار ولو سلك الناس شِعْباً

(١) ابن كثير : ما أنا إلا امرؤ من قومي .

(٢) ابن هشام وابن كثير : بما هو أهله .

(٣) كذا بالأصل وابن هشام ، وفي الطبرى : وموجدة . قال أبو ذر : اللوَجدة :

العتاب وتروى : جدة .

(٤) اللعاعة : الجرعة من الشراب ، والكلاء الخفيف .

وسلكت الأنصار شعباً سلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء
الأنصار وأبناء أبناء الأنصار .

فبكى القوم حتى أخضلوا لحهم وقالوا : رضينا برسول الله صلى الله عليه
وسلم قسماً وحفظاً^(١) . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا .

[عمره الجمرات]

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجمرات ممتراً ، وأمر ببقايا
الفيء فحبس بمجنة بداحية | مرّاً^(٢) للظن أن ، فلما فرغ من عمرته انصرف
راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل
بفقه الناس في الدين وبعلمهم القرآن ، وأتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببقايا الفيء .

ولما استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتباناً على مكة رزقه في كل يوم
درهماً ، فقام عتاب خطيباً في الناس فقال : أيها الناس أجاع الله كبد من جاع
على درهم ، فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهماً كل يوم فليست بي
حاجة إلى أحد .

وكانت عُمره رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، وقدم المدينة
في بقيته أو في أول ذي الحجة .

وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه وحج عتاب بن
أسيد بالمسلمين فيها وهي سنة ثمان .

(١) ابن كثير : رضينا بالله ربنا ورسوله نسوا .

(٢) من ابن هشام والطبري .

وأقام أهل الطائف على شرِّهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذى القعدة
إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رمضان سنة تسع .

[إسلام كعب بن زهير]

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره هذا منصرفاً عن الطائف
كتب بجيِّر بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد قتل رجلاً بجلاً بمكة ممن كان يهجوّه ويؤذيه ، وأن من
بقي من شعراء قريش ابن الزُّبَيْرِ وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب قد هربوا في كل
وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطِرْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإنه لا يقتل أحداً جاء تائباً إن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجاتك من الأرض .

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به
من كان في حاضره من عدوّه فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بدأ قال
قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فيها خوفه
وإرجاف الوشاة به ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل من جهينة كانت
بيده وبينه معرفة ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح
فصلى معه ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هذا رسول الله فقم
إليه فاستأمنه . فذكر أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس إليه
فوضع يده في يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال : يا رسول
الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابلٌ منه
إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : أنا يا رسول
الله كعب بن زهير ، فوثب عليه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله دَعْنِي
 وعدوّ الله أضرب عنقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دَعْنِكَ فإنه

قد جاء ما تأثبا نازعا . فغضب كعبٌ على الأنصار لما صنع به صاحبهم ومدح
المهاجرين دونهم إذ لم يتكلم فيه رجل منهم إلا بخير .
والقصيدة التي قالها كعب في ذلك وذكر أنه أنشدها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المسجد :

بِأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي لِلْيَوْمِ مَتَّبِعُـوْلُ
مقيم عندها لم يُجَزَّ مكبول^(١)
وما سعادُ غداة للبين إذ برزت^(٢)
إِلَّا أَغْنُ غَضِيضُ الطَّارِفِ مَكْبُولُ
نجلو عوارضَ ذى ظلم إذا ابتسمت
كأنه مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَمْلُولُ^(٣)
شُجَّتْ بِذِي شَمِّ مِنْ مَاءِ تَحْنِيَةِ
صَافٍ بِأَبْلَحِ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ^(٤)
تَذْفِي الرِّيحُ لِلَّذِي عَدَّ وَأَفْرَطَهُ
مِنْ صَوْبِ غَادِيَةِ بَيْضٍ بِمَا يَسْلُ^(٥)

(١) ابن هشام : متب لها . و ابن هشام وابن كثير : لم يفد مكبول . و بيات :
بمدت . و المتبول : السقيم من الحب . و المكبول : اللقيد .
(٢) ابن هشام وابن كثير : إذ رحلوا . و الأعن : الطلي .
(٣) تجلوا : تسكف . و الظلم : يريق الأسنان و يياضها . و الراح : الحر .
(٤) شجيت : مزحت . و الشم : الشديد البرد . و الحنية : منطاف الوادي . و المشمول :
الذي ضربته ريح شمال حتى برد .
(٥) أفرطه : سقى إليه . و الصوب : المطر . و الغادية : السحابة تملأ غيرة .
و الباليل : السحب البهيس .

وَيَلْمُهَا خُلَّةً^(١) لو أنها صدقت
بوعدها أو لو أن النصح مقبول
لكنها خُلَّةٌ قد سيط من دسها
فَجَع وَوَلَع وإخلاف وتبديل^(٢)
فما تدوم على حال تكون بها
كما تلون في ألوانها القول
كانت مواعيد عُرُوب لها مثلاً
وما مواعيدها إلا الأباطيل
فلا يغرنك مامنت وما وعدت
إن الأمانى والأحلام تضليل
أمنت سعاد بأرض لا تبلغها
إلا للعقابي للنجيبات المراسيل
ولا يبلغها إلا عذافرة^(٣)
فيها على الأبن إرقال وتبغيل^(٤)
من كل نضاجة الدفري إذا عرفت
عُرُضتها طامس الأعلام مجهول^(٥)

(١) ابن هشام وابن كثير : فيالها خلة .

(٢) الخلة : الصعبة . وسيط : خاط . والنجم : الإصابة بالكروه . والولع : الكذب .

(٣) العذافرة : العظم الشديد من الإبل . والأين : التسب . والإرقال : الإسراع والتبغيل : ضرب من سير الإبل .

(٤) النضاجة : الغزيرة . والدفري : العظم الشاخص خلف الأذن . وعرضتها : وجهتها . وطامس الأعلام : المنير الذي لا يهتدى فيه .

خَنَمٌ مُقَلِّدًا قَمٌ مُقَيِّدًا
 في خلقها عن بنات الفحل تفضيل^(١)
 حَرَفٌ أَخُوها أَبُوها من مُهَجَّة
 وعُثمها خالها قَوْدَاهُ شَمْلِيل^(٢)
 كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعِهَا وَقَدْ عَرَقَتْ
 وَقَدْ تَلَمَّعَ بِالْقَوْرِ الْقَسَّاسُ اقِيل^(٣)
 أَوْبٌ يَدَيَّ شَمَطَاءَ مُمُولَةٍ
 قَامَتْ فجاوبها نَسَكْدُ مَشَا كَيْل^(٤)
 نَوَاحِي رَخْوَةٍ الضَّبَبِ بْنِ لَيْسَ لَهَا
 لَمَّا نَمَى بِكَرْهَا النَّاعُونَ مَقُول^(٥)
 تَفَرَّى اللَّبَّانُ بِكَفَّيْهَا وَمِذْرَعَاهَا
 مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِييْهَا رَعَايِيل^(٦)
 تَمَشَّى الْغَوَاةَ بِحَنْبِيئِهَا^(٧) وَقَوْلُهَا
 إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَيْمٍ لَمَقْتُولُ

-
- (١) المقلد : موضح القلادة من العنق . والقَم : المَتَلَّى .
 (٢) الحرف : الناقة الضامرة أو العظيمة . والقوداء : الشديدة العنق . والشمليل :
 السريعة .
 (٣) الأوب : رجع القوائم في السير . والقور : جمع لارة وهو الجبل الصغير
 والعسايل : السراب .
 (٤) الشمطاء : التي خالطها الشيب . والممولة : الصائحة بالسكاء . والنسكد :
 جمع نسكداء وهي التي لا يبق لها ولد . والثاكيل : جمع مثكلة وهي التي لزمها الشكل .
 (٥) الرخوة : السرخية . والضم : المضد .
 (٦) اللبان : الصدر . والمدرج : القميص . والرعايل : العنق .
 (٧) ابن هشام وابن كثير : تسمى الغواة حنابها .

وقال كلُّ صديقٍ حَكَتْ آملُهُ
 لا أُلْهِمَنَّكَ إِنِّي عَمَّكَ مَشْغُولُ
 فقلت خَلَوْا طَرِيقِي لَا أَبَالِكُمْ
 فَكُلْ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
 كل ابنِ أُنثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
 يَوْمًا عَلَى آلَةٍ خَدَّيَاهُ مَحْمُولُ
 فَبُذِّتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
 وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
 مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً لَا
 لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ
 أَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَطَاوِيلِ
 لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ
 يَرَى وَيَسْمَعُ^(١) مَا قَدْ أَسْمَعُ الْقَلِيلُ
 لَظَلُّ يَرْعَدُ مِنْ خَوْفِ بَوَادِرِهِ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْوِيلُ^(٢)
 حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنَا زَعْمُهَا
 فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ قَوْلُهُ^(٣) الْقَلِيلُ

(١) ابن هشام : أرى وأسمع .

(٢) الرواية في ابن هشام وابن كثير :

لَظَلُّ يَرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ الرُّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ

(٣) ابن هشام : قبله القليل .

فَلَهُوَ أَخَوْفٌ عِنْدِي إِذَا كَلَّمَهُ
 وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولٌ
 مِنْ ضَيْفِهِمْ بِغُرَاءِ الْأَرْضِ تُخَذَّرُهُ
 فِي بَطْنِ عَثْرٍ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلٌ^(١)
 إِنَّ الرِّسُولَ لَأَوْرَثَ بِسَفْهَاءَ بِهِ
 مُمَنَّدٌ مِنْ سَيْوفِ اللَّهِ مَسْئُولٌ
 فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ فَاتْلُمُ
 بَطْنُ مَكَّةَ لِمَا أَسْلَمُوا زُولُوا
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كَشَفٌ
 عَقْدُ الْإِقَامِ وَلَا مَيْلٌ مَتَازِيلٌ^(٢)
 يَمْشُونَ مَشَى الْجَلَدِ الرَّهْمِ يَنْصَحُهُمْ
 ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السَّوْدُ التَّنَائِيلُ^(٣)
 شَمَّ الْقَرَانِينَ أَبْطَالُ آبُوسَـمٍ
 مِنْ شَجِّ دَاوُدَ فِي الْحَيْجَةِ سَرَابِيلُ
 يَبِضُّ سَوَانِجٌ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَاقُ
 كَأَنَّهُا خَلَقَ الْقَتَمَاءَ مَجْدُولُ^(٤)

(١) الغُرَاء : الأَرْض المستوية . وَاشْخَر : أَجَمَ الأسد . وَعَثْر : موضع كثير الأسود .
 وَالغَيْل : الشَّجَر يتخذهُ الأسد مأوًى لَهُ .
 (٢) الْأَنْكَاس : جَم نَسَكس وهو الجبان . وَالْمَتَازِيل : الَّذِينَ لَا سِلَاحَ لَهُمْ .
 (٣) عَرَد : هَرَب . وَالتَّنَائِيل : الْفَصَار . مَفْرَد : تَنْبَال .
 (٤) الْقَتَمَاء : شَجَرَةٌ يَدْبِتُ فِيهَا حَقِ كَعَلَقِ الْخَوَانِمِ إِلَّا أَنَّهُ لَا تَلْتَقِ .

لِيسُوا مَقَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحَهُمْ .
 قَوْمًا وَلِيسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نَجَلُوا
 لَا يَقَعُ الظُّلْمُ إِلَّا فِي نَحْوِهِمْ
 لَيْسَ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلٌ^(١) .

* * *

ويروى أن كعباً لما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 إِنْ الرُّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
 مَهْدٌ مِنْ سَيْفِ اللَّهِ مَسْلُوكُ
 أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى الخلق : أَيْ اسْمَعُوا . تعجباً
 بقوله .

ومن مُسْتَعْجَادِ شَعْرِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ قَوْلُهُ أَيْضًا يَمْدَحُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

تَحْدَى^(٢) بِهِ النَّاقَةُ الْأَذْمَاءُ مُسْتَعْجِرَا
 بِالْبُرْدِ كَأَنبَدْرٍ جَلَّى لِيَسْلَةَ الظُّلْمَ
 وَفِي عِطَافِيهِ أَوْ أُنْدَاءُ بُرْدَتِهِ

ما يعلم الله من دين ومن كرم
 ولما قال كعب في لاميته المتقدمة : إِذَا عَرَّدَ السُّودَ التَّنَائِيلَ . يريد الأنصار
 وخص المهاجرين بمدحهم دونهم غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدحهم

(٢) ابن مشام : وما لهم من حياض الموت .. وفي ابن كثير : ولا لهم الخ ، والتهليل :
 النكوس والإحجام .

(٣) تحدى : تسرع .

(٤) الروض الأنف ٢ / ٣١٥ : ففي عطافيه .

وبذكر بلادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعهم من الدين ، وقال
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه على ذلك وقال لما أشده القصيدة
المقدمة : لولا ذرات الأنصار بغيره وإن الأنصار لذلك أهل ؟ فقال كتب هذه
الآيات :

من سرته لم الحية فلا يزل
في ثقب^(١) من صالح الأنصار
ويرثوا المكرم كآراء عن كابر
إن الحية ار هم بنو الأحيار
المكرمين الشهري^(٢) أدمع
السوالف الهندي غير قصار^(٣)
والناظرين بأعين نخبة
كالجند غير كيلة الإبحار
والبائسين نفوسهم النسيم
الدوت بهم تعانق وكرار
بظهورن برونه نشكالهم
بدماء من غلقوا من الكهـار
دروا كما ذربت ببطان خفية
عاب الرطاب من الأسود ضواري^(٤)

(١) الثقب : الجماعة من الخيل .

(٢) الشهري : الرمح الصلب . والهندي : الدم . وسوالفه : حواشيه .

(٣) خفية : موسم كثير الأسود والغلب : التلاط الأعناق .

وإذا حُلِّتْ لِمَعْمُوكَ إِلَهُم
أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاوِلِ الْأَغْفَارِ^(١)
ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ بَذْرِ ضَرْبَةً
دَانَتْ لَوَقْعَتِهَا جَمِيعُ نَزَارِ^(٢)
لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عَلَيَّ كَلَهُ
فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الدِّينُ أُمَارِي
قَوْمٌ إِذَا خُوتَ النُّجُومُ فَأَنَّهُمْ
لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِي
فِي الْغَرَّةِ مِنْ غَسَّانٍ فِي جُرْنُومَةٍ
أَعْيَتْ مَحَافِرُهَا عَلَى الْمُخَفَّارِ^(٣)

[إسلام عبد الله بن الزبير]

وكان عبد الله بن الزبيرى السَّهْمى شاعر قيس ولسانها فى مناقضة حسان
ابن ثابت وغيره من شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له فى ذلك أشعار
كثيرة ذكرها ابن إسحق فى مواضعها وأخبرنا نحن عنها وعن سائر أشعار
الجاهلية لما فيها من تنقص الإسلام والذيل من أهله ، فلما كان عام الفتح فرّ ابن
الزبيرى إلى نجران فرماه حسان بن ثابت ببئيت واحد ما زاد عليه وهو :

(١) الأغفار: جم غفر بهنج الغين وضها أكثر، وهو ولد الأروية وهي أثنى العول.

(۲) ضربوا علیا : یزید بہ علی بن مسعود بن مازن الغسانی ولایہ تناسب بنو کنانۃ ،

يريد : ضربوا قريشاً لأنهم من بني كنانة .

(٣) ابن هشام : على المقار .

لَا تَعْدَمَنَّ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُغْضَهُ
تَجَرَّانَ فِي عَيْشٍ أَخَذَ^(١) لَيْثِي
فلما بلغ ذلك ابن الزُّبَيْرِ خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم
وقال في ذلك أشعاراً منها في أبيات :

يا رسول الملك إن لسانى
رَأَيْتُ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا نَوْرُ
إِذْ أَبَارَى الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ^(٢) غِيٍّ وَمِنْ مَالٍ مَثِيلِهِ مَقْبُورُ
وقال أيضاً حين أسلم :

مَدَّعِ الرِّقَادَ بَلَابِلَ^(٣) وَهَمُومُ
وَالْإِيلَ مَتَلَعِجُ الرُّوَاقِ^(٤) سِيمُ
مِمَّا أَنَا فِي أَنْ أَحْمَدَ لَامَنِي
فِيهِ فَبِتَ كَسَانِي مَحْمُومُ
بِاخِيرٍ مِنْ تَحَلَّتْ عَلَى أَوْصَالِهَا
عَيْرَانَةُ^(٥) سُرُحِ الْيَدَيْنِ غَشُومُ^(٦)
إِنِّي لَمُعْذَرٍ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي
أَسْدَبْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهْمُ
أَيْسَامُ تَأْمَرُنِي بِأَعْوَى خَطِيئَةٍ
تَهْمُ^(٧) وَتَأْمَرُنِي بِهِيَ مَخْزُومُ

(١) الأخذ : القليل المتقطع . ووط : أجد .
(٢) متلعج الرواق : عند الإلامه ، أى طويل . واليهيم : الظلم .
(٣) العيرانة من الإيل : الحاجية و نشاط . وسرح اليدين : سريتهما و المني .

وَأَمْدُ أَسْبَابِ الرَّدَى وَيَقُودُنِي
أَمْرُ الْفُتَاةِ وَأَمْرُ مَشْمُومُ
فَالْيَوْمَ آمَنَ بِاللَّهِ عَمْدُ
قَابِي وَخَطِيءُ هَذِهِ مَحْرُومُ
مَضَتْ الْعِدَاوَةُ فَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا
وَدَعَتْ أَوَامِرُ يَبْلِسَا وَحُلُومُ
خَافَقِرَ فِدَى لَكَ وَالِدَايَ كَلَامَا
زَالَى فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِكِ عِلَامَةُ
نُورٍ أَغْرَى وَخَانِمِ مَخْتُومُ
أَعْطَاكَ بِمَدِّ حَبِيبَةٍ بَرَاهَنُ
شَرَفًا وَبِرْهَانُ الْإِلَهِ عَظِيمُ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنْ دِينِكَ صَادِقُ
حَقُّ وَأَنْكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمُ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفَى
مُتَقَبَّلٌ فِي الصَّلَاةِ الْحَيْنِ كَرِيمُ
قَرْنٌ عِلَا بَنِيهِ إِنَّهُ مِنْ هَاشِمِ
فَرَعٌ تَمَكَّنَ فِي الدَّرَى وَأُرُومِ^(١)

(٣) القرم : السيد . والأروم : الأسول . قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يشكرها له .

غزوة تبوك

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصرفه من عمرة الجعرانة ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم أسرا أصحابه بالتميز واغزو الروم ، وذلك في زمان عُسرة من الناس وشدة من الحر وجذب من البلاد ، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في غارهم وظلالهم ويكرهون للشخص على الحال من الزمان الذي هم عليه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلَّ ما يخرج في سنة إلا ورى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يعمد إليه ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه يبتغي للناس ابتداء الشقة وشدة الزمان واثرة العدو الذي يعمد إليه ، ليقاها الناس لذلك أهيبته .

فأمر الناس بالحماز ، وأحبرهم أنه يريد الروم .

المذاقون |

فقال صلى الله عليه ذات يوم وهو في جماعته للحدث بن قيس أحد بني سلمة :
ياحدث هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي أنه مامن رجل أشدَّ شجبا بالنساء مني ، وإنني أحشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصير . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أدت لك ، فعليه نرات : « ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني . ألا في العتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين »^(١) .
أي إن كان إنما خشي^(٢) العتنة من نساء بني الأصفر وليس ذلك به لما سقط فيه

(١) سورة التوبة ٤٩

(٢) المأوى : إنما يخشى .

من الفتنة أكبر لاختلافه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول : وإن جهنم لمن وراثته .

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحرّ : زهادة في الجهاد وشكا في الحق وإرجافاً بالرسول ، فأنزل الله فيهم : « وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نارُ جهنم أشدّ حرّاً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً ولينبسكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون^(١) » .

وانع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أناساً من المنافقين يجتمعون في بيت شه بلم اليهودى بثبطون الناس عنه في غزوة تبوك ، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نهر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم البيت وفمل طلحة ، فاقترح الضحك بن خليفة من ظهر البيت فانبكسرت رجله واقتحم أصحابه فأفلتوا فقال للضحك في ذلك :

كادت وبيت الله نـارُ محمد
بشيط بها الضحك وابن أبيرق
وظلت وقد طهقت كبس^(٢) سويلم
أنوء على رجل كسيرا ومرفقي
سلامٌ عليكم — لا أعود لمثلها
أحاف ومن تشمل به النار يحرق

* * *

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّ في سفره وأمر الناس بالجهاد

(١) سورة التوبة ٨١ ، ٨٢ .

(٢) الكبس : بيت من طين .

والانكماش ، وخص " أهل الغنى على الفقرة والحملان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ مثلها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارضَ عن عثمان فإني عنه راضٍ » .

ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاءون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ، سالم بن عمير وعُتبة بن زيد وأبو ليلى بن كعب ، وعمر بن حمام ، وهَرَمِي^(١) بن عبد الله ، وعبد الله بن مُعقل المزني ، وبقال عبد الله بن عمرو المزني وعِزْبَاض بن سارية للفراري ، فاستعملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أهلُ حاجة فقال : لا أجد ما أحكم عليكم عليه ، فتولوا وأغثم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ، فذكر أن ابن يامين ابن عمير النضري أتى أبا ليلى بن كعب وابن مُعقل وهما يبكيان فقال : ما يبكيكما ؟ قالوا جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعملنا فلم نجد عنده ما يعملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج منه فأعطاهما ناضحا له فازتحلاه وزودهما شيئا من تمر فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء المعتذرون من الأعراب فاعتذروا إليه ، فلم يمدحهم الله ، وذكر أنهم نفر من بني غنار .

* * *

ثم استقب رسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السير ونخلف عنه نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك أخو بني سلمة ومرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية أخو بني واقف ،

(٢) ن شرح اللوامب ٦٧/٣ : وحري . يفتح المهملة .

وأبو خيثمة أخو بني سالم ، وكانوا نفرَ صِدْقٍ لا يَتَمَّهون في إسلامهم .
فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع
وضرب عبد الله بن أبي معمر على حدة عسكره أسفل منه نحو ذُباب^(١) وكان
فيما يزعمون ليس بأقل المسكرين ، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم
تخلف عنه عبد الله فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرِّيب .

وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب على أهله وأمره
بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استئقلا له وتخفنا منه
فلما قالوا ذلك أخذ عليّ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو نازل بالجرف فقال : يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك
استئققتني وتخفنت مني ، فقال : « كذبوا ولكني خلفتك لما تركتُ ورأى ،
فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة
هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » . فرجع علي إلى المدينة رضى الله عنه
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

[أمر أبي خيثمة]

ثم إن أبا خيثمة بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما رجع
إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في عريشٍ لهما في حائطه قد رشت
كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيأت له طعاما ، فلما دخل
قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا ، فقال : رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الضَّح^(٢) والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل^(٣) بارد وطعام
مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم ما هذا بالنِّصَف ثم قال : والله لا أدخل على

(١) ذباب : جبل بالجبال أسفل من ثنية الوداع .

(٢) الضح : ما أضاءته الشمس من الأرض .

(٣) الظل : ظل بارد وماء بارد .

عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يثألي زادا .
ففلما تم قدم ناضحه فارتحله ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أدركه حين نزل بقبوك .

وقد كان أدرك أبا خيثمة في الطريق عمير بن وهب الجمحي يطلب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فترافقا ، حتى إذا دوا من قبوك قال أبو خيثمة لعمير :
إن لي ذنباً فلا عليك أن تخاف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففعل حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بقبوك قال
العماس : هذا راكب على الطريق مقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كن أبا خيثمة . قالوا : هو والله أبو خيثمة يا رسول الله . فلما أناخ أقبل فسلم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أؤلى
لك يا أبا خيثمة اسم أخبره خبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا
له بخير . وروى أن أبا خيثمة قال في ذلك :

ولما ^(١) رأيت العماس في الدين نفقوا

أتيت التي كانت أعف وأكرما

وبابعت باليماني يدي للمحمد

فلم أكنسب لثماً ولم أغش تحزماً ^(٢)

تركت خضيباً في العريش وصيرمة

صفابا كراما أسرها قد تحملاً ^(٣)

(١) ابن هشام : لما رأيت .

(٢) الخضب : المرأة الخضوبة والعمره : الطائفة من النخل والصفابا : كثيرة الحمل
وأصله في الإبل يقال ناقة صفى إذا كانت غزيرة الدر وجمعها صفابا . وواليسر : التمر قبل أن
يطيب ونعم : أخذ في الإطراب فسود (شرح الصيرة لأبي ذر) .

وكانت إذا شك المسافر استسجحت
إلى الذين نفسى شطره حيث^(١) يمشى

* * *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرّ بالحجر نزلها واستقى الناس
من يثرها فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا من ماءها
ولا يتوضأ^(٢) منه للصلاة وما كان من عجين عجموه فاعلفوه الإبل ،
ولأننا كلوا منه شيئاً^(٣) » ، ولا يخرج أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له .

ففعل الناس ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من
بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعيره له ، فأما الذي
ذهب لحاجته فإنه خفق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتلمته
الريح حتى طرخته بجبل طيء ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : ألم أهيكم أن يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبه ؟ ثم دعا لأذى أصيب على
مذهبه فشفي ، وأما الذي وقع بجبل طيء فإن طيئاً أهدته لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين قدم المدينة .

ولما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجد في ثوبه على وجهه ،
واستسجحت راحلته ثم قال : « لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفاً
أن يصيبكم ما أصابهم » .

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) استسجحت : انقادت . وشطره : نحوه وقصده . ويم : قصد .

(٢) الطبري وابن هشام : ولا تتوضأوا .

(٣) انظر روايات الحديث عن البخاري والإمام أحمد ومسلم ، وكما أوردهما ابن كثير

فدعا فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء . قال محمود بن أبيب : لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المدافقين معروف بفاقه كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الماء بالبحر ما كان ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا : أقبالا عليه نقول : وبك اهل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة . قيل لمحمود : هل كان الناس يعرفون الاتفاق فيهم ؟ قال : نعم والله إن كان الرجل يعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته ^(١) ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك .

• • •

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه يقال له عمارة بن حزم وكان عقيباً بذرباً وهو عم بني عمرو بن حزم وكان في رحله زيد بن أخطب ^(٢) القيداعى وكان مدافقاً فقال زيد وهو في رحله عمارة وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة معه : « إن رجلاً قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي وي زعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته ا وإنى والله لا أعلم إلا ما علمنى الله وقد دلى الله عليهما وهى في الوادى من شئب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها » فذهبوا فجاءوا بها فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال : والله أعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً عن مقالة قائل أخبره

(١) الطبرى : ومن عشيرته .

(٢) ابن هشام : ابن الأصميت . ويقال فيه أيضاً : ابن الصيب .

الله عنه . للذى قال زيد بن الأصميت . فقال رجل من كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأني فأقبل عمارة على زيد يماً^(١) في عنقه ويقول : يا لعباد الله ! إن في رحلي لداهية وما أشعرا أخرج أى عدو الله من رحلي فلا تصحبني . فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك وقال بعض : لم يزل منهما بشر حتى مات .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون : يا رسول الله تخلف فلان فيقول : « دعوه فإن يك فيه خير فسيُلقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » حتى قيل : يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره . فقال : دعوه فإن يك فيه خير فسيُلقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه . وتلوّم^(٢) أبو ذر على بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمّله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض منازلهم فظفر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذر . فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله هو والله أبو ذر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ، ويُبعث وحده » .

فقضى الله سبحانه أن أبا ذر لما أخرجه عثمان رضى الله عنه إلى الرَبْذَةِ^(٣) وأدركته بها منيته لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلّامه ، فأوصاهما أن أغسلاني وكفّناي ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركبت بمرّ بكم فتولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعيوننا على دفنه ، فلما مات فعلا ذلك

(١) يماً : يطمن .

(٢) تلوّم : انتظر .

(٣) الربذة : موضع قرب المدينة .

وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من المعراق عمار ، فلم يرعهم إلا بالجنابة على ظم الطريق قد كادت الإبل تطوؤها وطام إليهم الغلام فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسيمنونا على دفنه فاستهل عبد الله بيبكى ويقول : صدق رسول الله : تنشي وحدك وتبوت وحدك وتبث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فواروه . ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ^(١) وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى تبوك .

* * *

وقد كان رهط من المنافقين منهم ودبة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف وحليف ابني سلمة من أشجع يقال له نخش بن حجير ، ويقال نخشي ، بشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض : انحبسون جلاد بني الأصفر ألقوا العرب بعضهم بعضاً ؟ والله انكأنا بكم [غداً] ^(٢) مقرنين في الحبال إرجافاً وترهيباً للمؤمنين ، فقال نخش بن حجير . والله لو ددت أني أقامني على أن يضرب كل رجل مائة جلدة وأنا نفقت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا لعمار بن ياسر : أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فتألمهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى قلتم كذا وكذا فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتذرون ، فقال ودبة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بحقما : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب . فأنزل الله عز وجل فيهم « وإن من سألهم ليقولن إنما كنا

(١) قال ابن كثير : إسناده حسن ولم يخرجوه . السيرة ١٥/٤ .

(٢) من الطبري وابن هشام .

نخوض ونلعب^(١) » ١١ وقال نخشن بن حير : يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي . فكان الذي عني هذه الآية نخشن بن حير فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يُعلم مكانه ، فقتل يوم البجعة فلم يوجد له أثر .

[مصالحة أهل أيلة]

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه أبو حنيفة بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الجزية . وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوا الجزية ، وكتب^(٢) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فهو عندهم : « بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليُحْتَفَظَ بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان منهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فن أخذت منهم حَدَثاً فإنه لا يَحْوِلُ ماله دون نفسه وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يَحِلُّ أن يُمنعوا ماء يَرِدونه ولا طريقاً يَرِدونه^(٣) من بر أو بحر .

[سرية خالد إلى أكيدر]

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر حوْمة ، وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصرانياً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده بصيد البقر . فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه ينظر المؤمنين في ليلة مُقَمَّرة صائفة وهو على

(١) سورة التوبة ٦٥ .

(٢) الطبري : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل كتاباً فهو عندهم .

وفي ابن هشام : فكتب ليحنة بن رؤبة .

(٣) ابن هشام : يريدونه .

سطح له ومعه امرأته فباتت البقر تحكّ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله . قالت : فمن يترك هذه ^(١) ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأخرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان فركب وخرجوا معه بمطاردتهم ، فلما خرجوا تلقّتهم حيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته وقتلوا أحاده ، وكان عليه قباء ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه ، فجعل المسلمون يمسونه بأيديهم ويتمجدون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنمجبون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لنأخذل سديد بن مماذ في الجنة أحسن من هذا !

ثم قدّم خالد بأكيذر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله .

فقال رجل من طيء : يقال له بُحَيْر بن بُحَيْرَة يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد للبقر . وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته لتصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تبارك سائقُ البقرات إني

رأيتُ الله يَهْدِي كلَّ هادي

فمن بك حائداً عن ذي تبوك

فإنا قد أمرنا بالجلهم إدا

رجوع الرسول عن تبوك |

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضعة عشرة ليلة ولم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .

(١) الطبرى : فمن يترك هذا .

وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَل^(١) يَرَوِي الرَّاكِبُ وَالرَّاكِبِينَ وَالثَّلَاثَةَ
براد يقال له وادي المشقق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا إلى
الماء فلا يستقينا منه شيئا حتى نأتيه . فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه
فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يرف فيه شيئا فقال : من
سبقنا إلى هذا ؟ فقيل : يا رسول الله فلان وفلان . فقال : أو لم أنهيكم أن تستقوا
منه شيئا حتى آتيه ؟ ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا عليهم ، ثم نزل
فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم فضحه به
ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق الماء كما يقول من سمعه
ما إن له حياء كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي .
وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » .

* * *

ومات في هذه الغزوة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله
ذو البجادين ، لأنه كان يفزع إلى الإسلام فيمنعه قومه من ذلك ويضيقون
عليه حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره ، والبجاد : الكساء الغليظ ، فهرب
منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان قريبا منه شق بجاده باثنين .
فانزروا واحد واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له
ذو البجادين لذلك . فكان عبد الله بن مسعود يحدث قال : قت من جوف
الليل وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فرأيت شملة من
نار في ناحية المعسكر فاتبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا .

وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات، وإذام قد حفر واه ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته وأبو بكر وعمر يدانيانه إليه وهو يقول: أذلياً إلى أخاك فدلّيا إليه، فلما هيأ له لشقه قال: «اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه» يقول عبد الله بن مسعود: ياليتني كنت صاحب الحفرة!

وقال أبو رهم الغفاري، وكان ممن بايع تحت الشجرة: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك، فسرت ذات ليلة معه قريباً منه وألقى علينا اللباس، فطفقت استيقظ وقد دنت راحتي من راحته عليه السلام فيفزعني دنوها مخافة أن أصيب رجله في الغرز لما استيقظت إلا أقوله: حس^(١) فقلت يارسول الله استعفر لي قال: سِرْ. فجهل بسألي عن تخلف من بني غفار فأخبره به، فقال وهو يسألي: ما فعل النفر الخثر الطوال للثطاط^(٢) تحدثته بتخلفهم، قال: فما فعل النفر السود الجمد للقصار؟ قلت: والله ما أهرق هؤلاء مني. قال: بل الذين لم نهم بشبكة شدخ^(٣) فتدكرتهم في بني غفار فلم أذكرهم حتى ذكرت أسهم رهط أسلم كانوا حلفاء فينا، فقلت: يارسول الله أولئك رهط من أسلم حلفاء فينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إله امرأ نشيطاً في سبيل الله؟ إن أهرق أهل على أن يتخلف عن المهاجرين من قريش والأنصار وغفار وأسلم».

[مسعد الضرار]

قال ابن اسحق: ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان

(١) حس: كلمة تدل على التألم.

(٢) الثطاط: جمع ثط، وهو القليل من الحية.

(٣) شبكة شدخ: ماء لأسلم من بني غفار.

بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضَّرَّار قد أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لدى العلة والحاجة واليلة المطيرة واليلة الشامية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال : إني هلي جناح سَفر وحال شغل . أو كما قال صلى الله عليه وسلم . ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه . فلما نزل بدي أو ان أناه خبر للمسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن النخشم أخا بني سالم بن عوف ومثنى بن عديّ أو أخاه عاصم بن عديّ أخا بني العجلان فقال : انطلقا إلى هذا المسجد للظالم أهله فاهدماه وحرّقا فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف رهط مالك فقال مالك لمن : أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي . فدخل إلى أهله فأخذ سَعْفًا من النخل فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشقان حتى دخلاه وفيه أهله فحرّقا وهدمناه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن منازل : « والذين اتخذوا مسجداً ضَرَّاراً وكُفَّراً وتفرقاً بين المؤمنين ^(١) » إلى آخر القصة .

[المخلفون]

وقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد كان تخلف عنه من تخلف من المنافقين ، وأولئك الرهطُ الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ومُرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تُكَلِّمَنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة . وأناه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يخلفون له ويقتذرون فصَحَّحَ عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعذرهم الله ولا رسوله ، فاعتزل المسلمون كلام أولئك الافر الثلاثة .

(١) سورة التوبة ١٠٧ .

فحدث كعب بن مالك قال : ما تخلفتُ عن رسول الله في غزوة غزاها قط ، غير أني تخلفتُ عنه في غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاقب الله فيها ولا رسوله أحداً تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد غير قريش لجمع الله بيده وبين عدوه على غير ميعاد ، واقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المعركة حين تواتقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت غزوة بدر هي أذكى في الناس منها .

وكان من خبري حين تخلفتُ عنه في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفتُ عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت لي راحتان قط حتى اجتمعتا لي في تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلَّ ما يربد غزوةً بغزوها إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك للغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرٍّ شديد واستقبل سفراً بعيداً واستقبل خزاً وعدوً كثير ، فجاء الناس أمرهم ايتاهبوا لذلك أهبطه وأحبرهم خبره بوجهه الذي يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يحصونهم كتاب حافظ ، يعني بذلك الدُّبَّان ، فقلَّ رجلٌ يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ما لم ينزل فيه وحى من الله تعالى .

وغزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحييت الظلال فالناس إليها صُفْرٌ^(١) ، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أعدو لا تجهز معهم فأرجع ولم أفض حاجةً فأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إذا أردت . فلم يزل ذلك يتبادى بي حتى شمر بالناس

الجلد^(١) وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئاً فقلت : أنجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن مضوا لأنجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك ينمادى بى حتى أسرعوا وتفارط^(٢) للفرز فهممت أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى اللباس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطأنت فيهم يُجزئني أنى لا أرى إلا رجلاً ممنوعاً^(٣) عليه فى الاتفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضملاء . ولم يذكروني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلة : يا رسول الله حبسه بُرداه والنظر فى عطفقيه . فقال له معاذ : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلاً حضر لى بي^(٤) فجعلت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخط رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً ؟ واستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل لى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادمًا زاح عني للباطل وعرفت أن لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجعت أن أصدق .

وصبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدِم من سفر بدأ

(١) ابن هشام : حتى شمر الناس بالجلد . ورواية البخارى : حتى اشتد بالناس الجلد

(٢) رواية البخارى : وتفارط للفرز . والمعنى : فات وسبق .

(٣) ممنوعاً : معطوفاً .

(٤) البخارى : حضر لى همى .

بالسجدة فركع فيه ركعتين ثم جالس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخائفون من
الأعراب فجعلوا يحلفون له ويعتدرون ، وكانوا بصحة وثمانين : جلا ، فيقبل
منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وإيمانهم ويستغفر لهم ويكلم
مراثرهم إلى الله ، حتى جئت فسلمت عليه فتقدم تبسم المنضوب ثم قال لي :
تماله . فبعثت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي : ما خلفك ألم تسكن ابتعت
ظهورك ؟ قلت : يا رسول الله والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني
سأخرج من سخطه بمذر وأقد أعطيت جدلا ، واسكن والله فقد علمت أن
حدثتك اليوم حديثا نذرا أترضين عني وأيوشكن الله أن يسخط علي ، وإن
حدثتك اليوم حديثا صادقا نحمد على مده إلى لأرجو عقباى من الله فيه ، لا والله
ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تحدثت إليك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى
الله فيك . فقامت .

وثار معي رجال من بني سلمة فأنهموني فقالوا : والله ما علمناك كنت
أذنبت ذنبا قبل هذا ، وأقد عجزت أن لا تكون اعتدرت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما اعتدرك إليه المخائفون فقد كان كافيك ذنبك استمعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله ما زالوا لي حتى أردت أن أجمع إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا
أحد غيري ؟ قالوا : نعم جلان قال مثل ذلك وقيل لهما مثل ما قيل لك . قلت :
من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع الأعمري وهلال بن أمية الواقفي . فذكروا لي
رجلين صالحين فبهما أسوة حسنة ، فقامت حين ذكروهما . لي ونهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخاف منه ، فاجتنبوا الناس

وتغيروا لما حتى تنسكروا لى نفسى والأرضُ فما هى بالأرض التى كنت
أعرف .

فلبئذا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبائى فاستكانا نفعدا فى بيوتهما ،
وأما أنا فسكنت أشبَّ القوم وأجلدتم فسكنت أخرج وأشهد الصلوات مع
المسلمين وأطوف بالأسواق لا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى: هل حرك شفتيه برد
السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى
نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عني .

حتى إذا طال ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسوّرتُ جدار حائط
أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله ما ردّ السلام ،
فقلت : يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم أبى أحب الله ورسوله ؟ فسكت فعددت
فما شدته فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناى ووثبتُ فسوّرتُ الحائط .
ثم عدوت إلى السوق فبينما أنا أمشى بالسوق إذا نبلى يسأل عني من نبط الشام
بمن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فجعل
الناس يشيرون له إلى ، حتى جأنى فدفع إلى كتاباً من ملك غسان فى سرقة^(١)
من حرير فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك جفاك ولم يجعلك الله
بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نؤاسك . قلت حين قرأتها : هذا من البلاء
أيضاً قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك فعمدت إلى
تنوير فسجرت^(٢) بها .

(١) السرقة : شقة الحرير .

(٢) سجرتة : أشعلته .

فأقننا على ذلك حتى مضت أربعون ليلة من الخسرين ، إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أن تهتزل امرأتك . فقلت : أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا بل اهتزلي ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك ، فقلت لامرأتي : الخلق بأهلك وكوني فيهم حتى يقمص الله في هذا الأمر ما هو قاض .

وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائم إلا حادماً^(١) ، أفذكره أن أحدمه ؟ قال : ولكن لا تقربك . قالت : يا رسول الله والله ما به من حركة ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذ واقعد تحوَّفتُ على بهره . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت : والله لا استأذن فيها ، ما أدرى ما يقول لي في ذلك إذا استأذنته وأنا رجُلٌ شاب .



قال : فلبثنا بعد ذلك عشرَ ليالٍ ، فكُملَ لنا خمسون من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامها ، ثم صليت للمصبح صبح خمسين ليلة على ظهر^(٢) بيت من بيوتنا على الحال^(٣) التي ذكّر الله مداً ، قد صاقت علينا الأرض بما رُسُبت وضائق على نفسي ، وقد كنت ابتليت حيلة

(١) كذا بالأصل . ورواية ابن هشام : لا خادم له . ورواية البخاري : ليس له خادم .

(٢) البخاري : وأما على ظهر .

(٣) البخاري : فبينما أنا سالك على الحال الخ .

في ظهر سَلْع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على سَلْع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر . فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاءني الفرج .

قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بتوبة الله عليهم حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا وذهب نحو صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرساً ومعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني القدي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبي فكسوتهما إياه بشارة ، ووالله ما أملك يومئذ غيرها ، واستعمرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك . حتى دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله للناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله فحياني وهناني ، ووالله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره . فكان كعب لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ووجهه يبرق من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ يوم ولدتك أمك . قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كان وجهه قطعة قر ، وكنا نعرف ذلك منه .

قال : فلما جلست بين يديه ، قلت : يا رسول الله إن من توبتي إلى الله أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله . قال : أمسك عليك بعض

مالك فهو خير لك . قلت : إني مُسك سمي الذي بنيه . وقلت : يا رسول الله إن الله قد نعماني بالصدق ، فإن نوبتي إلى الله أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت . والله ما أعلم أحداً من الناس ألاء الله في صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفصل مما أبلاني ، والله ما تعمدت من كذبة مد ذرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقى .

وأنزل الله تبارك وتعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم » وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو الغواب الرحيم • (١) .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هداني الإسلام كانت أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه شرراً ما قال لأحد : « سيخلفون بالله عليكم إذا انتقم إليهم ليقترضوا عنهم فأقرضوا عنهم إيسر رجس ومأواه جهنم حرماً عما كانوا يكسبون » • يخلفون لكم إنرضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا ترضى عن القوم الفاسقين (٢) . »

(١) سورة التوبة ١١٧ - ١١٩ .

(٢) سورة التوبة ٩٥ ، ٩٦ .

قال : وكذا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الدِّينِ قَبِيلٍ مِنْهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَعَذَرُوا وَاسْتَغْفَرُوا لَهُمْ ، وَأَرْجَأُوا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ مَا قَضَى ، فَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الدِّينِ خُلِّفُوا » وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ مِنْ تَخْلِيفِهَا
لِتَخْلُفُوا عَنْ الْغَزْوَةِ ، وَلَكِنْ لِتَخْلِفُوهُ إِيَّانَا وَإِرْجَائِهِ أَمْرَنَا عَنْ مَنْ حَلَفَ
لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مَدَّهُ .

ذكر إسلام ثقيف

وقدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان وقدم عليه في ذلك الشهر وفدٌ ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث عنه اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتحدث قومه : إنهم قائلوك . وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم . فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم . ويقال : من أبصارهم . وكان فيهم كذلك محبياً مطاعاً .

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء ألا يخالفوه لتركته بينهم ، فلما أشرف لهم على عاتية له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهروا لهم دينه رموه بالنبيل من آل وجه فأصابه سهم فقتله ، فقيل له : ما ترى في ذلك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقوا الله إلى فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفوني معهم . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن مثله في قومه أشكل صاحب بائين في قومه » .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة شهراً ، ثم إنهم انقمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا ، فشى عمرو ابن أمية أخو بني عِلاج . وكان من أذى العرب إلى عبد باليل بن عمرو

حتى دخل داره وكان قبلُ مهاجراً له الذي بينهما سبي^(١) ثم أرسل إليه ،
أن عمرو بن أمية يقول لك : اخرج إلى . فقال عبد البليل للرسول : وبلك
أعمرؤ أرسلك إلى ؟ قال : نعم وها هو ذا واقفاً في دارك . قال : إن هذا
أشياء ما كنت أظنه ، أعمرؤ كان أمتنع في نفسه من ذلك . فخرج إليه فلما
رآه رَحَّبَ به فقال له عمرو : إنه قد نزل بها ما ليس معه هجرة ، إنه قد
كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد أسلمت للعرب كلها ، وليست
أسكم بحربهم طاقة فانظروا في أمركم .

فبعد ذلك اتفمرت تَقْيِفَ بينهما وقال بعضهم لبعض : ألا ترون أنه
لا يأمن أسكم سِرْب ولا يخرج عنكم أحد إلا اقتطع ؟ فاتفمروا بينهم وأجمعوا
أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أرسلوا عروة . فسلّموا
عبد البليل وكان سنَّ عروة ، وعرضوا عليه ذلك فأبى أن يفعل وخشى أن يُصنَّع
به إذا رجع كما صنَّع بعروة فقال : است فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا .
فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك فيكونوا
سنة ، فبعثوا مع عبد البليل الحكم بن عمرو بن وهب بن مُعْتَب ، وشرحبيل
ابن غَيْلان بن سلمة بن مُعْتَب . ومن بني مالك : عثمان بن أبي العاص وأوس
ابن عوف ونُسَيْر بن خَرْشَة .

فخرج بهم عبدُ البليل وهو نابُ القوم^(٢) وصاحب أمرهم ، ولم يخرج
بهم إلا خشيةً من مثل ما صنَّع بعروة بن مسعود لكي يشغل كلَّ رجل منهم

(١) في شرح المواهب : لشيء كان بينهما .

(٢) ناب القوم : كبيرهم والمدافع عنهم .

إذا رجعوا إلى الطائف رهطه ، فلما دنا من المدينة ونزلوا فناء^(١) ألّفوا بها
المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته رِكَّابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت رعيتهما نوباً عليهم ، فلما دنا ترك الركاب عند الثَّقَفَيْنِ وضبر^(٢)
بشدة يبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمهم ، فاقبه أبو بكر الصديق
قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدمهم يريدون
للبيعة والإسلام وأن يشترطوا شروطاً ويكتبوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتاباً . فقال أبو بكر رضي الله عنه للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقني
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه . ففعل المغيرة .
فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ثم خرج
المغيرة إلى أصحابه فروح الظاهر معهم وعلمهم كيف يحميئون رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية .

ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية
مسجده كما يزعمون ، فسكان خالد بن سميد هو الذي يمشى بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكتتبوا كتابهم ، كتبه خالد بيده
وكانوا لا يقطعون طعاماً بأنهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل
منه خالد حتى أسلوا وفرغوا من كتابهم .

وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية
وهي ثلاث لا يهدمها ثلاث سدين فأبى ذلك عليهم ، فابرحوا بسألونه

(١) فناء : واد بالمدينة ، وهو أحد أوديتها الثلاثة ، عليه حرت ومال ، وقد يقال :
وادي فناء . معجم البلدان .

(٢) ضبر : أسرع . يقال : ضبر الفرس إذا عدا ، أو جمع نواتجه وولب .

سنة وياي حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم فأبى عليهم أن يدعوا شيئاً مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسألوا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ، فأبى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها . وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما كسر أوثانكم فستعفيكم منه ، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه ^(١) » .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً أمر عليهم عثمان بن أبي العاص وكان من أخذتهم سباً فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إني قد رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن . فحدث عثمان بن العاص قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني على ثقيف أن قال : « يا عثمان تجاوز في صلاتك واقدر للناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة » .

فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا راجعين إلى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجوا مع القوم حتى إذا قدموا للطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان ،

(١) زاد ابن هشام والطبري : فقالوا : يا محمد أما هذه فسنؤتيكمها وإن كانت دناءة .

فأبى ذلك عليه أبو سفيان وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان
بما له بذى اللهدم^(١) ، فلما دخل علاها بفرضها بالعمول وقام دورته قومه بذو
مُعَقَّب خشية أن يرُمى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حُسُرا
يبيكين عليهما ويقلن :

لَتُنَبِّـكَيْنِ دُفَاعَ أَسْلَمِهَا الرُّضَاعُ^(٢)
لَمْ يُخْشِدُوا الْمَصَاعُ^(٣)

فلما هدنها المفيرة وأخذ ماله وحايها أرسل إلى أبي سفيان وحايها
المجموع^(٤) [وما لها من الذهب والجزع^(٥) .

وقد كان أبو مليح ابن عروة وقارب بن الأسود قديما على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف حين قتل عروة يربدان فراق ثقيف
وأن لا يُجَامِعَا على نساء أبدًا . فأسلما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
توليا من شئتما فقالا : نتولى الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : وخالسكما أبا سفيان بن حرب . فقالا : وخالدا أبا سفيان . فلما
أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أما سفيان والمفيرة
إلى هدْم الطاغية سأل أبو مليح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضى

(١) كذا في الأصل . موافقا لابن هشام وابن كثير . وفي المتن ط أورد : بذى الهرم .
والهدم : ماء وراء وادي القرى . أيضا . ومعهم اللجان .
(٢) النجوى : ألا تكفى . وفي ابن كثير : انشلس : والدمع الزهر . المطمح يدغم
به مثله . معنوها بذلك اطمئن أنها بدمع عنهم . والرماح : اللثيم .
(٣) المصاع : الضرب .
(٤) من الطائفة وابن هشام .
(٥) الجرع : المرز أيا من العبيد ليه سواد وبياس .

عن أبيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يارسول الله فاقضه . وعروة والأسود أخوان لأب وأم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأسود مات مشركا » . فقال قارب : يارسول الله لكن تصل مسلما ذا قرابة . يعنى نفسه . إنما الدين على وإنما أنا الذى أطلب به . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية فلما جمع المغيرة ما لها ذكرَّ أبا سفيان بذلك فقضى منه عنهما .

[رواية موسى بن عقبة]

هكذا ذكر ابن إسحق إسلام أهل الطائف بمقب غزوة تبوك في رمضان من سنة تسع قبل حجج أبى بكر بالناس آخر تلك السنة . وجعل ابن عقبة قدوم عروة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتله في قومه وإسلام تقيف كل ذلك بعد صدر أبى بكر عن حجته . وبين حديثه وحديث ابن إسحق بعض اختلاف ، رأيت في ذكر حديث ابن عقبة وإن كان أكثره مُعاداً لأجل ذلك الاختلاف ، ثم أذكر بعده حجة أبى بكر في الموضع الذى ذكرها فيه ابن إسحق .

قال موسى بن عقبة : فلما صدر أبو بكر من حجته بالناس قدم عروة ابن مسعود الثقفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجوع إلى قومه فقال له : إني أخاف أن يقتلوك قالى : لو وجدوني نائما ما أيقظوني . فأذن له فرجع إلى الطائف وقدمها

عشاءاً فجاءته ثقيف يسلمون عليه فقدمهم إلى الإسلام ونصح لهم فاتهموه وأعضوه^(١) وأسموه من الأذى ما لم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده حتى إذا أشعروا وسطع الفجر قام على غرفة في داره فأذن بالصلاة ونشده ، فرماه رجل من ثقيف^(٢) بهم فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه قتله : « مثل عُرْوَة مثل صاحب ياسين ، دعا قومه إلى الله ، فقتلوه » .

وأقبل بعد قتله وفد من ثقيف بضممة عشر رجلاً هم أشرف ثقيف ، فيهم كنانة بن عبد اليل وهو رأسهم يومئذ ، وفيهم عثمان بن أبي المص وهو أصغر القوم حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يريدون الصلح حين رأوا أن قد فتحت مكة وأسلم عامة العرب ، فقال المغيرة بن شُعبة : يا رسول الله أنزل على قومي أكرمهم بذلك فإني حديث الجرم فيهم^(٣) . قال : لا أمهلك أن تسكرم قومك واسكن تُنزلهم حيث يسمعون القرآن . فأنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وبني لهم خياماً اسكنوا بها القرآن ويروا الناس إذا صلوا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب لم يذكر نفسه ، فلما سمعه وفد ثقيف قالوا : بأمرنا أن نشهد أنه رسول الله

(١) أعضوه : قالوا له : اعضض كذا . مما كانت العرب تسب به بعضها .

(٢) قال الواقدي : يقال له وهب بن جابر . ويقال : رماه أوس بن عف من بني مالك وهذا أثبت عندنا . منازل الواقدي ٣ / ٩٦١ .

(٣) قال الواقدي : وكان جرم المغيرة أنه خرج في ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك ، فقدموا على القومس لحيا بني مالك وجفاء وهو من الأحلاف ، وكان معه رجلان الفريدي ودمون ، فلما كانوا يسبان وضموا شراباً لهم لتساقم المغيرة بيده ، فجعل يهتف عن نفسه ويترجع إلى مالك حتى ثملوا وناموا ، فلما ناموا وبس إليهم فقتلهم . منازل الواقدي ٣ / ٩٦٤ .

ولا يشهد به في خطبته ١ فلما بلغه قولهم قال : فإني أول من يشهد أني رسول الله .

وكانوا ينفذون على رسول الله كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رِحالهم لأنه أصغرهم ، فكان عثمان كلما رجع الوفد إليه وقالوا بالهجرة عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الدين واستقرأ القرآن ، فاختلف إليه عثمان مراراً حتى فقه في الدين وعلم . وكان إذا وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نائماً عمد إلى أبي بكر ، وكان يكتم ذلك من أصحابه ، فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبّه .

فكث الوفدُ يختلفون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم إلى الإسلام ، فقال له كنانة بن عبد ياليل : هل أنت مُقاضينا حتى نرجع إلى قومنا ثم نرجع إليك ؟ فقال : « نعم إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم » . قالوا : أرايت الزنا ؟ فإننا قومٌ نغترب ولا بد لنا منه . قال : هو عليكم حرام إن الله يقول : « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ^(١) » .

قالوا : فالربا ؟ قال : والربا . قالوا : إنه أموالنا كلها . قال : فليسكم رهوس أموالكم ، قال الله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ^(٢) » قالوا فالخمر ؟ فإنها عصير أرضنا ولا بد لنا منها . قال إن الله قد حرمها قال الله : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمرُ واللبنرُ والأنصابُ والأزلامُ

(١) سورة الإسراء ٣٢ .

(٢) سورة البقرة ٢٧٨ .

رِجْسٍ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون^(١) .

فارتفع القوم نفلاً بعضهم إلى بعض وقالوا : وبحكم إنا نخاف إن خالفناه يوماً كيوم مكة ، انطلقوا فأعطوه ماسأل وأجيبوه . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لك ماسألت . أرايت الرّبة ماذا نصنع فيها ؟ قال : اهدموها قالوا : هيئات الودع الرّبة أنا نريد هدمها اقتلت أهلنا . فقال عمر : ويحك يا بن عبد ياليل ما أحزنك إنا الرّبة حجرة قال : إنا لم نأثرك يا بن الخطاب . ثم قال : يا رسول الله نول أنت هدمها فأما نحن فلن نهدمها أبداً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسأبعث إليكم من يكفيكم هدمها . قال كدانة ائذن إذا قبل رسولك ثم ابعث في آثارنا ، فإني أعلم بقومي . فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرمهم وحملهم . قالوا : يا رسول الله أمر علينا رجلاً يؤمنا . فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى من حرصه على الإسلام وقد كان عليم سوراً من القرآن قبل أن يخرج .

وقال كدانة لأصحابه : أنا أعلمكم بثقيف فآتموهم إسلامكم وخوفوهم الحرب والمقاتل وأخبروهم أن محمداً سألنا أموراً أبيتها عليه ، سألنا أن نهدم اللات ونبطل أموالنا في الربا ونحرّم الخمر .

حتى إذا دنوا من الطائف خرجت إليهم ثقيف يتأقونهم ، فلما رأوهم قد ساروا العنق^(٢) وقطروا الإبل ونفثوا ثيابهم كهيئة قوم قد حزنوا أو كذبوا قالت ثقيف بعضهم لبعض : ما جاءكم بخير . فلما دخلوا حصنهم عمدوا اللات

(١) سورة المائدة ٩٠ .

(٢) العنق من السير : الميسط .

(٣) قطروا الإبل : أربوا بعضها إل بعض عل نسق .

فجلسوا عندها ، واللات بيت كانوا يعبدون ويسترونه ويهدون له الهدى
يُضَاهون به بيت الله . ثم رجع كل واحد منهم إلى أهله فجاء كل رجل حامية
من ثقيف فسألوه : ماذا جئتم به ؟ قالوا : أتينا رجلاً فظاً غليظاً يأخذ من أمره
ما شاء قد ظهر بالسيف وأداح العرب ودان له الناس ، فعرض علينا أموراً شِداداً
هَدَمَ اللات وترك الأموال في الربا إلا رؤوس أموالكم وحرّم الخمر والزنا .
قالت ثقيف : والله لا نقبل هذا أبداً . قال الوفد : أصلحوا السلاح وتهيئوا
للقِتال ورُمُوا حصنكم .

فكثت ثقيف بذلك يومين أو ثلاثة تريد للقتال ثم ألقى الله الرعبَ في
قلوبهم وقالوا : والله ما لنا به طاقة أداح للعرب كلها فارجموا إليه فأعطوه ما سأل
وصالحوه عليه . فلما رأى الوفد أنهم قد رُعبوا واختاروا الأمن على الخوف وعلى
الحرب ، قالوا لهم : إنا قد فرغنا من ذلك ، قد قاضينا وأسلمنا وأعطانا
ما أحببنا واشترطنا ما أردنا وجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم
وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قاضينا عليه . فقالت ثقيف : فلم
كنتمونا هذا الحديث وغتمتمونا بذلك أشدّ اللغم ؟ قالوا : أردنا أن ينزع الله
من قلوبكم نخوة للشيطان ، فأسلموا مكانهم واستسلموا .

فكثوا ألباناً ثم قدم عليهم رُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُمّر
عليهم خالد بن الوليد وفيهم المغيرة بن شعبة ، فلما قدموا عليهم عمدوا إلى اللات
ليهدموها وانكفأت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج للعواتق
من الحِجَال وهم لا يرون أنها تُهدم ويظنون أنها ستمتنع . فقام المغيرة بن شعبة
وقال لأصحابه : لأخضعكم من ثقيف فأخذ الكرزن^(١) فضرب به ثم أخذ

(١) الكرزن : المول .

برتكض فارتجأ أهل اللطائف بصيحة واحدة وقالوا : أبعد الله المذيرة قد قتلتها
الربة ! وفرحوا حين رأوه ساقطاً وقالوا : من شاء منكم فليقترب ويجهد على هذمها
فوالله لا تستطاع أبداً . فوثب المذيرة فقال : قبحكم الله باممشر ثقيف ! إنما
هي لسكاع حجارة ومدرا ثم ضرب الباب فكسره ثم علا على سورها وعلا
الرجال معه ، فزالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سووها بالأرض وجعل
صاحب المفاتيح يقول : ليغضبن الأساس فليفسدن بهم . فلما سمع ذلك المذيرة
قال لخالد : دعني أحفر أساسها . فحفرها حتى أخرجوا ترابها وأخذوا حليها
وثيابها . فبهتت ثقيف .

وانصرف الوفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليتها وكسوتها فقسمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه وحمد الله على نصر نبيه وإعزاز دينه .

ذكر حج أبي بكر الصديق

رضى الله عنه بالناس سنة تسع وتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على بن أبي طالب بعده بسورة براءة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الحج من
سنة تسع ليقم المسلمين حجهم ، ونزلت بعد بعثه إياه « براءة » في نقض
ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذي كانوا
عليه فيما بينهم وبينه : أن لا يُصدَّ عن البيت أحدٌ جاءه ولا يخاف على
أحد في الشهر الحرام ، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين أهل الشرك ،
وكان بين ذلك عهودٌ خصائص بينه وبين قبائل العرب إلى آجال مُسمّاة
فنزلات فيه وفيمن تخلف من المنافقين عن تبوك وفي قول من قال منهم
فكشفت الله سرار قوم كانوا يستخفون بنبي ما يُظهرون .

فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو بعثت إلى أبي بكر ؟ فقال :
لا يؤدّي عني إلا رجل من أهل بيتي . ثم دعا علي بن أبي طالب فقال :
« اخرج بهذه القصّة من صدر براءة وأذّن في الناس يوم اللّحْز إذا اجتمعوا
بمعنى : أنه لا يدخل الجبهة كفر ولا يحجّ بعد العام مُشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فهو
إلى مدته » .

فخرج عليّ على ناقته رسول الله صلى الله عليه وسلم للعُضْبَاء حتى أدرك

أبا بكر الصديق بالطريق ، فلما رآه أبو بكر قال : أميرٌ أم مأمور ؟ قال :
بل مأمور . ومضى .

فأنام أبو بكر للناس الحجج ، والعرب في تلك السنة على مفازلهم من الحجج
التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر . قام علي بن أبي طالب
فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجل الناس
أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كلٌّ إلى قومه إلى ثمانتهم وبلادهم ،
ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحدٌ كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد إلى مدة فهو له إلى مدته .

فلم يجمع بعد ذلك للعام مشرك ولم يطف بالبيت عربان ، وكانت
براءة تسمى في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم « البراءة » لا تكشف
من سرائر الناس .

| عدد غزوات الرسول |

وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعاً وعشرين غزاة: ^(١)
غزوة ودان وهي غزوة الأنواء ، ثم غزوة نواط من ناحية رضوى ،

(١) قال الطبري : وكانت غزواته (س) بنفسه ستاً وعشرين غزوة .

ويقول بعضهم : من سبع وعشرون غزوة ، من قال هي ست وعشرون جعل غزوة النبي
صلى الله عليه وسلم خير وغزواته من خير إلى وادي القرى غزوة واحدة . . ومن قال هي
سبع وعشرون غزوة جعل غزوة بدر غزوة وعزوة وادي القرى غزوة أخرى . . تاريخ
الطبري ١٧٥٦ (ط أوروبا) .

ثم غزوة العشيرة من بطن يَنْبِيع ثم غزوة بَدْر [الأولى ^(١)] يطلب كُرُز ابن جابر ، ثم غزوة بدر التي قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بني سُليم حين بلغ الكُدُر ، ثم غزوة السَّوْبِق يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غَطَفَان [إلى نجد ^(٢)] وهي غزوة ذى أَمَرَ ، ثم غزوة بَخْرَان مَعْدِن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حَمْرَاء الأسد ، ثم غزوة بني اللَّصِير ، ثم غزوة ذات الرِّقَاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ^(٣) ، ثم غزوة دُومَة الجَنْدَل ، ثم غزوة الخَلْدِق ، ثم غزوة بني قَرْيَظَة ، ثم غزوة بني إِحْيَان من هُدَيْل ، ثم غزوة ذى قَرْد ، ثم غزوة بني المصطلق من خُزَاعَة ، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصدّه المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم عُمرة القضاء ^(٤) ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حُنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك .

قاتل صلى الله عليه وسلم في تسع غزوات منها : بَدْر ، وأُحُد ، والخَلْدِق ، وقَرْيَظَة ، وبني المصطلق وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف . وهذا للترتيب عن ابن إسحق ، وخالفه ابن عُبَيْدَة في بعضه .

[سرايا رسول الله]

وكانت بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانية وثلاثين

(١) من الطبرى .

(٢) من الطبرى .

(٣) الطبرى : الأخرى .

(٤) الطبرى : ثم اعتمر عُمرة القضاء .

من بين بَعَثَ وسَرِيَّة : غزوة عُبَيْدة بن الحارث أسفل نِزْية المرأة ، وغزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر من ناحية العيص ، وبمعص الناس بقدم غزوة حمزة قبل غزوة عُبَيْدة . وغزوة سعد بن أبي وقاص للخزرج ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة للقرظة ، وغزوة محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرجيم ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر مَمُونَة ، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذالقصة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب ثرية من أرض بني عامر ، وغزوة علي بن أبي طالب اليمن .

[غزوة غالب بن عبد الله إلى الكدبد]

وغزوة غالب بن عبد الله السكبي كلب ايث ، الكدبد . فأصاب بني الملوخ وكان من حديثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في سرية وأمره أن يشن الغارة على بني الملوخ وهم بالكدبد . قال جندب بن مسكيت البجلي ، وكان مع غالب في سرية هذه : فخرجنا حتى إذا كنا بقُدَيْد أقيما الحارث بن مالك وهو ابن الرصاص نلبي فأخذناه فقال : إلى جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلنا له : إن نك مسلما فإن يضررك رباط أبلة ، وإن نك على غير ذلك كما قد استوثقنا منك فشدّ ذنابه رباطا ثم خالفنا عليه رجلاً من أصحابنا وقلنا له : إن هازك^(١) فاحتز رأسه .

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكدبد عند غروب الشمس فكنا في ناحية الوادي وبهني أصحابي ربيعة لهم ، فخرجت حتى أتى تلاً مشرفاً على

(١) هازك : غائبك .

الحاضر فأُسندتُ فيه فملوت في رأسه فنظرت إلى الحاضر فوالله إني لمبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه فقال لامرأته : إني لأرى على التل سواداً ماراً به في أول يومى فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين شيئاً لانكون الكلاب جرّت بعضها . فنظرت فقالت : والله ما أفقد شيئاً . قال : فناوليني قوساً وسهمين . فناولته فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ جني^(١) فأنزعه وأضعه وثبت مكانى . ثم أرسل الآخر فوضعه في منكبي فأنزعه وأضعه وثبت مكانى . فقال لامرأته : لو كان ربيثة تحرك^(٢) لقد خالطه سهمائى، لا أبالك إذا أصبحت فاتبعيهما^(٣) فخذيهما لا يعضفهما الكلاب . ثم دخل .

وأمرناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا وكان في وجه السحر شذناً عليهم الغارة فقتلنا واستقمنا للدم وخرج صريح القوم ، فجاءنا دهم^(٤) لا قبل لنا به ومضينا بالدم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه فاحتملناهما معنا . وأدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء الله تبارك وتمالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ولا يقدر على أن يجارزه ، فوقفوا ينظرون إلينا وإنا لنسوق نهمهم وما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا حتى فُتّناهم . فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ابن سعد : ما أخطأ بين عيني .

(٢) ابن هشام : لو كان ربيثة لقوم لقد تحرك .

(٣) ابن سعد : فانظريهما .

(٤) الدم : الجماعة الكثيرة .

وغزوة على بن أبي طالب بنى عبد الله بن سعد من أهل فذك ، وغزوة أبي^(١) العوجاء الشلمى أرض بنى سليم فأصيب بها هو وأصحابه جميعاً . وغزوة عكاشة بن محصن الغنرية ، وغزوة أوى سلمة بن عبد الأسد قطعاً ماء من مياه بنى أسد من ناحية نجد فقتل فيها مسعود بن عمرو ، وغزوة نخذ بن مسندة القرطام من هوازن ، وغزوة بشير بن سعد بنى مرة بفذك ، وغزوته أيضاً بـباجية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجوم من أرض بنى سليم . وغزوته أيضاً جذام من أرض خشين ويقال من أرض حشنى .

وكان من حديثها كما حدث رجال من جذام كانوا علماء بها أن رفاعة بن زيد الجذامى لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام فاستمعوا له لم يابث أن قدم دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نخاعة له ، حتى إذا كان بوادٍ من أوديتهم^(٢) أغار عليه المهدي بن عوف^(٣) الضماني بطن منهم وابنه عوف ، فأصابا كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوماً من بنى الضمانيب رهط رفاعة ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى المهدي وابنه واستنفقوا ما كان في أيديهم ماء ذروه على دحية ، فخرج دحية حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره واستشفه دم المهدي وابنه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وبعث معه حبشاً فأغاروا فحصدوا ما وجدوا من مال أو أس وفتلوا المهدي وابنه وزحارين معهم ، فلما سمعت بذلك بدو

(١) الضماني : ابن أبي العوجاء

(٢) يقال له شارب . ط . ابن هشام .

(٣) ابن سعد : المهدي بن عوف وابنه عوف بن المهدي .

للضَّبَّيْب ركب نفر منهم فيهم حسان بن مَلَّة فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان : إنا قومٌ مسلمون فقال له زيد : فاقرا أم الكتاب . فقرأها حسان . فقال زيد بن حارثة : نادوا في الجيش : إن الله قد حرم علينا ثُغرة القوم التي جاءوا منها إلا من خَتَرَ^(١) . وإذا أخت حسان في الأسارى فقال له زيد : خذها . فقالت أم الفزr للضالمة : أنطالقون بيناتكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بنى الضَّبَّيْب : إنها بدو للضَّبَّيْب وصحر ألسنتهم سائر اليوم فسمعها بعض الجيش فأخبر بها زيدا فأمر بأخت حسان وقد كانت أخذت بمَقْوَى أخيها فقُتكت يداها من حقويه وقال لها : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه .

فرجموا ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه فأمسوا في أهليهم ، فلما شربوا عقمهم^(٢) ركبوا إلى رفاعة بن زيد فصَبَّحوه فقال له حسان ابن مَلَّة : إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جُذام أسارى قد غرَّها كتابك الذي جئت به ا فدعا رفاعةُ بجمل له فشدَّ عليه رحله وهو يقول :

• هل أنت حَيٍّ أو تفادى حَيًّا •

ثم غدا وهم معه مبكرين فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ألح إليهم بيده أن تعالوا . من وراء الناس ، فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق قال رجل من الناس : يا رسول الله

(١) ثغرة القوم : ناحيتهم التي يحمونها .

وختر : نقض العهد (عن شرح السيرة لأبن ذر الحاشي س ٤١٠)

(٢) أى شربوا لبنهم الذي انتظروه إلى ذلك الوقت . وأصل الاستعظام التأخير . قال

أبو ذر : ومن رواء : « عيبتهم » فبعضى اللبن الذي أزال عنهم شوق اللبن .

إن هؤلاء اللعاس قومٌ سَحَرَة . فردّدها مرتين . فقال رفاعه : رحم الله من لم يَحْذَنَا ^(١) في يومها هذا إلا خيراً .

ثم دفع رفاعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذي كان كتب له ، فقال : دونك يا رسول الله قديماً كتابه حديثاً غديره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام وأعلن . فلما قرأ كتابه استعجبهم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصبح بالقتلى ؟ ثلاث مرات فقال رفاعه : أنت أعلم يا رسول الله لا نحرّم عليك حلالاً ولا نحلّ لك حراماً . فقال أبو زيد ابن عمرو أحد من قدم مع رفاعه : أطاقت أنا يا رسول الله من دن حياً ومن قتل فهو تحت قدمي هذه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . صدق أبو زيد أرباب معهم يا عليّ . فقال له عليّ : يا رسول الله إن زيدا أن يطعمني . قال : فخذ سيفي هذا . فأعطاه سيفه .

ثم جوا فإذا رسولٌ لزيد بن حارثة على ناقه من إبلهم فأنزلوه عنهما فقال : يا علي ما شأنى ؟ فقال : ما لهم عرفوه فأخذوه . ثم ساروا فلقوا الجيش فأخذوا ما بأيديهم حتى كانوا يلتزمون أبييد المرأة من تحت الرّسول .

• • •

وغزوة زيد بن حارثة أيضاً للطرف من ناحية نخل من طريق العراق ، وغزوته أيضاً وادى القرى التي فيه منى فزارة فأصيب بها ناس من أصحابه وارث ^(٢) زيد من بين القتلى فلما قدم زيد إلى أن لا يمس رأسه غسل من

(١) لم يحذنا : لم يحطنا ولم ينقنا .

(٢) ارث : نعا .

جنابة حتى يفزوا بنى قزارة ، فلما استقبل من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى قزارة في جيش فقتلهم بوادى القرى وأصاب فيهم .
[غزوة عبد الله بن رواحة إلى خيبر]

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر مرتين ، إحداهما التي أصاب فيها الليسير ابن رزام ويقال ابن رازم ، وكان من حديثه أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه منهم عبد الله بن أنيس حليف بنى سلمة ، فلما قدموا عليه كلموه وقربوا إليه وقالوا له : إنا إن قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك . فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال ندم الليسير على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطن له عبد الله بن أنيس وهو يريد السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه الليسير بمخزش في يده من شوحط فأثمه^(١) ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحداً أفلت على رجله^(٢) . فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذه .

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر فأصاب بها أبا رافع بن أبي الحقيق .
[غزوة عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان]

وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن ثبيح بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلة أو بئرنة يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) المجرش : المجهن . والشوحط : شجر تتخذ منه القسي أو ضرب من النبع .
وأثمه : أصابه في رأسه . وفي الطبري : فأثمه في رأسه .
(٢) الطبري : أفلت على راحلته .

فقال : إنه بلغني أن ابن سفيان بن بيهج الأهدلي يجمع لي الناس ليفزوني وهو بخله أو بمرارة فأنته فاقله . فقلت : يا رسول الله أنته لي حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أدرك الشيطان وأية ما بينك وبينه إنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة . قال : فخرجت متوشحاً سيفي حتى دفعت إليه وهو في ظمُن^(١) برناد لمن مدلاً وكان وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة فقبلت وحشيت أن تكون بيني وبينه محاولة لشعالي عن الصلاة فصليت وأما أمشي نحوه وأومئ برأسي . فلما انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : حل من العرب سمع بك ويخضع لك لهذا الرجل لحاكم لك . قال : أجل ، أي ذلك . قال : فحشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف فقتلته ، ثم خرجت وتركت ظماني من مكبات عليه . فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني قال : أفلح الزوج ؟ قلت : قد قتلت يا رسول الله . قال : صدقت ، ثم قام لي فأدخلني بيته وأعطاني عصا فقال : أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس وقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أمسكها عندي قالوا : أهلاً ترحم إليه تسأله لم ذلك ؟ فخرجت فقلت : يا رسول الله لم أعطاني هذه العصا ؟ قال : أية بني ويديك يوم القيامة إن أول الناس بالقيامة^(٢) يومئذ . فقها عبد الله بن أنيس اسمه فلم تزل معه حتى مات ثم أمر بها فصليت لي (لقد نمت دفناً جديماً .

(١) الظمُن : الماء

(٢) المنعمون : الذين يتعدون المعاصي ، وهم الصالحون

وقال عبد الله في ذلك :

تركتُ ابن ثور كالحوار وحوله
نوائح تَقْرئ كلَّ جيبٍ مُقدِّدٍ^(١)
تساوَلته والظُّنن خَلَقِي وخَلَقَه
بأبيض من ماء الحديد مهْدِ
عَجُومٍ لِمَامِ الدارعين كأنه
شهابُ غَضَا من مُلْهبٍ متوقِّدٍ^(٢)
أقول له والسيِّف يثمم رأسه
أنا ابن أنيس فارساً غير مُقدِّدٍ^(٣)
وقلت له خذها بقرْبة ماجدٍ
حليفٍ على دين النبيِّ محمدٍ
وكنت إذا همَّ النبيُّ بكافرٍ
سبقت إليه بالأساب وباليدِ

* * *

ومن للبعوث أيضاً : بَعَثَ مُؤَنَّةٌ حيث أصيب جعفر بن أبي طالب
وأصحابه ، وغزوة كعب بن عُمر الغفاري ذات أطلاق من أرض قشام
أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عُيَيْنَةَ بن حِصْنِ بنِي الْعَنْدَرِ من نَمِيم .

(١) الحوار : ولد الناقة . وتقرئ : تشق .

(٢) عَجُوم : عضوض . والمَام : الرموس . والدارعون : من يلبسون الدروع في
الحرب . والشهاب : القطعة من النار .

(٣) المُقدِّد : الأثيم الجبان .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم فأظا.
عليهم وأصاب منهم أناساً وسقى منهم أناساً . وطالت عائشة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن عليّ رغبة من ولد إسماعيل . قال : هذا
سقى بن العدير يقدم الآن فتعطيك منهم إنساناً فتمتعيه . فاتوا قديم يستبهم
ركب فيهم وفد من بني نعيم منهم ربيعة بن رقيع ، وسبرة بن عمرو والقمقاع
ابن مَعْبِد ووزدان بن نَجْرَز وقيس بن عاصم ومالك بن عمرو والأفرع
ابن حابس وفيراس بن حابس ، فسكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيهم فأعتق بهضاً وأفدى بهضاً وذلك هو الذي يقول القززدق :

وعند رسول الله عام ابن حابس بنوطة سوار إلى الجند حازم^(١)
له أطاق الأنرى التي في حباله معلقة أعناقها وللشكائم
كفى أمهات الخائفين^(٢) عليهم غلاء المفادى أو سهام المقاسم

• • •

[غزوه غالب بن عبد الله إلى بني مرة]

وعزوة غالب بن عبد الله السكلي أرض بني مرة . وفيها قتل أسامة
ابن زيد حليماً لهم بقل له مرداس بن أبيك بن الحرفقة من جويقة . قال :
أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شمرت عليه السلاح قال أشهد
أن لا إله إلا الله . فلم يسرع عنه حتى قتلاه

هكذا ذكر ابن إسحق في حديثه . وخرج مسلم في صحيحه عن أسامة
ابن زيد قال : فسكف عنه الأنصارى وطلمته برعى حتى قتله ، فلما قدمنا

(١) قال أبو ذر : المطة . الخصلة . والسيار : الذي يرمى ويذهب .

(٢) قال أبو ذر : يريد الذين يحمونهم . وأمامهم . ويروى : الخائفين .

بانح ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قلت : يا رسول الله إنما كان متعوذاً . فقال : أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ فما زال يكررها على حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم^(١) ، وفي بعض طرق مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة : لم تقتله ؟ قال : يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وفلاناً وسمي له نفراً وإني حملت عليه فلما رأى للسيف قل : لا إله إلا الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلته ؟ قال : نعم . قال : فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ قال : يا رسول الله استغفرلي . قال : وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ فجل لا يزيدني على أن يقول : كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة .

وفي حديث ابن إسحق أن أسامة قال : أنظرني يا رسول الله ، إني أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله .

[غزوة ذات السلاسل]

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عذرة^(٢) ، وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث يستنصر العرب إلى الشام ، وذلك أن أم أبيه للعاص بن وائل كانت امرأة من كلب فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جَذَام يقال له السَّلْسَل وبذلك سميت تلك الغزوة ذات

(١) صحيح مسلم كقاب الإيمان حديث رقم ٩٧ (ط الحلي) .

(٢) قال ابن سعد : وراء وادي القرس ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام .

السلاسل ، خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث إليه
أبا عبيدة ابن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر. وعمر. وقال لأبي
عبيدة حين وجهه : لا تخزانا . فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له
عمر : إنما جئت مدداً لي . قال أبو عبيدة : لا واسكى على ما أنا عليه
وأنت على ما أنت عليه . فقال له عمر : بل أنت مدد لي فقال له أبو عبيدة
وكان رجلاً أميناً سهلاً عليه أمر الدنيا : يا عمر وإن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لي لا تخزانا وإنك إن عصيتي أطعتك قال : فإني الأمير عليك
وأنت مدد لي . قال : فدعوك . وصلى عمر وأبو بكر بالأناس .

وحدث رافع بن أبي رافع الطائي وهو رافع بن عميرة قال : كنت
أمرأى نصرانياً فلما أسلمت خرجت في تلك الغزاة ، بمى غزوة ذات
السلاسل ، فقات : والله لأختارن نفسي صاحبها فصعبت أبا بكر . فكنيت
معه في رحله فكانت عليه عبادة له قد كثرت فكان إذا نزانا بسطها وإذا
ركبنا لبسها ثم شكمت^(١) عليه بحلال له وذلك الذي يقول أهل نجد حين
ارتدوا كفاراً بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ومبايعة الناس بعده لأبي
بكر : أنحن نهابع ذا العبادة أجهلوا بومئذ أن فضل السكال ليس في ظاهر
البناء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

قال رافع : ولما دنونا من المدينة قافلين قالت : يا أبا بكر إنما صحبتك
ليزعمى الله بك فأصعني وعلمني قال : لو لم تسألني ذلك لفعلت ، آمرك

(١) الواقدي : وإذا ركب خماراً عليه . أي حم بين طرفيها بحلال من مود أو حديد .
معاري الواقدي ص ٧٧٢ .

أن توحّد الله لا تشرك به شيئاً ، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج هذا البيت وتغتسل من الجنبابة ولا تتأمرن^(١) على رجلين من المسلمين أبداً .

قال قلت : يا أبا بكر أما أنا والله فإني أرجو أن لا أشرك بالله أبداً ، وأما الصلاة فلن أتركها أبداً إن شاء الله ، وأما الزكاة فلن يكن لي مال أو دينها إن شاء الله ، وأما الحج فلن أستطع أحج إن شاء الله ، وأما الجنبابة فساغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها فلم تنهي عنها ؟ قال : إنما استجهدتني لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الدين فجاهد فيه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً فلما دخلوا فيه كانوا عوادم^(٢) الله وجيرانه وفي ذمته ، فأياك أن تخفّر الله في جيرانه فيتبعلك الله في خفركه ، فإن أحدكم يخفّر في جاره فيظل ناثلاً عضله^(٣) غضباً لجاره إن أصيب له شاة أو بعير ، فالله أشد غضباً لجاره قال : ففارقته على ذلك فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أبو بكر على الناس قدمت عليه فقلت : يا أبا بكر ألم تسكن نهيتني عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى وأنا الآن أنهارك عن ذلك . فقلت : فما حلك على أن تلي أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بداً خشيت على أمة محمد الفرقة .

(١) أي لا تطلبن الإمارة .

(٢) عوادم : جمع عائد ، أي استجاروا بأفه من الظلم :

(٣) ناثلاً : مرتفعاً منتفخاً . والمضل : جمع عضلة وهي القطعة الشديدة من اللحم

شرح الحديث لأبي ذر (٤٥٤)

وفي هذه الغزاة أيضا صحب عوف بن مالك الأشجعي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال : فررت بقوم على جزور لهم قد نهبوها وهم لا يتدرون على أن يعضوها^(١) فقلت : أنعطوني منها عُشيرا على أن أقسمها بدينكم ؟ قالوا : نعم . فأخذت للشفرتين فعضأتها وأحدثت منها حزما فحملته إلى أصحابي فاطبخناه فأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أئى لك هذا اللحم بأعوف ؟ فأخبرتهما خبره فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما بتيان ماى بطونهما من ذلك فلما فعل الناس أدت أول قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجهته وهو مضى في بيته فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته قال : أعوف بن مالك ؟ قلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله قل : أصحاب الجزور ؟ ولم يزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك .

[غزوة ابن أبي حذرد]

وغزوة ابن أبي حذرد وأصحابه بطن إضم ، وكانت قبل الفتح قال عبد الله بن أبي حذرد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم في أمر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومسلم بن جثامة ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له معه متبع له ووطب من ابن^(٢) فسلم علينا بتحيةة للإسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه بحمل بن جثامة فقتله شيء . كان بينهما واحد بميرة ومتيعة . فلما قدمنا على رسول الله

(١) يعضوها : يعضونها : قال أبو ر : التسمية : الفسحة : (شرح السيرة ص ٤٥٤)

وأخبرناه الخبر نزل فينا : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبئروا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا^(١) » . إلى آخر الآية .

وعن ضُمَيْرَةَ بن سعد السُلَمي عن أبيه ، وكان شهد حُنَيْنًا قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها وهو بمخنين فقام إليه الأقرع بن حابس وعُيَيْبَةُ بن حصن يَحْتَصِمَانِ في عامر بن الأَضْبَطِ يطلب بدمه ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع يدفع عن مُحَلِّم بن جَثَامَةَ لمكانه من خَيْدَف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع ، فسمعا عيينة يقول : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحَرِّ^(٢) مثل ما أذاق نسائي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الآية خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا . وهو يأبى عليه ثم ذكر تكرار رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله هذا ، فقبلوا الآية ثم قالوا : أين صاحبكم هذا يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام رجل آدم ضَرْب^(٣) طويل عليه حُلَّة له قد كان تهباً فيها للقتل حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ما اسمك ؟ فقال : أنا مُحَلِّم بن جَثَامَةَ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : اللهم لا تغفر لحلم بن جَثَامَةَ . ثلاثاً فقام يلقى دمه بفضل ردائه قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا إنا نرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له وأما ما ظهر من رسول الله فهذا .

(١) سورة النساء ٩٤ . (٢) ابن هشام : من الحرقة ٣ .

(٣) الضرب : القليل الاحم .

وذكر سالم أبو القنضر أنه حدث أن عبيدة بن حصن وقبسا لم يقولوا الهدية حتى خلا بهم الأقرع بن حابس وقال : يا معشر قيس مدلتهم رسول الله فتيلا يستصلح به الناس ، أفأنتم أن يأمركم رسول الله فيأمركم الله بلمعته أو أن يعضب عليكم فينضب الله عليكم بغضبه ؟ والله الذي نفس الأقرع بيده أقسمتكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأيصنعن فيه ما أراد أو لا يبن محمد بن رجلا من بني تميم يشهدون بالله أقتل صاحبكم كاذبا أصلي قط فلا طأن دمه . فقولوا الهدية .

وفي حديث عن الحسن البصري قال : والله ما مسكت محم بن جندبة إلا سبعا حتى مات فأنظته الأرض والذي نفس الحسن بيده ، ثم عادوا له فأنظته ، ثم عادوا له فأنظته فلما عاب قومه عمدوا إلى صذين^(١) فطاحوه بينهم ما ثم رضوا عليه المجاعة حتى رآوه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال : والله إن الأرض انطأ على من هو شر منه وإن الله أراد أن يعظكم في حرم ما بينكم بما أراكم منه .

اغزوة ابن أبي حذرد إلى النابتة

واغزوة ابن أبي حذرد الأسلي أيضا للنبابة . قال : تزوجت امرأة من قومي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعیده على نسكاسي فقال : ولم أخذت ؟ قلت : مائتي درهم قال : سبعان الله الو لئنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم ، والله ما عدي ما أعيتك به . قال : فلبنت أياها وأقبل رجل من بني جشم بن معاوية يقال له دفاعة بن قيس أو قيس بن دفاعة في بطن عظيم من بني جشم حتى ينزل بقومه ومن معه بالنبابة يريد أن يجمع قبسا على حرب

(١) الصد : بالفتح ويضم : الجمل .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذا اسم في جُشم وشرف ، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معي من المسلمين فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم قال : وقدم لنا شارفاً ^(١) هجاء فحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ثم قال : تهاثروا عليها واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من اللبيل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عُشَيْشِيَّة ^(٢) مع غروب الشمس كُنت في ناحية . وأسرت صاحبي فكُنت في ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما : إذا سمعناي قد كُبرت وشددت في ناحية للمسكر فكُبرا وشُدّا معي . فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة للقوم أو أن نصيب منهم شيئاً وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء وكان لهم راع سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه ، فقام صاحبهم ذلك فأخذ سيفه فجعله في عنقه ثم قال : والله لأنبعن أثر راعيها هذا ولقد أصابه شر . فقال نفر من معه : والله لا تذهب أنت نحن نكفيك . قال : والله لا يذهب إلا أنا . قالوا : فبعن منك . قال : والله لا يتبعني أحد منهم . وخرج حتى مرّ بي فلما أمكنني نفخته بسهم فوضعت في فؤاده فوالله ما نكحهم . ووُثِبَ إليه فاحتزّزت رأسه وشددت في ناحية للمسكر وكُبرت وشد صاحباي وكُبرا فوالله ما كان إلا الانجاء ممن فيه ، عندك ، عندك ، بكل ماقدروا عليه من نساءهم وأبنائهم وما خفّ معهم من أموالهم واستقنا إبلا عظيمة وغنا كثيراً فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه معي فأعانتني رسول صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً في صدّاقٍ لجمعت إلى أهلي .

(١) الشارف : النالة المسنة . والمجاء : للهبزولة .

(٢) عَشَيْشِيَّة : تصغير عَشِيَّة . على غير قياس .

| غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل |

وغزوة توجه فيها عبد الرحمن بن عوف . قال عطاء بن أبي رباح : سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر عن إرسال للبيعة من حلف الرجل إذا اعتم فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم . ثم ذكر مجلساً شاهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) . فيه عبد الرحمن ابن عوف أن يتجهز اسرية بمئة عابها . قال : وأصبح وقد اعتم البيعة من كرايس^(٢) . سود فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ثم تقصها ثم عمه وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوها من ذلك . ثم قال : هكذا بين عوف فاعتم فإياه أخصن وأعرف . ثم أمر بلالاً أن يدهم إليه اللواء ، فدفعه إليه حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله . ثم قال : « هذه بين عوف ، تغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله لا تملأوا ولا تملأوا ولا تملأوا ولا تقتلوا ولا تقتلوا وايداً ، فهذا عهد الله رسيداً ببيتكم » فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء . قال ابن هشام : فخرج إلى دومة الجندل .

| سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر |

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى سيف البحر عليهم أبو عبيدة بن الجراح وزودهم جراباً من تمر ليجعل بقوتهم إياه حتى صار إلى أن بعدة لم يجدوا حتى كان يعطى كل رجل منهم كل يوم ثمرة فقصوها يوماً فقصت ثمرة عن رجل فوجد فقصها ذلك اليوم |

(١) انظر تفصيل ذلك المجلس (ابن هشام ٤ / ٢٨٠) (ما الحلي الأول) .

(٢) كرايس : جمع كرايس وهو الثوب من القطن الأبيض .

قال بعضهم : فلما جهدنا الجوعُ أخرج الله لنا دابة من البحر فأصحبنا من لحمها وودّكها وأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سَمِمْنَا وأخذ أميرنا ضِلَعًا من أضلاعها فوضعهما على طريقه ثم أمر أجسَمَ بعير معنا فحمل عليه أجسَمَ رجلٍ منا فجلس عليه فخرج من تحتها وما مسّت رأسه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها وسألناه عن أكلنا إياها فقال : رزقَ رزقكموه الله .

[بعث عمرو بن أمية إلى أبي سفيان بن حرب]

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري بعد مقتل خبيّب وأصحابه إلى مكة وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب وبعث معه جبار بن صخر الأنصاري ، فخرجا حتى قدما مكة وحبا جليهما بشعب من شعاب يَأْجِج^(١) ثم دخلا مكة ليلاً فقال جبار لعمرو : لو أنا طُفْنَا بالبيت وصلينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تعشّوا جلسوا بأفئدتهم فقال : كلاً إن شاء الله . قال عمرو : فطُفْنَا بالبيت ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلى رجل من أهل مكة فعرفني فقال : عمرو بن أمية والله إن قدِمَا إلا لشرٍّ . فقلت لصاحبي : للنَّجاء . فخرجنا نشتدّ حتى أَصَمَدْنَا في جبل وخرجوا في طلبها حتى إذا علَوْنَا الجبل يئسوا منا فرجعوا فدخلوا كهفاً في الجبل فبقينا وقد أخذنا حجارةً فرضَمْنَاهَا دوننا . فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسآله ويَحْتَلِي^(٢) عليها ففشيدينا ونحن في الغار فقلت : إن رأنا صاح بنا فأخذنا فقتلنا . قال : ومعى خنجر قد أعددتَه لأبي سفيان ،

(١) يَأْجِج : موضع بمكة .

(٢) ابن مشام . ويغلّ عليها . والمراد : يجمع لها الخلى ، وهو الرطب من النبات .

فأخرج إليه فأضربه على ثديه وصاح صبيحةً أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل
مكاني . وجاءه الناس يشتدّون وهو بأحر رمق فقالوا : من ضربك ؟ فقال
عمرو بن أمية . وغلبه الموت ذات مكانه ولم يدال على مكانه فاحتملوه .
فقلت لصاحي لما أمسيت : اللّجاء .

فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة فررنا بالحرس وهم يحسون جيفة
خبيب بن عدي فقال أحدهم : والله ما رأيت كالبقرة أشبه بمشية عمرو
ابن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية . فلما ساذى عمرو
الخشبة^(١) شدّ عليها فاحتملها وخرج هو وصاحبه شدّاً وخرجوا وراءه
حتى أتى جُرُفاً بيّاجج^(٢) فرمى بالخشبة في الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا
عليه .

قال عمرو بن أمية : وقلت لصاحي : اللّجاء حتى أتى بعمرك فتعمد
عليه فإني شاغل عنك للقوم وكان الأنصاري لا رجلة له^(٣) . قال :
ومضيت حتى أخرج على صَجْنَان^(٤) ثم آريت إلى جبل فأدخل كهفاً ،
فبيئناً أنا فيه دخل على شيخ من بني الدّيل أعور في عَنَقِيمة فقال : من
الرجل ؟ فقلت : من بني بكر من أنت ؟ قال : من بني بكر . قلت :
مرحباً فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال :

(١) أي الخشبة التي سلبوا عليها خبيب بن عدي حين قتلوه . انظر : مقدم في قصة
أصحاب الرّحيع . ص ١٣٤ من هذا الجزء .
(٢) ابن هشام : حتى أتى جُرُفاً بهم هذا مسيل بيّاجج .
(٣) أي لا يقوى على الشيء على رجليه .
(٤) صَجْنَان : جبل قرب مكة .

واست بمسلم ما دمتُ حيًّا ولا دانَ لدينُ المسلمين

فقلت في نفسي : ستعلم . فأملهته حتى إذا نام أخذت قوسى فجعلت
سَيْتِهَا^(١) في عيونه الصبيحة ثم تحاملتُ عليه حتى بلغت للعظم . ثم خرجت
الأنجاء^(٢) حتى جئت للعرش^(٣) ثم سلكت ركوبة^(٤) حتى إذا هبطت
الأنقيع^(٥) إذا رجلان من قريش من المشركين كانت قريش بعثتهما عيها
إلى المدينة ينظران ويتحسّسان فقلت : استأسرا . فأبيا فأرعى أحدهما بسهم
فأقتله واستأسر الآخر فأوثقته رباطا وقدمت به للمدينة .

* * *

[سرية زيد بن حارثة إلى مدين]

وسرية زيد بن حارثة إلى مدين فأصاب سَيِّيا من أهل ميفاء وهى
السواحل وفيها جُماعٌ من الناس فبيعوا ففرّق بينهم يعنى بين الأمهات
والأولاد ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سيكون فقال : ما لهم ؟
فقال : يا رسول الله فرق بينهم . فقال : لا تبيعوم إلا جميعاً .

وغزوة سالم بن عُمَيْر أبا عَفْكَ أحد بنى عمرو بن عوف وكان نجماً

(١) سبة القوس : ما عطف من طرفيها .

(٢) أى خرج هارباً .

(٣) منزل بطريق مكة .

(٤) ركوبة : نية بين الحرمين .

(٥) الأنقيع : موضع ببلاد مزينة .

بِفَأْفِهِ حِينَ قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَارِثَ بْنَ سُوَيْدٍ
صَامَتِ فَقَالَ :

أَقْدَ عِشْتُ دَهْرًا وَمَا إِنِّي أَرَى
مَنْ لِلْعَاسِ دَارًا وَلَا مَنَاجِمًا
أَبْرَءُ عَهْدًا وَأَوْقَى لِمَنْ
بِمَقِيدٍ فِيهِمْ إِذَا مَا دَعَا
مِنْ أَوْلَادِ قَيْلَةٍ^(١) فِي جَهَنَّمَ
نَهْدُ الْجَبَلِ وَلَمْ تَنْتَضِمْ
فَصَدَّقْتُمْ رَاحِكًا جَاهِدًا
حِلَالًا حَرَامًا لَتَقِيَنَّ مَا
فَلَوْ أَنَّ مَا لَمْ يَصْدَقْتُمْ
أَوْ الْمَلِكُ تَابِعْتُمْ نَبِيًّا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ لِي بِهَذَا الْخَبِيثِ الْفُجَّاجِ
سَالِمُ بْنُ عَمَيْرَةَ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ هَوَفٍ ، وَهُوَ أَحَدُ الْإِسْكَانِيِّينَ فَقَتَلَهُ
فَقَالَتْ أَمَامَةُ الْمُرَيْدِيَّةُ فِي ذَلِكَ .

تَكْذِبُ دِينَ اللَّهِ وَالْمَرْءَ أَحَدًا
أَتَمَرِي الَّذِي أَمَّاكَ بِئْسَ الَّذِي يُشْنِي^(٢)

(١) أَوْلَادُ قَيْلَةٍ : الْأَوْسُ وَالْمُزَرِجُ .

(٢) أَمَّاكَ : مَنَّاكَ . مِنَ الْأُمِّيَّةِ .

حَبَاكَ حَنِيفٌ آخَرَ اللَّيْلِ طَمَعَةً
أَبَا عَفَّكَ خُذْهَا عَلَى كِبَرِ السِّنِّ

[غزوة عمير بن عدى إلى عصماء بنت مروان]

وغزوة عمير بن عدى الخطمي وهو الذي يدعى للقاري عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد ، وكانت تحت رجل من بني خطمة يقال له يزيد بن زيد ، فلما قُتل أبو عفك ناققت فقالت تعيب الإسلام وأهله وتؤنب الأنصار في اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَطْعَمَ أَتَاوِيٌّ مِنْ غَيْرِكُمْ
فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْحِجٍ
تُرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرُّوسِ
كَمَا بُرْتُجِي مَرَقُ الْمُنْضَجِ
أَلَا آفٍ يَبْتَغِي غِرَّةً
فَيَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الرُّنْجِي

فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أحدلني من ابنة مروان ؟ فسمع ذلك من قوله عمير بن عدى فلما أمسى من تلك الليلة سما عليها في بيتها فقتلها ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني قد قتلتها . فقال : نصرت الله ورسوله يا عمير . فقال : هل علي شيء من شأنها يا رسول الله ؟ فقال : لا يتطع فيها نمران .

فرجع عمير إلى قومه وبنو خطمة يومئذ أشير فوجههم في شأن بنت مروان ولها بنون خمسة رجال . فقال : يا بني خطمة أنا قتلت بنت مروان فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون . فذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني خطمة وكان يستخفى بالإسلامه فيهم من أسلم . ويومئذ أسلم رجال منهم ثم رأوا من عز الإسلام .

(أسير ثمامة بن أثال)

والسيرة التي أسرت ثمامة بن أثال الخنفي سيد أهل البمامة ، وذلك أن خيلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت فأخذت رجلاً من بني حنيفة لا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الخنفي فأحسنوا إسلامه . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله . فقال : اجعلوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه وأمر بلقيثته^(١) أن يهدي عليه بها وبراح فجعل لا يقع من ثمامة مؤقماً ، ويأتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : أسلم يا ثمامة وفي رواية : ما تقول يا ثمامة ؟ فيقول : يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنقم تنقم على شاكرك ، وإن ترد الفدية فسل تعط منه ما شئت .

فكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم يوماً : أطلقوا ثمامة فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع فتعلم فأحسن طموره ثم أقبل فبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام . فلما أسرى جاءوه بما كانوا يأتونه به من الطعام فلم ينل منه إلا قليلاً ، وبالله توفيقه فلم يصب من حيلائها

إلا يسيراً ، فمحبب المسلمون من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مِمَّ تَحِبُّونَ مِنْ رَجُلٍ أَكَلَ أَوَّلَ النَّهَارِ فِي مَعَى كَافِرٍ وَأَكَلَ آخِرَ النَّهَارِ
فِي مَعَى مُسْلِمٍ ، إِنْ الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ وَإِنْ الْمُسْلِمُ يَأْكُلُ فِي
مَعَى وَاحِدَةٍ » .

وقال ثمامة حين أسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كان وجهك
أَبْيَضَ الْوَجْوهِ إِلَى فَأَصْبَحَ وَهُوَ أَحَبُّ الْوَجْوهِ إِلَيَّ ، ولقد كان دينك
أَبْيَضَ الدِّينِ إِلَى فَأَصْبَحَ وَهُوَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيَّ ، ولقد كان بلدك أَبْيَضَ
الْبِلَادِ إِلَى فَأَصْبَحَ وَهُوَ أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَيَّ . ثم قال : يا رسول الله إِنْ خِيَلَتْ
أَخَذْتَنِي وَأَنْتَ أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَأَذِنْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَأَذِنَ لَهُ فَخَرَجَ
مَعْتَمِرًا فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالُوا : صَبَأَتْ يَا ثَمَامَةَ . قَالَ لَا وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُ خَيْرَ الدِّينِ
دِينَ مُحَمَّدٍ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تَعْمَلُ إِلَّا بِسْمِ حَبَّةٍ مِنَ الْبَيْمَةِ حَتَّى يَأْذِنَ فِيهَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبَيْمَةِ فَفَعَّمَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا إِلَى مَكَّةَ
شَيْئًا ، فَكَتَبُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكَ تَأْمُرُ بِعَهْدَةِ الرَّحْمِ
وَأَنَّكَ قَدْ قَطَعْتَ أَرْحَامَنَا . فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
خَلَّ بَيْنَ قَوْمِي وَبَيْنَ مِيزَتِهِمْ . ففعل .

ويقال إنه لما كان ببطن مكة في عمرته أتته فسكان أول من دخل
مكة بالبي ، فأحذته قريش فقالوا : لقد اجتراءت علينا . وهملوا بقتله ثم
حلوه لمساكن حاحتهم إليه وإلى ملده فقال بعض بني حنيفة :

ومنا الذي أتى مكة مُعَلَّنًا —

برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم

[سرية علقمة بن مجزز]

وبعث علقمة بن مُجَزَّز الدُّجَلِي لما قتل وقاص بن مجزز أخوه يوم
 ذى قرد وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه في آثار للقوم
 ليذكر ثأره فيهم ، فبعثه في نفر من المسلمين . قال أبو سعيد الخدري :
 وأنا فيهم ، حتى إذا بلغنا رأس غزانا أو كذا يبعث الطريق أدب
 لطائفة من الجيش واستعمل عليهم عبد الله بن حذافه السهمي وكانت فيه
 دُعابة ، فلما كان يبعث الطريق أوقد ناراً ثم قال للقوم : أليس لي عليكم
 السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى قال : فما أمركم بشيء إلا فعاتموه ؟ قالوا :
 نعم . قال : فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا توابتم في هذه النار
 فقام بمص القوم بمجزز حتى ظن أنهم وثبون فيها . فقال لهم : احملوا
 فإنما كدت أضحك منكم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
 من أمركم منهم عاصية فلا تطيعوه .

ويقال إن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يلق أيداً .

[سرية كرتز بن جابر]

وبعث كرتز بن جابر ، وذلك أن نفراً من قيس كُبَيْتة من تميم قدموا
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقوا أو المدينة وطلحوا^(١) وكانت
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم إقاح تربي تاحية الجلاء برعاها عهد له يقال

(١) طلحوا : تروا . وبنو ابن هشام . طلحوا . أي أصابهم مرض الطحال .

له يسار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه في غزوة بني محارب. ومضى ثعلبة ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم إلى الأقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها فخرجوا إليها فلما سحوا وانطوت بطونهم عكفا عدوا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوه وغرزوا للشوك في عينيه واستاقوا الأقاح فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم كركزا فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّجعه من غزوة ذي قرد فقطع أيديهم وسمل أعينهم وألقوا بهم في الحرة يستسقون فلا يُسْقون حتى ماتوا .

[غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن]

وغزوة علي بن أبي طالب اليمن غزاها مرتين . وقال أبو عمر اللديني: ^(١) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب إلى اليمن وبعث خالد بن الوليد في جند آخر وقال : إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب .

[بعث أسامة بن زيد إلى فلسطين]

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام وأمره أن يوطئ الخيل تخوم اللقاء والداروم من أرض فلسطين ، وهو آخر بعث أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتجهز الناس وأوعب

مع أسامة المهاجرون الأولون ، فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه لدى قبضه الله فيه إلى ما أراد من رحمته وكرامته ، فلم يلفد بعث أسامة إلا بمد وودته صلوات الله عليه ورحمته وسيأتي ذكر ذلك مستوفى إن شاء الله .

• • •

فهمه منازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعونه وسراياه التي أعز الله بها الدين ودوخ بها الكافرين ، وشده أزره فيها بمن احتاره اصحبته ونصرتة من الأنصار والمهاجرين ، خي الله عنهم أجمعين ، وذلك أبام الله التي بحبها التذكر والتذكير ، ويتأ الله شكر الله على ما بشرته منه المقادير .

• • •

وقال حسان بن ثابت بمدد أبام الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذل مواطنهم معه في أبام سزوه وتروى لابنه عبد الرحمن :

ألمت خير مددك كلاماً فدا

ومعشراً إن هم شئوا وإن خيلوا

قومٌ هم شهم ———— دوا بذرا بأجمعهم

مع رسول فما آله^(١) وما حبلها

(١) آله : نسروا . و . وى . آله .

وبابعموه فلم ينسكت به أحدٌ
منهم ولم يك في أيمانهم دخلٌ
ويوم صَبَّحهم في الشعب من أحد
ضربٌ رَصِين كَرَّ القار مُشْتَعِلٌ
ويوم ذى قَرْدٍ يوم استثار بهم
على الجياد فَا خَامُوا^(١) وما نَكَلُوا
وذا المشيرة جاسُوها بِغِيلِهِمْ
مع الرسول عليها البيض والأسلُ
ويوم ودَّان أجَلُّوا أَمَّهُ رَقَصًا
بالخيل حتى نهانا الحزن والجبلُ
وايِلَّةَ طلبوا فيها عدوهم
فَلَهُ وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمَلُوا
وغزوة يوم نَجَّدَ نَم كَانَ لِمِ
مع الرسول بها الأسلاب والقفَلُ
وايِلَّةَ بَحْدِينَ جَالِدُوا مَعَهُ
فِيهَا يَمْلَهُم بِالْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا
وعزوة القاع فَرَّقْنَا الْمَسْدُوءَ بِهِ
كما تَفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرَبِ الرَّسَلُ^(٢)

(١) خَامُوا : جَبَنُوا .

(٢) الرسل : القطيع من الإبل والغنم .

ويومَ نُوبِيعَ كانوا أهلَ بيئته
هل الجِلادَ فَأَسْوَهَ وما عَدُّوا
وغزوةَ الفتح كانوا في سربته
مُرًا بطينَ فَا طاشُوا وما عَجِلُوا
ويومَ خيبر كانوا في كتيبتِه
يَمْشُونَ كَلِمَ مُسْتَبِيلٍ بطلُ
مالِبيضِ تَرَعَشَ في الأمانِ عارية
تَدُوجُ في الضربِ أحياءًا وتَمُتِدُ
ويومَ سار رسولُ الله نُحُفَيبًا
إلى نَهْـوَكٍ ومِ دَالِاتِهِ الأَوَّلِ
وساعةَ الحربِ إن حربَ بدتْ لهم
حقٌّ بَدَا لَهُمُ الإِفْسَالُ فَالْقُلُ^(١)
أولئك القومُ أنصارُ النبي ومِ
قوى أصير إليهم حيث أنصَلُ
مانوا كرامًا ولم تُنْـفِـكْ عَمُودُهُمِ
وقتلهم في سَبِيلِ الله إذ قَتَلُوا

* * *

وقال حسان أيضًا :
كَيْفَا مَلُوكَ اللّٰهَاسِ قَوْلَ مُحَمَّدٍ
هَذَا أَنَى الْإِسْلَامِ كَانَ إِذَا الْفَضْلُ

وأكرمنا الله الذي ليس غيره
 إلهٌ بأيامٍ مضتْ مالمَّا شكَلُ
 بقصر الإلهِ والرسولِ ودينه
 وألسفاهِ اسمًا مضى ماله مِثْلُ
 أولئك قومي خيرُ قومٍ بأثرهم
 فما كان من خير^(١) فقومي له أهلُ
 يَرْبُونُ بالمعروفِ معروفٍ من مضى
 وليس عليهم دون معروفهم قولُ
 إذا اختبطوا لم يُفْعَشُوا في نَدِيَّتِهِمْ
 وليس على سؤَالِهِمْ عَدَمٌ بِمِثْلِ
 وإن حاربوا أو سَالُوا لم يشَبَّهُوا
 فخرهم حَزَنُ^(٢) وصلتهم سَهْلُ
 وجارمُ موفٍ بعلياءِ بيتِهِ
 له مَاتُوا فِيهَا للكرامةِ والهدْلُ
 وحاملهم موفٍ بكلِّ حالٍ
 نَحْمَلُ لا غرمَ عليه ولا خذلُ
 وقائلهم بالحق إن قال قائلُ
 وحاملهم عَوْدُ وحكمهم عَدْلُ

(١) ابن هشام : فاعد من خير .

(٢) ابن هشام : فخرهم حزن .

ومننا أمير المسلمين حيواته
ومن غلبته من جنابته الرشيد

وقال حسان أيضاً من قصيدة له أولها :
قومي أوائسك إن تسأل
كبراً إذا الضيف يوماً ألم
عظام القوم دور لأبصارهم
يسكبون فيها عين الشيم
يواسون جارهم في القى
ويخمدون مـولاهم إن ظلم
فكانوا ملوكاً بأرضهم
يبادون غصباً بأمر شيم^(١)
ملوكاً على الناس لم يملكوا
من الدهر يوماً نحل القوم^(٢)
ملوكاً إذا عشموا في البسلا
د لا تملكون واسكني قديم
وأبدا بساداتهم والسياد
وأولادهم فيهم ثم تفتنهم

(١) ابن هشام : يبادون غصباً .

(٢) أى إلا فترة قصيرة تحلة القوم .

ورثنا مساكنهم بئس ما
وكننا ملوكا بها لم نر (١)
فلما اتانا الرسول الرشيد
دُ بالحق والدور بعد الظلم
فشهد أنك عبد إلا
أرسلت نورا بدين قيم
فإنا وأولادنا جنة
نقيك وفي مالنا فاحكم
فحن أولئك إن كذبوك
فناد ناد ولا تحشم
وناد بما كنت أخفيته
ناد جهارا ولا تكتم
فسار الفؤاد بأسياهم
إليه يظنون أن يخترم
فقدنا إليهم بأسيافنا
نجالد عنه بقاء الأمم
بكل صقيل له مئيلة
رفيق الذباب عضو خديم

إذا ما يصادف ضمُّ العظا
م لم يَنْبُ عنها ولم يَنْشَلْ
فذلك ما وردتنا القُرُو
م مجدداً تليداً وعزاً أشم
إذا مرَّ رسلٌ كفى رسله
وغادر رسلًا إذا ما انقسم
فما إن من الناس إلّا إذا
عليه وإن حاس^(١) فصلٌ للشم

والى هنا ينتهى الجزء الثانى من كتاب «الاعتفاء فى معازى رسول
الله والثلاثة الخلفاء» للكلامى وبتلوه الجزء الثالث وأوله : «ذآر الوفود
على رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٧	إسلام أبي العاص	٣	شروع رسول الله صلى الله عليه
٥٩	أمر أبي عزة		وسلم في حرب الشركين
٦١	إسلام عمير بن وهب	٣	غزوة ودان
٦٥	ما نزل في بدر من القرآن	٣	سرية عبيدة بن الحارث
٦٥	من شهد بدرا من المسلمين	٧	غزوة بواط
٦٦	الشهداء	٨	» العشرة
٦٦	قتلى للشركين	١٤	» بدر الكبرى
٧٧	غزوة بني سليم	١٤	رؤيا عائكة
٧٧	» السويق	١٧	خروج قريش
٧٨	» ذى أمر	١٧	خروج الرسول والمسلمين
٧٩	أمر بني قنقاع	١٩	الرسول يستشير أصحابه
٨١	سرية زيد بن حارثة	٢٢	الذين تخلفوا من قريش
٨٢	مقتل كعب بن الأشرف	٢٣	نزول المسلمين ببدر
٨٧	غزوة أحد	٢٤	نزول قريش ببدر
٨٨	الرسول يشاور أصحابه	٢٧	المبارزة
٨٨	خروج الرسول والمسلمين	٣٠	هزيمة الكفار
٩٠	الرسول يعي جيشه	٣٥	للائكة تقاتل مع المؤمنين
٩١	تعبئة قريش	٣٦	مصراع أبي جهل
٩١	أمر أبي عامر	٣٩	في القليب
٩١	القتال	٤٢	الذين ظلموا أنفسهم
٩٣	استشهاد حمزة	٤٣	قسمة الغنائم
١٠٣	خبر بخيريق	٤٣	بشير النصر
١٠٨	حزن الرسول على حمزة	٤٤	رجوع الرسول إلى المدينة
١١٠	دفن الشهداء	٥٠	قريش تبكى قتلها

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
رجوع الرسول إلى المدينة	١١١	مما يلي من الشعر في غزوة الخندق	١٩١
بكاء الشهداء	١١١	مقاتل سلام بن أبي الحقيق	١٩٨
غزوة حراء الأسد	١١٢	د لار إسلام عمرو بن العاص	
ما نزل من القرآن في أحد	١١٦	وخالد بن الوليد رضي الله عنهما	٢٠١
ما قبل من الشعر في أحد	١٢٣	عروة بن الحبيان	٢٠٦
غدر عضل والمصاراة بأصحاب		غارة عبيدة بن حسن	٢٠٦
رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٣٤	غزوة بني المصطلق	٢١٦
غزوة بدر معناه	١٤٢	من اليد الملقين	٢١٦
ذكر غزوة بني النضير	١٤٦	حبر الوليد بن عتبة	٢٢١
غزوة ذات الرفاع	١٥٢	حدث الإلك	٢٢٣
هبة حمل حابر	١٥٤	غزوة الحديبية	٢٢٣
غزوة بدر الماء	١٥٥	رسى مريض	٢٣٤
غزوة الخندق	١٥٨	مثل الرسول إلى مريض	٢٣٧
حفر الخندق	١٥٩	بسمه الرضا ان	٢٣٨
معجزات الرسول	١٦٠	الصالح	٢٣٨
نقص في خريطة العهد	١٦٣	سورة الجمع	٢٤٢
إصابة سعد بن معاذ	١٦٩	أه أي صبر	٢٤٦
شجاعة صفية بنت عبد المطلب	١٧١	أهاجرات بعد الحديبية	٢٥٠
حالة نعم بن مسعود	١٧٢	سورة حم	٢٥١
عروة بن مطية	١٧٦	مريم الطر الأنهالة	٢٥٤
الحصار	١٧٧	المأزرة	٢٥٦
حكم سعد بن معاذ	١٨١	على محمد بن الحنفية	٢٥٨
هبة الربيع بن ماطا	١٨٤	استسلام حمود	٢٥٩
هبة المأثم	١٨٦	بسم الله الرحمن الرحيم	٢٥٩
ما نزل في غزوة الخندق	١٨٧	عروة وأبي الهيثم	٢٦١
هبة سعد بن معاذ	١٨٧	جروج النساء	٢٦٢
شهداء المسلمين في الخندق	١٩٠	الشهداء	٢٦٣

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٣١	شجاعة أم سليم	٢٦٤	أمر الحجاج بن علاط
٣٣٣	هزيمة المشركين	٢٦٨	تقسيم الغنائم
٣٣٥	غزوة أوطاس	٢٦٩	قدوم المهاجرين إلى الحبشة
٣٣٧	أخت الرسول من الرضاعة	٢٧٠	اليهود في خير
٣٣٧	ما نزل من القرآن	٢٧٢	عمرة القضاء وهي غزوة الأمن
٣٣٨	الشهداء	٢٧٣	زواج الرسول بميمونة بنت الحارث
٣٣٨	ما قيل من الشعر	٢٧٥	غزوة مؤتة من أرض الشام
٣٤٨	غزوة الطائف	٢٨٢	رجوع الجيش
٣٥٤	قدوم وفد هوازن	٢٨٣	ما قيل من الشعر في مؤتة
٣٥٨	قسم الغنائم	٢٨٧	غزوة الفتح
٣٦١	ذو الخويصرة	٢٩٠	تجهز المسلمين
٣٦١	الأنصار والغنائم	٢٩١	أمر حاطب
٣٦٤	عمرة الجعرانة	٢٩٢	إسلام أبي سفيان بن الحارث
٣٦٥	إسلام كعب بن زهير	٢٩٣	إسلام أبي سفيان بن حرب
٣٧٣	إسلام عبد الله بن الزبير	٢٩٧	الرسول يدخل مكة
٣٧٦	غزوة تبوك	٣٠٠	الذين أهدر النبي دماءهم
٣٧٦	المنافقون	٣٠٤	أمان رسول الله
٣٧٩	أمر أبي خيثمة	٣٠٦	الرسول يدخل البيت
٣٨٥	مصالحة أهل أيلة	٣٠٨	من معجزات الرسول
٣٨٥	سرية خالد إلى أكيذر	٣٠٩	الرسول والأنصار
٣٨٦	رجوع الرسول عن تبوك	٣٠٩	حرمة مكة
٣٨٨	مسجد الضرار	٣١١	ما قيل من الشعر
٣٨٩	الخلفاء	٣١٧	سرية خالد بن الوليد وما وقع فيها
٣٩٨	ذكر إسلام ثقيف	٣٢١	هدم العزى
٤٠٣	رواية موسى بن عقبة	٣٢٢	غزوة حنين
	ذكر حج أبي بكر الصديق	٣٢٧	المنهزمون
٤٠٩	بالناس سنة تسع	٣٢٩	نداء النصر

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى	٤١٠	عدد غزوات الرسول
٤٢٨	الجندل	٤١١	سرايا رسول الله
٤٢٩	بعث عمرو بن أمية إلى أبي سليمان		غزوة غالب بن عبد الله إلى
٤٣١	سرية زيد بن حارثة إلى مدين	٤١٢	الكديد
	غزوة عمير بن عدى إلى عصاء	٤١٧	غزوة عبد الله بن رواحة
٤٣٣	بنت مروان		غزوة عبد الله بن أنيس إلى خالد
٤٣٤	أثر حمادة بن أنس	٤١٧	ابن سليمان
٤٣٦	سرية علقمة بن مجر		غزوة غالب بن عبد الله إلى بني مرة
٤٣٦	سرية كرز بن حابر	٤٢١	غزوة ذات السلاسل
٤٢٧	غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن	٤٢٤	غزوة ابن أبي حذرد
	بعث أسامة بن زيد إلى		غزوة ابن أبي حذرد إلى العابة
٤٣٧	فلسطين	٤٢٦	

ملاحظة: - وقع بعض الأخطاء الطبعية اليسيرة في الضبط ، مما لا يخفى

على القارىء

رقم إبداع دار المكتب

٦٦٢٢ لسنة ١٩٧٠